جـواب الـطالب
عـن
البغاة والخـوارج والنواصب

خليفة الدليمي

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد، وعلى أصحابه الذين اقتفوا أثره وساروا على منهجه، ثم آله الذين هم أتباعه إلى يوم مبعثه.

أما بعد:

فهذا الكتاب يدعو القارئ إلى التثبت والتحقق من المصطلحات والروايات التاريخية، وعدم الانجرار وراء المفاهيم المنحرفة التي تم دسها، ويحذر من أن تداول هذه المصطلحات دون وعي يمكن أن يؤدي إلى التيه والانحراف عن جادة الصواب،

وهو يهدف إلى تقديم رؤية شاملة وحاسمة حول بعضها ومنها مصطلحات "النواصب"، "الخوارج"، "البغاة"، مستعرضًا حقيقتها التاريخية والعقائدية، ومُبينًا كيف تم توظيفها وتحريفها،

ويؤكد فيه على سبيل المثال أن مصطلح "النصب" مصطلح حادث لم يرد في الكتاب والسنة، ويكشف أن مصطلح "الخوارج" أُطلق زورًا وبهتانًا على الأبرياء الذين كانوا قراءً وعبادًا، بينما خفيت حقيقة الذين كان من الواجب أن نطلق عليهم تلك الصفة، ثم يخلص إلى أن مفهوم "البغي" ومشتقاته وكيف تم تحريفه لخدمة أجندة مشبوهة غايتها الانتقام وتشويه الحقائق للنيل من الإسلام وأهله،

ويُشير في الوقت نفسه إلى أن هذه المصطلحات كانت بمثابة "حصان طروادة" تسللت إلى حصون أهل السنة، فبدلًا من أن يقاومها الكثير من أعلامهم، قاموا بالترويج لها وتبنيها من مصادر شيعية ضعيفة ومجهولة. هذا التلوث التاريخي المتعمد في بعض المواضع وغير المقصود في أخرى أدى إلى إضعاف هوية الأمة وتضليل قضيتها. لذلك سلطنا عليها الضوء لتصحيح تلك المفاهيم المغلوطة.

حقيقة "البغاة والخوارج والنواصب"، وعقائدهم، وأصل كل فرقة من فرقهم، وانتشارهم وحروبهم وغاياتهم، وكل ما يخص شأنهم، كل ذلك جعلناه مفصلاً في هذا السفر ومختصرًا قدر الإمكان، ونافعًا لمن يريد الاستبيان، وهو أول كتاب يَرُد برَدٍ معتبرٍ، ويتسلق المجد الأغر في الذود عن حقيقة تلك الفرق، وقد لاحظنا من خلال تتبعنا أن مؤلفات مثل هذه الكتب، وفي هذه الموضوعات بالتحديد كثرت من قبل الشيعة خاصة في القرون الإسلامية المبكرة، وتبعتها الحديثة منها، ودارت بين كتابهم وعلمائهم حتى

وصلت إلى عصرنا بل نادرًا ما تجد كتابًا يبحث في هذا الأمر إلا وكان صاحبه شيعيًا، أو ممن وافقهم في توجهاتهم وتأثر باتهاماتهم، حتى لو لم يكن منهم،

لذلك دعت الضرورة إلى تأليف ما يسترشد به لصد ما ذكرنا، وأتينا بالأدلة على ما نوهنا، خاصة وأن الغرماء استعانوا بها لتكفير وشتم أهل السنة واتهامهم بها، ووصل الحال بهم من خلال بهتانهم هذا إلى تدمير المدن الآمنة على رؤوس أهلها، وتشريدهم واستباحة أموالهم بل وقتلهم أينما ثُـقِفوا.

ولعظمة خطورة ما ذكرنا آلينا على أنفسنا تبيانها في سفرنا هذا، والتحذير مما يبنى عليها من أحكام، ونبذ ما رسخ في عقول البعض من أوهام، وتفصيل مقصدها ومنتهاها،

لقد اعتمدنا في هذا الكتاب منهجًا يقوم على أنه في حال غياب الحديث الصحيح أو الرواية الموثوقة أو الحوادث المثبتة من المصادر التاريخية، فإننا نستند في نقل وصياغة التاريخ الصحيح إلى عدة قواعد أساسية، أبرزها:

ـ التفسير المنطقي للأحداث.
ـ التسلسل الزمني الدقيق للوقائع.
ـ نقد الروايات الشيعية وتمحيصها.
ـ المراجعة الدقيقة للمتون والتحقق منها، حتى لو بدا سندها صحيحًا وقويًا.
ـ البحث عن أصل الرواية ومصدرها الأول، وتتبع من اعتمد عليها أو نقلها بعد ذلك.
ـ الأخذ بالروايات التي تتوافق مع مذهبنا ومنهجنا التحقيقي، حتى لو كان راويها أو كاتبها يُتهم بميل مذهبي أو فكري. فلا ينبغي أن نتهم أحدًا بشكل مطلق، لئلا يفوتنا الكثير من الحق الذي قد يكون ممزوجًا بالباطل في رواياتهم.
ومن الله التوفيق وعليه التوكل.

خليفة الدليمي

1447هـ/ 2025م

النَّصْب والنواصِب

تعريف النَّصْبِ، ومن هم النواصِبُ:

النَّصْبُ لغةً: من نَصَبَ الشيء أي: أقامه، ويقال: نَصَبَ فلانٌ لفلان نَصْبًا إذا قصد له، وعاداه، وتَجرّد له.

وأما النصب اصطلاحًا كما اشتهر: فيقصد به المعاداة والبُغض والانحراف والطعن في علي رضي الله عنه وأهل بيته وأحفاده، ومن تناسل منهم أو من أظهر الولاء لهم.

وعرف "النصب" بعض اللغويين ومنهم: ابن سيده والزمخشري وابن منظور والفيروزآبادي، وعلى هذا المنوال سار أبو البقاء الكفوي ومن بعده بتعريف النصب بأنه: بغض علي بن أبي طالب، والنواصب: قوم يتدينون ببغضة علي رضي الله عنه

ومن المعروف أن مصطلح النصب من المصطلحات المستحدثة التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة.

وعلى الرغم من صعوبة تحديد زمن ظهور هذا المصطلح بدقة، باعتباره مصطلحًا ذا مفهوم معين إلا أنه يمكن الجزم بأن ولادته كانت على أيدي الشيعة، وقد وجدنا أن أقدم النصوص التي استخدم فيها مصطلح النصب هي لبعضهم.

ولو عدنا إلى أقدم نص ذكر فيه (النصب) بعيدًا عن مصادر أهل السنة لوجدناه عند سليم بن قيس الهلالي[1] في كتابه الذي عزاه إلى اسمه، وقد ورد فيه لرواية يخاطب فيها الأشعث ويحاور علي رضي الله عنه وهي:

ـ والله لئن كان الأمر كما تقول لقد هلكت أمة محمد ﷺ غيرك وغير شيعتك...!؟

ـ فقال له علي رضي الله عنه: فإن الحق والله معي يا ابن قيس كما أقول، وما هلك من الأمة إلا الناصبون والناكثون والمكابرون والجاحدون والمعاندون، فأما من تمسك بالتوحيد والإقرار بمحمد ﷺ والإسلام ولم يخرج من الملة، ولم يظاهر علينا الظلمة، ولم ينصب

---

1 سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي (ولد حوالي 2 ق. هـ / 620 م – توفي 76 هـ / 695 م): ورد المدينة في سن الصِّبا أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وأدرك علي بن أبي طالب واشترك في حرب الجمل وصفين والنهروان. عاش في الكوفة إلى أن دخل الحجاج الثقفي العراق، وسأل عنه، فهرب إلى النوبندجان (من بلاد فارس) ولجأ إلى دار أبان بن أبي عياش، فآواه أبان، فمات عنده. له كتاب طبع باسم (كتاب سليم بن قيس) وهو من أوائل الكتب الشيعية ويعولون عليه، قال ابن النديم: «أول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي».

لنا العداوة، وشك في الخلافة ولم يعرف أهلها وولاتها، ولم يعرف لنا ولاية ولم ينصب لنا عداوة، فإن ذلك مسلم مستضعف يرجى له الله. أهـ

ثم نرى بعد حوالي قرن على وفاة الهلالي يأتي السيد الحميري[2] لينشد:

وما يجحد ما قلد قلت في السبطين إنسان
وإن أنكر ذو النصب فعندي فيه بـــرهان

وظل هذا المصطلح الجديد يدور رحاه في القرن الثاني، ويتداوله غلاة من حمراء الكوفة [3] وأشياعهم، ولكنه لم يشتهر بل ظل استعماله محدودًا.

يذكر بدر العواد في كتابه النصب والنواصب ما نصه: أن مصطلح النصب مصطلح حادث لا أصل له في كتاب الله ولا في سنة النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة، كما أنه لم يرد في كلام أي من المتقدمين الذين أرَّخوا للفتنة، وتناولوا أحداثها ابتداءً بمقتل الخليفة عثمان، ومرورا بالحروب التي نشبت بين أهل العراق وأهل الشام، وعلى الرغم من صعوبة تحديد زمن ظهوره بدقة باعتباره مصطلحًا ذا مفهوم معين إلا أنه يمكن الجزم بأن ولادته كانت على أيدي الشيعة، وذلك لأن أقدم النصوص التي استخدم فيها مصطلح النصب هي لبعض الشيعة، وأن بعض المتقدمين من أئمة السنة جعلوا جريانه على لسان إنسان ما علامة على رافضيته، مما يعني في عرف هؤلاء ارتباطه بفكر الشيعة واختصاصهم باستعماله بدلالة الإطلاق. أهـ

والذي يظهر لنا أن مصطلح "النَّصْب" لم يدخل إلى دائرة أهل السنة إلا في القرن الثالث الهجري، وذلك لأن أقدم النصوص التي جرى فيها استخدامه كان على لسان أحد أئمة الحديث، وأساطين الجرح والتعديل ألا وهو "ابن المديني"[4] حيث قال في معرض رده على الفرق: ومن قال "فلان ناصبي" علمنا أنه رافضي.
وأيده في ذلك أبو محمد الحسن البربهاري[5] حيث قال: إذا سمعت الرجل يقول فلان ناصبي، فاعلم أنه رافضي.

2 إسماعيل بن محمد بن يزيد بن مفرغ الحميري: أبو هاشم الملقب ب (السيد)، مولده سنة 161هـ، شاعر رافضي جلد على مذهب الكيسانية وقد أفرط في سب الصحابة، وقذف أمهات المؤمنين، كما أنه اشتهر عنه أنه كان يشرب الخمر، توفي سنة 173 هـ.

3 وهي أكبر جالية فارسية استوطنت الكوفة عقب تأسيسها، وتتكون من بقايا المهزومين من فلول جيش الفرس والحرس الكسروي، وقد عقدوا أمانًا مع سعد بن أبي وقاص ﷺ وشرطوا عليه أن ينزلوا حيث شاءوا، ويحالفوا من أحبوا وأن يفرض لهم العطاء. وهم حوالي أربعة آلاف جندي مع عوائلهم.

4 أبو الحسن المديني، له كتب في علل الحديث، والأسامي والكُنى، والتاريخ، وحديثه عند البخاري وأبي داود والترمذي والنسائي، توفي 234 هـ.

5هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (233 هـ / 329 هـ) عارض بنجاح تقدم المعتزلة في الخلافة العباسية خلال القرنين: الرابع والخامس من الهجري. ووقف كالطود الشامخ ضد تطلعات الشيعة ومؤامراتهم في حينها، فكان بحق مجاهداً لأهل البدع والأهواء مقارعاً دينهم الكسروي بلسانه ومؤلفاته وسنانه، ذُكر في كتاب طبقات الحنابلة أنه بلغ من كثرة أصحاب

ثم تبعهم بهذا الاستدلال كابر عن كابر من هذه الأمة، حتى وصل إلى المتأخرين منهم حيث نجد الشيخ عبد القادر الجيلاني [6] أنه قال "علامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة".

وفي القرن الرابع الهجري شاع التلفظ به، وازداد انتشار استخدامه بين الناس حتى وصل تداوله على ألسنة كثير من الناس ومنهم الشعراء.[7]

البربهاري أنه عطس وهو يجتاز بالجانب الغربي من بغداد، فشمته أصحابه، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة الراضي وهو في روشنه، فسأل عن الحال، فأخبر بها، فاستهولها.

بلغت شهرته الآفاق وذاع صيته في الأطباق حتى اجتمع إليه الخلق الكثير في حي الحنبلية ببغداد "قبل أن يغير تسميته الشيعة فيما بعد إلى حي الكاظمية"، ثم كثر حساده ومخالفوه فأوغلوا عليه قلب القاهر العباسي سنة 321 هـ فطلبه فاستتر، ثم لاحقه الخليفة العباسي الراضي بالله فاختفى في أحد البيوتات حتى وافاه الأجل وله من العمر ستة وتسعون عاماً.

وصلنا من آثاره المؤلفة كتاب: شرح السنة. وقد ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء فقال: البربهاري شيخ الحنابلة القدوة الإمام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الفقيه. كان قوالا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم.

قال ابن بطّة: إذا رأيتَ الرجُلَ البغداديّ يحبُّ أبا الحسن بنَ بشّار، وأبا محمد البربهاري، فاعلم أنّه صاحبُ سُنّة.

قال عنه ابن أبي يعلى: شيخ الطائفة في وقتَه، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع، والمباينة لهم باليد واللسَان، وكان له صيت عند السلطان وقدم عند الأصحاب، وكان أحد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول المتقنين والثقات المؤمنين.

وقال عنه ابن كثير: العالم الزاهد، الفقيه الحنبلي، الواعظ...وكان شديداً على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر تعظمه الخاصة والعامة.

6 الشيخ عبد القادر الكيلاني (470 – 561 هـ)، هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني الهاشمي، ولد في كيلان العراق قرب المدائن وبها لقب ومتوهم من نسبه إلى كيلان إيران، وهو فقيه حنبلي. وموقفه من التشيع يتضح لنا بصورة جلية في كتابه (الغنية): الذي ذكر فيه معتقده في الصحابة وفي أفضليتهم وعدالتهم، وفي ترتيب الخلافة على منهج أهل السنة، وعندما وصل لخلافة عثمان قال: (فكان إماماً حقًا إلى أن مات، ولم يوجد فيه أمر يوجب الطعنَ فيه ولا فسقه ولا قتله، خلاف ما قالت الروافضُ تبًّا لهم).

ثم تكلم عن نزاع الصحابة والقتال بين علي ومعاوية وأن كلا الفريقين ذهب إلى تأويل صحيح، ثم ذكر خلافة معاوية وقال: (فوجبت إمامته بعقد الحسن له، فسُمّي عامُه عام الجماعة، لارتفاع الخلاف بين الجميع، واتّباع الكلّ لمعاوية ﵁؛ لأنه لم يكن هناك منازع ثالث في الخلافة) ثم تكلم عن أمهات المؤمنين وأورد أحاديث في فضل الصحابة، وأحاديث في التشنيع على من سبهم.

7 انظر ديوان المتنبي وديوان ابن هاني الأندلسي وديوان ابن المعز لدين الله الفاطمي وديوان بديع الزمان الهمذاني وديوان الوأواء الدمشقي.

مفهوم النصب عند أهل السنة

من اللافت للنظر أن مفهوم النصب وتعريفه مع مرور الأزمنة وتقلب الأمكنة انحرف لصالح ما قرره وعرفه الشيعة، حتى أن كثيرًا من أهل السنة والجماعة: المتقدمين منهم والمتأخرين، وخاصة المتصدرين منهم للعلم والدعوة قد انحرفوا عن جادة صوابه وانعطفوا عن مقصده ولم ينتبهوا أو ينبهوا من جاء بعدهم من أن منبته كان شيعيًا وغرضه كان عدائيًا لأهل السنة.

وقد كان هذا المصطلح عند إطلاقه أو انطلاقه عائمًا لم يترسخ في الأذهان كما أرادوه وتقلب في الأوطان حسب معتقد مريديه، ولذلك نجد أن أبو زرعة[8] يقول (إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة فلا تشك أنه رافضي، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي فلا تشك أنه ناصبي)

بينما نجد الذهلي[9] قبله يذهب إلى مفهوم آخر منه حيث يقول: (لا تسألوه "يعني الإمام البخاري" عن شيء من الكلام" فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن عليه وقع بيننا وبينه، وشمت بنا كل ناصبي ورافضي)

ثم انتشر استخدامه على نطاق واسع وأصبح معروفًا بين الناس في بداية القرن الثالث الهجري، ويعطي دلالة أوضح تقترب مما أراده الشيعة، فقد ذكر الخطيب البغدادي في ترجمة القنبيطي المتوفى 304 هـ أنه قال لبعض من يرمى بالرفض:(لو أخذت معاوية على كتفك لقال الناس (رافضي) ولو أخذت عليًا على كتفي لقال الناس (ناصبي)[10]

وهنا نلاحظ أن النصب كان مصطلحًا مفهومًا على ما نوهنا عليه عند ابن المديني والبربهاري والجيلاني وعائمًا غير ذي دلالة محددة في مواطن أخرى لغير مقصده في هذه الفترة، وإلا ما دخل مكحول والأوزاعي في التعريف الذي تصدر ما ذكرناه ...!

ثم بظهور الدول الشيعية وتعاظمها وطول مكوثها في جسد الأمة وتداول كتابها وحكامها مصطلح النصب وأنه يعني معاداة علي رضي الله عنه وأهل البيت العلوي صار عند الناس عامة وأهل السنة خاصة أن هذا المفهوم طبيعيٌ وأنه يعني بالمحصلة ما ذكرنا.

---

8 أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، (210 هـ – 264 هـ)، محدث الري ومسندها من الأئمة في الحديث، ومن الحفاظ الثقات. وهو مولى عياش بن مطرف بن عبيد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي المخزومي.

9 أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب النيسابوري الذهلي. (172 هـ – 258 هـ) انتهت إليه مشيخة العلم بخراسان. وحديثه مخرج عن البخاري والأربعة، وله جمع حديث الزهري،

10 تاريخ بغداد (232/2)

ومثالًا على ذلك نجد ابن تيمية يبين في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة قائلًا عنهم: ويحبون أهل بيت رسول الإسلام ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الإسلام، ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، وأهل السنة والجماعة يمسكون عما شجر بين الصحابة. [11]

بل وذهب أيضًا إلى إعطاء النصب صورًا أخرى، ومنها الغلو في يزيد فيقول: ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة على رعاية حقوق الصحابة والقرابة، وتبرّؤوا من الناصبة الذين يكفّرون علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويفسّقونه، وينتقصون بحرمة أهل البيت، مثل من كان يعاديهم على الملك، أو يعرض عن حقوقهم الواجبة، أو يغلو في تعظيم يزيد بن معاوية بغير الحق. أهـ

وهنا لنا وقفة مع ما أورده فنقول: إن كان قصد ابن تيمية بالذين يؤذون أهل البيت قد جعلهم في رهط النواصب، فالروافض أحق بحمل هذه الصفة لتناولهم الطعن بأمهات المؤمنين وهن كما لا يخفى عليه وعلى غيره المخاطبات بقوله تعالى:" وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"[12]

أما يزيد وتعظيمه فذاك شأن آخر، ولا نعرف بالضبط حدود التعظيم من عدمه حتى نقف عند حده ولا نتجاوزه الى النصب كما رآه ابن تيمية.

يقول بدر عواد[13]: وما زال أهل العلم قديمًا وحديثًا لا يذكرون حرفًا واحدًا عن النصب عند كلامهم على حكم رمي عائشة رضي الله عنها بالإفك بعد أن برأها الله منه، وأما ما يفهم من قول ابن تيمية: "يؤذون أهل البيت بقول أو عمل" من التعميم فمراده بـ (أهل البيت) علي وذريته فقط، فهو من باب إطلاق العموم وإرادة الخصوص.أهـ

يقول محمد المكي[14]: أنت عندما تستعمل هذا المصطلح "النواصب" وتنشره بين أهل السنة، فأنت توهم أهل السنة بأن أهل البيت ليس هم زوجات النبي ﷺ وبني هاشم وإنما هم البيت العلوي. أهـ

---

11 انظر العقيدة الواسطية ـ مجموع الفتاوى (154/3)

12 الأحزاب/ 33

13 وهو الدكتور بدر بن ناصر بن محمد العواد، أكاديمي سعودي، من المعاصرين في زماننا، أستاذ مساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم، له كتاب "النصب والنواصب" وهو بالأصل بحث لنيل درجة الماجستير.

14 من الدعاة المعاصرين، خريج كلية الشريعة جامعة أم القرى، مهتم بدعوة الشيعة الإمامية، له قناة على اليوتيوب.

ونقول هنا: إن القادح في صحابة النبي ﷺ أو واحد منهم، ومنهم علي رضي الله عنه قد فصل علماء الإسلام فيه بما هو أشد من النصب ..!؟

وهنا نتساءل لماذا من عادى عليًا رضي الله عنه خصوه بالنصب ولم يخصوه مثلًا بالرفض..!؟ أليس هو أحد الصحابة...!؟ أم أن هذه الخاصية وضعت مفصلة من قبل الشعوبية حتى يجعلوا من هذا الأمر قنطرة للتشيع ومناعة لمشروعهم.

ونجد أن أحمد بن حنبل ينهي عن مكالمة من لم يربع بعلي في الخلافة، فكيف بما هو فوق ذلك.[15] وقد أورد ابن أبي يعلى عن أحمد قال: (من لم يربع علي بن أبي طالب الخلافة فلا تكلموه، ولا تناكحوه)[16] بل إنه ذهب إلى أكبر من ذلك كما ورد عن ابن الجوزي عن أحمد أنه قال: (من لم يثبت الخلافة لعلي فهو أضل من حمار أهله)[17]

ثم نعود بسؤال أهم، ألا وهو: هل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام بالإضافة إلى عائشة ومعاوية وعمر بن العاص وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم من الذين قاتلوا عليًا رضي الله عنه قد دخلوا بتحصيل حاصل تحت مظلة النصب و(العياذ بالله) حسب تعريف واستدلال ما تم تعريفه عند بعض العلماء الذين ذكرناهم ..!؟

ثم نأتي الى العلماء المتأخرين من أهل السنة الذين اتبعوا المتقدمين القذى بالقذى في تعريف النصب ومفهومه، فنجد أن الشيخ ابن عثيمين يعرف النواصب بأنهم: الذين ينصبون العداء لآل البيت، ويقدحون فيهم، يسبونهم، فهم على النقيض من السنة. أهـ

واللافت للنظر هنا أن مصطلح "آل البيت" الذي استخدمه الشيخ ابن عثيمين لم يرد في كتاب ولا سنة...!؟ أما إذا كان الشيخ ابن عثيمين يقصد "أهل البيت" فهو مبحث آخر والمقصود به زوجات النبي ﷺ.

جاء في كتاب شرح العقيدة الطحاوية للشيخ ابن جبرين:
النواصب: هم الذين يضللون عليًا وذريته، أو من كان قريبًا منهم، ويميلون إلى بني أمية أو إلى من والاهم، وسموا نواصب؛ لأنهم نصبوا العداوة لأهل البيت. أهـ

ورد ذلك أنه لم نجد من السنة من يقول بضلال علي رضي الله عنه وذريته أما من كان قريبًا منهم ففي هذا الأمر نظر، وكيف لا ؟ وقد كان قتلة عثمان وميليشياتهم أقرب من حبل

---

15 انظر طبقات الحنابلة والمغني.

16 أنظر طبقات الحنابلة (45/1)

17 مناقب الإمام أحمد ص163، ط/ دار الآفاق

الوريد إليهم، وهم معهم، ناهيك عن الكذابين والوضاعين من الرواة والبغاة، وأما القول بالميل إلى بني أمية فهذا لعمرك منزلق خطير وفخ كبير، وقد مال لهم ووالاهم بل وصاهرهم النبي ﷺ وكان منهم جلّ الصحابة وخيار التابعين ويتقدم بني أمية ذو النورين وسيدة من أمهات المؤمنين وكاتب وحيه الأمين، فإذا كان من مال لهم واتّبعهم ناصبي فماذا نقول إذن عمن ذكرناهم "والعياذ بالله"..!؟

ونتذكر هنا ابن تيمية حيث قال: أما شيعة علي الذين شايعوه بعد التحكيم وشيعة معاوية التي شايعته بعد التحكيم، فكان بينهما من التقابل وتلاعن بعضهم وتكافر بعضهم ما كان.[18] أهـ

بل إن كثيرًا من أهل الحديث البصريين وغيرهم لا يربعون بخلافة علي، ولا يصححون بيعته العامة، بل يقولون "لم يكن في ذلك الزمان إمام عام، بل كان زمان فتنة"[19]، وكان بالأندلس كثير من بني أمية يذهبون إلى هذا القول، ويترحمون على علي ويثنون عليه لكن يقولون: لم يكن خليفة، وإنما الخليفة من اجتمع الناس عليه، ولم يجتمعوا على علي ..!؟

وكان من هؤلاء من يربع بمعاوية في خطبة الجمعة فيذكر الثلاثة ويربع بمعاوية، ولا يذكر عليًا، ويحتجون بأن معاوية اجتمع عليه الناس بالمبايعة بما بايعه الحسن، بخلاف علي فإن المسلمين لم يجتمعوا عليه.

وقريب من هؤلاء من توقفوا في صحة إمامة علي فلم يثبتوها ولم ينفوها للعلة ذاتها وهي افتراق الناس عليه.[20]

فكيف الحال هنا وما هو الحكم مع هؤلاء الأجلاء إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما أفتاه ابن عثيمين وابن جبرين .. !؟

جاء في كتاب شرح الواسطية ليوسف الغفيص ما نصه:

"النواصب ليسوا أهل السنة كما زعمت الشيعة، وليس النواصب هم بنو أمية، إنما النواصب هم من ناصب أهل البيت العداء أو قصد الطعن عليهم، فهذا يسمى ناصبيًا، سواء أكان من بني أمية أم كان من السنة غيرهم؟ فكل من ناصب "آل البيت" العداء أو طعن فيهم فهو يسمى ناصبيًا أيًّا كان اتجاهه، أما تصنيف سائر بني أمية بأنهم نواصب فهذا غير صحيح وهو من تصانيف الشيعة. أهـ

فهل رأيتم قفل أُقفلت بهِ العقول وأُغلقت بهِ الأفهام بمثل هذا القفل؟ وتبعته العديد من الأقفال التي كانت ولا زالت تصد عن التنبيه وتمنع عن التنويه، وقد تاه صاحبها ما بين "أهل البيت" و"آل البيت" والمراد الظاهر منها تقديس ما يقدسه الشيعة والامتناع عما منعوه والبناء على ما أسسوه.

---

18 مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (4/436)

19 منهاج السنة النبوية (573/1)

20 انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية

وقد ذهب بعض الباحثين إلى جعل الروافض نواصبَ، فقد جاء في كتاب (قمع الدجاجلة) لعبد العزيز بن فيصل الراجحي قوله: وما أقرب باب النصب من باب الرفض بل إن كل رافضي ناصبي وكل ناصبي عند التحقيق رافضي، فالرافضة تبرأت من سبط رسول الله ﷺ الحسن بن علي وسمته "بمُسَوِّد وجوه المؤمنين" وكذلك طعنوا في بعض زوجات النبي ﷺ.

وجاء في كتاب (شرح الحموية) لابن تيمية وهو من تأليف عبد العزيز بن عبد الله الراجحي قوله:
" الروافض يكفرون الصحابة ويعبدون آل البيت، ويسمون أهل السنة نواصب، ويقولون إنهم نصبوا العداوة لأهل البيت وهم كذبة، فأهل السنة يتولون ويحبون أهل البيت والصحابة جميعًا، لكن لما كان أهل السنة يوالون الصحابة سمّوهم نواصب، لأنهم يقولون " لا ولاء إلا بالبراء" وهذه قاعدة عندهم فلا يتوالى أحد آل البيت إلا بعد أن يتبرأ من أبي بكر وعمر، فمن لم يتبرأ منهما سموه ناصبيًا. أهـ

ونختم هنا بما ذهب إليه الشيخ الدكتور طه الدليمي[21] وهو القول الفصل في هذا الأمر عن تعريف مفهوم "النصب" عند أهل السنة الذين وعوا وتنبهوا مما دس عليهم وقال عنه بأنه: مفهوم دخيل شيعي انتقل إلى أوساط أهل السنة، فتبنته الجماهير وصار مفهومًا سنيًا، وهذا التنابز بهذا المفهوم انتقل من الشيعة إلى السنة، ويؤكد أن مصطلح النصب مصطلح رافضي شيعي انتقل إلى أهل السنة لاحقًا.

ونستدرك هنا ما تساءل عنه محمد المكي بقوله: هل النصب والنواصب هو العداء لأهل البيت أو العداء للبيت العلوي؟ !! إذا كان المقصود هو العداء للبيت العلوي إذن لماذا توهم أهل السنة بهذا الإطلاق بأن أهل البيت هم البيت العلوي؟!! ثم يسأل قائلًا: لذلك هذا أصبح منتشرًا الآن إذا سمعت أهل البيت لا يتبادر إلى ذهن السني إلا البيت العلوي، لماذا...؟ بسبب هذه المفاهيم الشيعية المدخلة على أهل السنة. أهـ

وللأسف نلاحظ أن بعض أهل السنة لهم هزيمة نفسية، وخاصة الذين يتقدمونهم من الدعاة وأصحاب الرأي يقولون: أن هناك روافض ونواصب، ونحن نتبرأ من الاثنين، بينما لم نشاهد شيعيًا واحدًا قال مثلما قالوا وتبرأ من الاثنين ..!؟

21 هو الشيخ الدكتور طه حامد مزعل الدليمي ولد 22 أبريل 1960م، الموافق 27 شوال 1379 هـ، وهو طبيب قبل أن يصبح مؤسسًا للتيار السني في العراق وأحد دعاة فيدراليته والمنادي بالإقليم السني، له أكثر من ستين مؤلف تتجه جلها في الدفاع عن السنة والتصدي للشيعة وفضح مؤامراتهم، له قدم السبق في تصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة والخروقات الدفينة والدس والتزوير الذي أصاب التراث السني وأدبياته ورواياته وأحاديثه وبالأخص تاريخه من جراء ما تم وضعه من قبل الشيعة وأعوانهم، وله صولات معروفة على الفضائيات وحجج دامغة على مواقع التواصل الاجتماعي قمع بها دجاجلة الدين الشيعي.

ونلخص هنا التعاريف التي أوردناها لعلماء ودعاة السنة وباحثيهم حول "النصب" فنقول:

ـ من قال فلان ناصبي فهو رافضي: قال به ابن المديني والبربهاري والشيخ عبد القادر الجيلاني
ـ هو الطعن بمكحول والأوزاعي: قاله أبو زرعة

ـ بغض عليٍّ رضي الله عنه قال به ابن سيدة والزمخشري وابن منظور والفيروزآبادي وشعيب الأرنؤوط وزاد "موالاة معاوية"[22]، وعلى هذا المنوال سار أبو البقاء الكفوي وغيرهم من بعض اللغويين.

ـ بغض علي رضي الله عنه وتقديم غيره عليه: قال به ابن حجر العسقلاني
ـ هم الذين يؤذون أهل البيت[23] بقول أو عمل: قال به ابن تيمية
ـ أنهم الذين نصبوا العداوة لأهل البيت[24]: قال به ابن جبرين وابن عثيمين ويوسف الغفيص
ـ الروافض هم النواصب: قال مالك بن أنس إمام دار الهجرة: (أهل الأهواء كلهم كفار، وأسواهم الروافض، قيل: النواصب ..؟ قال: هم الروافض، رفضوا الحق ونصبوا له العداوة والبغضاء)[25]
ـ مفهوم شيعي دخيل انتقل إلى أوساط أهل السنة: قال به طه الدليمي ومحمد المكي.

ولو سلمنا بما ذهب إليه ابن تيمية وابن حجر وابن سيده والزمخشري وابن منظور وابن عثيمين وغيرهم من تعريفات النصب فإننا نقع في إشكال ومشكلة، أما الإشكال فيكمن في أن تعاريفهم هذه تمس أمهات المؤمنين والصحابة الأجلاء، وأما المشكلة فهي الطعن بعدالتهم وهم:

1- أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنه
2- طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه
3- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
4- الزبير بن العوام رضي الله عنه
5- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
6- زيد بن ثابت رضي الله عنه

22 كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ـ "طبع مؤسسة الرسالة" ـ الجزء 18 ـ ص.201 ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم.
23 ويقصد به هنا البيت العلوي وليس البيت النبوي
24 ويقصدون به هنا البيت العلوي وليس البيت النبوي
25 نقله القاضي عياض في ترتيب المدارك.

7- عبد الله بن عمر بن الخطاب ﵁

8- حسان بن ثابت ﵁

9- مجاشع بن مسعود ﵁

10- المغيرة بن الأخنس ﵁

11- أبو هريرة ﵁

12- أبو الغادية الجهني ﵁

13- عمرو بن العاص ﵁

14- عقبة بن عامر الجهني ﵁

15- معاوية بن حديج ﵁

16- عبد الله بن أبي السرح ﵁

17- مسلمة بن مخلد ﵁

18- أسامة بن زيد ﵁

19- سعيد بن زيد ﵁

20- عبيد الله بن عمر بن الخطاب ﵁

21- محمد بن مسلمة ﵁

22- عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ﵁

23- يعلى بن أمية ﵁

24- عبد الله بن عامر بن كريز﵁

25- سعيد بن العاص ﵁

26- الوليد بن عتبة ﵁

27- أبو موسى الاشعري (انشق عن علي) ﵁

28- أبو مسعود البدري (انشق عن علي) ﵁

29- حبيب بن مسلمة الفهري ﵁

30- عبد الرحمن بن أبي بكر ﵁

31- ثوبان مولى رسول الله ﷺ

32- حكيم بن حزام بن خويلد ﵁

33- زمل بن عامر رضي الله عنه
34- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
35- خارجة بن حذافة رضي الله عنه
36- النعمان بن بشير رضي الله عنه
37- عبد بن كثير رضي الله عنه
38- سمرة بن جندب رضي الله عنه
39- الصمة بن قيس رضي الله عنه
40- الضحاك بن قيس رضي الله عنه
41- عدي بن عميرة رضي الله عنه
42- فضالة بن عبيد الله رضي الله عنه
43- عمرو بن يثربي الضمري رضي الله عنه
44- أبو الأعور السلمي رضي الله عنه
45- شرحبيل بن السمط رضي الله عنه
46- كعب بن عجرة رضي الله عنه
47- كعب بن مالك رضي الله عنه
48- مروان بن الحكم رضي الله عنه
49- عبد الله بن الزبير رضي الله عنه
50- عبد الله بن جرير البجلي رضي الله عنه
51- سماك بن مخرمة رضي الله عنه
52- حنظلة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
53- عبادة بن أوفى رضي الله عنه
54- عبد الله بن المعتم العبسي رضي الله عنه
55- عقيل بن أبي طالب (انشق عن علي) رضي الله عنه
56- عبد الله بن عباس (انشق عن علي) رضي الله عنه
57- الأشعث بن قيس (انشق عن علي) رضي الله عنه
58- عمرو بن أبي سلمة (انشق عن علي) رضي الله عنه

59- النعمان بن عجلان (انشق عن علي) رضي الله عنه

60- وائل بن الحضرمي رضي الله عنه

61- بسر بن أبي أرطأة رضي الله عنه

62- عمرو بن حزم الانصاري رضي الله عنه

63- حمل بن سعدانة رضي الله عنه

64- سلمة بن وقش رضي الله عنه

65- المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

66- سفيان بن عوف الغامدي رضي الله عنه

67- علقمة بن جنادة الازدي رضي الله عنه

68- عبد الله بن حوالة الازدي رضي الله عنه

69- حمزة بن مالك الهمداني رضي الله عنه

70- زميل بن ربيعة الضبي رضي الله عنه

71- صحار بن عباس العبدي رضي الله عنه

72- الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه

73- عتيبة بن النهاس رضي الله عنه

74- حابس بن سعد الطائي رضي الله عنه

75- كريب بن أبرهة بن الصباح رضي الله عنه

وقد ذهب الذهبي في هذا الصدد إلى أبعد مما ذكرناه عما قاله بعض المتصدرين من أهل السنة، والذين ربما لم يلتفتوا لهذا الأمر ابتداءً وأخذوا تعريف النصب بعمومه، فأكد مفصلاً على أتباع معاوية والصحابة قائلاً:
"خلَفَ معاوية خلق كثير يحبونه ويفضلونه، قد ملَكَهم بالكرم والحِلم والعطاء، وتربى أولادهم على ذلك، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد من التابعين والفضلاء حاربوا معه أهل العراق، ونشأوا على النصب نعوذ بالله من الهوى"[26] ...!؟

---

26 سير أعلام النبلاء ـ الذهبي، وهنا نلاحظ أن الذهبي يطعن في معاوية 0 والصحابة الذين كانوا معه وعموم أهل الشام ويصفهم بالنواصب ...!؟ والذهبي هنا لم يُشر نهائيًا إلى عدل معاوية بين الرعية وحكمته السياسية وجهاده في سبيل اللّه، وقد أتهم من كانوا مع معاوية بتهمة "النصب" والعياذ باللّه، مع اعتراف الذهبي نفسه أن من بينهم صحابة ...! ومن ذلك لا يتورع بوصفهم بالنواصب ...! لماذا فقط لأنهم رأوا أن الحق مع معاوية وقاتلوا معه في صفين !ولاحظوا أنه لم يستثني واحد منهم أبدًا ...!؟

والعجب أن بعض أهل السنة وعلمائهم ومنهم من ذكرنا آنفاً أنهم بطعنهم في أمهات المؤمنين والصحابة واتهامهم بالنصب قد وافقوا الرافضة في ذلك الطعن، وتشبهوا بهم من وجه آخر، وهو اعتقادهم أنهم يعظمون[27] ما ذكرنا بشكل جلي، بينما يطعنون بهم بغفلة بشكل خفي، وهذا ما عليه الشيعة اليوم؛ ففي الظاهر يُعظمون عليًا ومن معه، بينما نرى مصادرهم تصفه بالجبن، وبأنه دابة وبعوضة، وإلى غيرها من الأوصاف الشنيعة، وحاشاه رضي الله عنه،

إن اتهام الصحابة بالنصب والنواصب هو افتراء عظيم لا يمت بصلة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة. وهم خير القرون، ومحبتهم وتوقيرهم واجب على كل مسلم. أما مصطلح "النواصب"، فهو مصطلح دخيل صاغته الفرق الضالة، وعلى رأسها الشيعة، كما أشار إلى ذلك الشيخان طه الدليمي ومحمد المكي وأظهرا بأنه مصطلح صاغته الشعوبية، وبثه الشيعة حتى يفرقوا الأمة على أساس ولائهم المكذوب للبيت العلوي، ويتهموا كل سني أو غيره عند الاقتراب من الحقائق التاريخية أو مراجعة مواقف الصحابة في صدر الفتنة وما بعدها بأنه إذا ما حاول القدوم على غير منهجهم فإن هذا المصطلح يكون جاهزًا لاتهامه به، وتبين لنا أن كل من نبز المسلمين بهذا المصطلح فهو رافضي شيعي، كما قرره علماء السنة المتقدمون الذين ذكرناهم في مطلع بحثنا.

[27] إذ أن شعار أهل السنة ودثارهم هو الدفاع والذود عن الصحابة والاقرار بعدالتهم.

مفهوم النصب عند الشيعة

يقول نعمة الله الجزائري أنه قد روي عن النبي ﷺ أن علامة النواصب تقديم غير علي عليه.[28]

وجاء في شرح نهج البلاغة للراوندي أنه ادعى عن النبي ﷺ أنه سئل عن الناصب بعده قال: من يقدم على علي بغيره. أهـ

ونلاحظ هنا أن النصب عندهم معناه من يقدم على علي رضي الله عنه خليفة من الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وهو مذهب أهل السنة بلا خلاف، ومن هذه البداية نكتشف ابتداءً بأنهم يتهمون عامة أهل السنة بالنصب.

وقد نقل في (مستطرفات السرائر) من مكاتبات محمد بن علي بن عيسى أبي الحسن الثالث قال: كتبت إليه أسأله عن الناصب، هل أحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديم الجبت والطاغوت[29] واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب. اهـ

وليتهم توقفوا عند هذا بل نلاحظ هنا أنهم يتوسعون شيئًا فشيئًا بتعميم مصطلح "النواصب" وتعميم دائرته وبيان حدوده، فنرى جعفر بن الحسن الحلي[30] أنه عرف الناصبي بأنه: الذي يسب أو يعادي الأئمة الاثني عشر أو بعضهم. أهـ

والأئمة الاثنا عشر عندهم هم:

1- علي بن أبي طالب رضي الله عنه
2- الحسن بن علي رضي الله عنه
3- الحسين بن علي رضي الله عنه
4- علي بن الحسين "زين العابدين"
5- محمد بن علي "الباقر"

---

28 كتابه الأنوار النعمانية 2 / 307

29 يقصد بهما أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

30 جعفر بن يحيى الهذلي، أبو القاسم الحلي، فقيه أمامي من أهل الحلة في العراق مولده سنة 602 هـ، كان مرجع الشيعة الامامية في عصره.

6- جعفر بن محمد "الصادق"
7- موسى بن جعفر "الكاظم"
8- علي بن موسى "الرضا"
9- محمد بن علي "الجواد"
10- علي بن محمد "الهادي"
11- الحسن بن علي "العسكري"
12- محمد بن الحسن "المهدي"

ثم يتوسعون بتعريف الناصبي كما ذكرنا، فيخرجون من تفضيل علي إلى معاداة أئمتهم الاثني عشر، ومن ثم إلى معاداة أهل البيت، ونلاحظ هنا أن الشيخ يوسف البحراني يقول: "الناصب هو العدو لأهل البيت، والنصب لغة هو العداوة، وشرعا بل لغة أيضًا على ما يفهم من القاموس هو العداوة لأهل البيت".[31]

وقال الشيخ محمد حسن النجفي:
"ومن هنا كان الاقتصار في تفسير الناصب على ما سمعته من القاموس متجها، لكن قد يقوى في النفس تعميم الناصب للعدو لأهل البيت وإن لم يكن متدينًا به لتحقق المعنى فيه ولظهوره من الأخبار السابقة.[32]

ثم بعد استعراضاتهم لتصوراتهم وتعريفاتهم عن النصب، يبدؤون بتثبيت ما قاله الأولون منهم ليعرجوا بعدها بالطعن في رموز هذه الأمة حيث نجد الخوئي يقول عن النواصب بأنهم: " الفرقة الملعونة التي تنصب العداوة وتظهر البغضاء لأهل البيت كمعاوية ويزيد (لعنهم الله)".[33]

وهنا نتوقف قليلًا قبل أن نمضي في فصلنا هذا لنتساءل، هل وعى بعض أهل السنة، الذين يرددون اتهامات بالنصب ضد أبناء جلدتهم، أنهم هم أنفسهم (حسب تعريفات كبراء الشيعة) قد يعتبرون من النواصب، قبل أن يطلقوا هذا اللفظ على غيرهم من أبناء جلدتهم..!؟

وجاء في كتاب النصب والنواصب لمحسن المعلم: المشهور المعروف بين فقهائنا من معنى الناصب: هو المتظاهر بعداوة علي وكذا سائر بيت العصمة، وذكر العاملي أيضًا أن المراد بالناصب: هو من نصب العداوة لأهل البيت أو لأحدهم وأظهر البغضاء لهم صريحًا أو لزومًا، ككراهة ذكرهم ونشر فضائلهم والإعراض عن مناقبهم.أهـ

31 الحدائق الناضرة، ج5، ص 186
32 جواهر الكلام، ج6، ص 66
33 التنقيح في شرح العروة الوثقى، ج2، ص 75

وأيدهم هنا الميرزا جواد التبريزي في (صراط النجاة) بأن الناصب: هو الذي يظهر العداوة لأهل البيت.[34]
ثم يعقب السيستاني موافقاً لهم بفتواه ليعرف الناصب بأنه: من أعلن العداوة لأهل البيت.

ورب سائل يتساءل هنا، هل فِرق الشيعة عدا الاثني عشرية سيدخلون في مفهوم النصب **..!؟** ثم لو استثنينا السنة، هل كل من لا يؤمن بولادة، ووجود وظهور المهدي سيدخل في دائرة النصب بتحصيل حاصل مما ذكروا، ثم إن هنالك فرقًا ومنها الزيدية وغيرها التي تختلف مع الاثني عشرية، فهل هم أيضًا داخلون في دائرة النصب حسب ما ذكرنا **...!؟**

ومن المفارقات أن المعلم ذكر مدى آخر لمفهوم النصب في موضع من كتابه قائلًا: ووسع بعض الفقهاء في مصطلح النصب حتى شمل العداء لأتباع أهل البيت. أهـ

وهنا بلغ كبراء الشيعة وكتابهم مبلغ القصد ومربط الفرس من حقيقة ومفهوم النصب، ولماذا وضعوه؟ ولأجل أي غاية صاغوه؟ إلا وهي تحصين أصحاب الدين الشيعي ومشروعهم الشعوبي من أي نقد أو انتقاد أو مخالفة أو اعتراض عليهم، وإلا تهمة النصب جاهزة، وبذلك يغلفون أدواتهم بغطاء ديني، ويمررون أجندتهم بصراط مقدس، حتى إذا ما اعترض عليهم معترض أحالوه إلى النصب الذي هو بالباطن مربوط بهم، وبالظاهر هو مقفول على عداء علي وأهل بيته وذريته.

ويؤكد على ذلك صاحب كتاب (علل الشرائع) حيث ذكر عن أبي عبد الله أنه قال: " ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت؛ لأنك لا تجد رجلًا يقول: أنا أبغض محمدًا وآل محمد ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنكم تتولونا، وأنكم من شيعتنا.[35]

وروي أيضًا في الكتاب نفسه عن عبد الله بن سنان، عن الصادق، قال: ليس الناصب من نصب لنا (أهل البيت) لأنك لا تجد أحدًا يقول إني أبغض محمدًا وآل محمد ﷺ ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا.[36]

وقد ذهب العاملي[37] إلى أن الناصبي: هو الذي نصب العداوة لشيعة أهل البيت وتظاهر بالوقوع فيهم، كما هو حال أكثر المخالفين لنا في هذه الأعصار في كل الأمصار فلا

---

34 أنظر صراط النجاة ج 2 ص 413
35 انظر البحار ج69 ص131 وج27 ص233 وسفينة البحار 252/8
36 الحدائق الناضرة للبحراني الجزء 18 ص158, الوسائل ج 6 ص 339 حديث: 3
37 وهو زين الدين ابن الشيخ نور الدين علي بن أحمد الجُبعي العاملي (911 هـ – 965 هـ)

يخرج من النصب سوى المستضعفين منهم، والمقلدين والبله والنساء ونحو ذلك وهذا المعنى هو الأولى.[38]
وقال الشيرازي: الثالث مصادمة الخبرين المذكورين بالضرورة بعد أنْ فُسر الناصب بمطلق العامة.[39]
ومن هم العامــة ...!؟
يقول محسن الأمين: الخاصة وهذا يطلقه أصحابنا على أنفسهم مقابل العامة الذين يُسمّون أنفسهم بأهل السُنّة والجماعة.[40]

ويؤكد على ذلك نعمة الله الجزائري حيث يقول: بل أخبارهم (عليهم السلام) تنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم سنيًا، ثم قال في الصفحة نفسها: ولا جدال في أن المراد بالناصبة هم أهل التسنن.[41] ثم يضيف في موضع آخر: ويؤيد هذا المعنى أنَّ الأئمة وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله مع أنه لم يكن ممن نصب العداوة لآل البيت. بل كان له انقطاع إليهم، وكان يظهر لهم التودد، نعم كان يخالف آراءهم ويقول: قال علي وأنا أقول. ومن هذا يقوى قول السيد المرتضى وابن إدريس - قدس الله روحيهما- وبعض مشائخنا المعاصرين بنجاسة المخالفين كلهم نظرًا إلى إطلاق الكفر والشرك عليهم في الكتاب والسنة، فيتناولهم هذا اللفظ حيث يطلق، ولأنك قد تحققت أن أكثرهم نواصب بهذا المعنى.[42] أهـ

ويقول حسين آل عصفور[43]: لا كلام في أن المراد بـ (الناصبة) هم أهل التسنن.[44]

ويقول أيضًا "أنك عرفت سابقًا أنه ليس (النصب) إلا عبارة عن التقديم على علي.. بل أخبارهم (عليهم السلام) تنادي بأن (الناصب) هو ما يقال عندهم: سنيًا "[45]

إذن فالنواصب، حسب مفهوم كهنة دين الرافضة ودهاقنتهم ومن اتبعهم، مصطلح يشمل ويضم كل أهل السنة برمتهم حتى إن حسين الدرازي ذكر: "أن النواصب عند الشيعة هم أهل السنة"

---

38 محمد مال الله، موقف الخميني من أهل السنة، الجزء الأول.
39 موسوعة الفقه 38/33 ط2 ـ محمد الحسيني الشيرازي ـ دار العلوم اللبنانية
40 أعيان الشيعة 21/1 ط دار التعارف بيروت.
41 الأنوار النعمانية 2 / 147
42 الانوار النعمانية 307/2
43 حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور الدرازي البحراني هو عالم دين وفقيه ومُحدِّث ومُفسِّر شيعي بحراني بارز من كبار أعلام المدرسة الأخبارية في عصره. يُعرف بقوة حفظه واطلاعه الواسع في الفقه والحديث، ولد في قرية الدراز بالبحرين، حوالي عام 1135 هـ، وتوفي فيها عام 1216 هـ، ودُفن هناك.
44 المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية (147).
45 المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية (157).

ونستشهد هنا بما قاله ابن مدلل حيث أنشد:

ورواية أخرى إذا حشر الورى .... يوم المعاد رويت عن سلمان
للناصبي يقال: يا بن فلانة .... ويقال للشيعي يا بن فلان
كتموا أبا هذا الخبيث ولادة .... ولطيب ذا يدعى بلا كتمان[46]

ولم يكتف الشيعة بما ذكرنا بل تنازعوا في هذا الأمر، وذهبت فرقة الاثنا عشرية منهم مذهبًا أدانت به حتى مخالفيها من مذاهب الشيعة الأخرى، فاتهمتْهم بالنصب بل إن كل من مس أو همز أتباعهم، يُرمى ويتهم به. وهنا نجد يوسف البحراني يصرح بقوله: ينبغي أن يعلم أن جميع من خرج عن الفرقة الاثني عشرية من أفراد الشيعة كالزيدية والواقفية والفطحية ونحوها، فإن الظاهر أن حكمهم كحكم النواصب.[47]

ونلخص هنا ما ذهبت إليه مراجع الدين الشيعي وكهنته، من مبتدأ ما تعارف عندهم عن النصب إلى منتهاه في بحثنا هذا فنجد أنه:

ـ تقديم غيرعلي رضي الله عنه عليه: قال به الجزائري
ـ الذي يسب أو يعادي الأئمة الاثني عشر: قال به الحلي
ـ معاداة أهل البيت[48]: قال به البحراني والنجفي والعاملي والتبريزي والسيستاني
ـ الذي نصب العداوة لشيعة أهل البيت: قال به العاملي
ـ النواصب هم أهل السنة والجماعة: قال به الجزائري وحسين آل عصفور
ـ كل من خالف فرقة الإمامية الاثني عشرية كالزيدية والواقفية والفطحية وغيرها: قال به البحراني،

ونلاحظ هنا أن الجزائري والبحراني لهما قولان في هذا الشأن، وهذا دأب معظم علمائهم في كثير من المسائل، بل تجد أن لهم القول ونقيضه في كثير من الأحيان،
وهذا من مكرهم الذي يجعل المتلقي يتيه في دينه ودنياه فلا يُثَبِّتونه أو يَهدونه إلى صراط مستقيم،
وعلى العموم نلاحظ التوافق بين ما قرره علماء الشيعة مثل الجزائري والحلي، وانخدع وأخذ به بعض متصدري السنة حول تعريف مصطلح "النصب" فأخذوا به وأرسى دعائمه اللغويون[49] منهم، بل وحتى خرج إلى بعض فقهائنا ومنهم ابن حجر العسقلاني ..! هذا بخصوص التعريف المنحصر في بغض علي رضي الله عنه وتقديم غيره عليه،

---

46 أنظر الغدير، الشيخ الأميني ـ ج4 ـ ص 325
47 الحدائق الناظرة (189/5).
48 يقصدون البيت العلوي
49 كما أوردنا في بداية كتابنا مثل ابن سيدة والزمخشري وابن منظور والفيروزآبادي وعلى هذا المنوال سار أبو البقاء الكفوي وغيرهم من بعض اللغويين.

أما لو جئنا إلى توسعتهم بتعريف هذا المصطلح حتى شمل "معاداة أهل البيت" فنجد التناغم غير المقصود والتوافق غير المرصود بين ما قال به كبار الشيعة أمثال: البحراني والنجفي والعاملي والتبريزي والسيستاني، وبين ما ذهب إليه ووافقهم عليه علماء من أهل السنة ودعاتها بل وأعمدتها ولهم وزنهم مثل: ابن تيمية وابن جبرين وابن عثيمين ويوسف الغفيص ..!؟ من غير أن نعفيهم من العتب، وكيف لا، وهم حملة لواء السلف الصالح، وأحدهم يدافع عن أهل السنة بكل ما أوتي من قوة وعلم، ونستذكر هنا التفاتة محمد المكي[50] حيث نبه إلى ذلك قائلًا: إن خطورة التشيع تكمن في أنه لم يسلم منه علماء وأئمة كبار من أهل السنة، فوقعوا في بدعة التشيع. فليكن الحذر من بعض أهل السنة مهما بلغ علمه ومكانته، فقد يُصدَّر لك التشيع على أنه جزء من العقيدة السنية، حتى لو كان عنده مجهود كبير في مكافحة التشيع. أهـ

وبعيدًا عن النقد الحاد لا نتهمهم نحن بهذا الأمر، ولكن هذه تذكرة لكل أواب حتى لا يمنعه علو شأن الأسماء وصدارة العلماء من أن يبوح بالحق، والحق أولى من محبتنا لهم وتعظيمنا لشأنهم.

من المعروف أن حصان طروادة تمت صناعته من قِبل أعداء أهل طروادة، بخدعة قامت فكرتها على إخفاء مجموعةٍ من المحاربين داخله، وقد اعتقد أهل طروادة حينها أنّ هذا الحصان هو أحد غنائمهم من إحدى جولات حربهم فأدخلوه وسط حصن المدينة المنيع، ليخرج المحاربون منه ليلًا ويفتحوا أبواب المدينة لبقية المحاربين؛ لتكون نهاية طروادة.

نربط هذه القصة بأغرب منها وهي أن بعض علماء ومؤرخي الشيعة قد أدخلوا مصطلح "النصب" المختبئ في حصان طروادتهم إلى حصن أهل السنة، والأغرب من كل ذلك أنه عند خروج الأعداء بذلك المصطلح ليخترقوا حصن أهل السنة لم يقاومهم الكثير من أعلام أهل السنة بل قاموا بالترويج لهم والابتهاج بهم.

وكنا نعتقد أن علماء ودعاة السلفية الذين نعتبرهم خط الصد الأول في مجابهة الملوثات الشيعية وأدواتها، **إلا أننا** اكتشفنا - بعد بحث حثيث أنهم **كانت لهم حصة الأسد في عملية** نقل وإدخال تلك الملوثات للمعاقل السنية ومنها مصطلح "النصب" وما يتفرع منه، **وقد نشروها** بين أمصار وأجيال أهل السنة، وهذا ما لم نجده إلا في النادر عند بقية حركات ومذاهب وتيارات أهل السنة.

ونضيف هنا: إذا كان هذا المصطلح يقصد به الذين عادوا عليًا ومن تبعه أو تناسل عنه، وأظهروا له الموالاة، فقد جاء في "منهاج السنة" لابن تيمية: **"**فمعلوم أن الذين قاتلوه

50 ناشط وداعي ضد الشيعة والتشيع وله قناة يوتيوب خاصة بهذا الامر وعلى بقية مواقع التواصل الاجتماعي.

(أي عليًا ﷺ) ولعنوه وذموه من الصحابة والتابعين وغيرهم، هم أعلم وأدين من الذين يتولونه ويلعنون عثمان." اهـ

ونعود لما بحثناه في آخر هذا المبحث فنقول: ليس من المهم التركيز على تقدم تواريخ مواليد بعض علماء السنة، أو تأخرهم عن بعض علماء الشيعة، أو مسألة الأقدمية والتأخر فيما بينهم؛ حتى لا نبتعد عن صلب موضوعنا. ولكن المغزى هو المحصلة التي أفضت إلى نتائج تجعل السني يقتفي أثر علماء السنة ومتصدريهم، الذين صنفوا هذا المصطلح وعرّفوه، وقد ترسخ هذا المفهوم بالتالي في قناعاته وعقيدته. وهو في الحقيقة يعود في أصله للشيعة وكبرائهم الذين غذوا أتباعهم به وبما أرادوه من مفاهيم، فأخذها أهل السنة عنهم، وهنا تكمن الخطورة.

وقد عمد الشيعة، وفي مقدمتهم كتابهم ومؤرخوهم، إلى إغراق الذاكرة التاريخية بمصنفات وكتب، كان لها ولغيرها الأثر البالغ في جعل مصطلح "النصب" وتوابعه من المسلمات، وتم تصديره لأهل السنة على أنه من البديهيات، وعلى قاعدة "ما تكرر تقرر". وقد نجحت تلك الدوائر في سعيها وثبتت مرادها بسبب أمرين:

الأول: تكوين الهوية الشيعية وتثبيت ركن من أركانها، من خلال ترسيخ مفهوم أن هناك فاصلًا حقيقيًا وجدارًا حديديًا ما بين شيعتهم وبين السنة، الذين اختزلوهم ونعتوهم بـ "النواصب".

الثاني: الترويج لمصطلح "النصب" وتعميمه.

وكما ذكرنا في مقدمة كتابنا هذا، فإنه منذ القرون الإسلامية المبكرة وإلى عصورنا الحديثة، لا تجد كتابًا – إلا في حكم النادر – يبحث في هذا الأمر إلا وكان صاحبه شيعيًا، أو من وافقهم في رأيهم، أو صدّق اتهامهم واختلط عليه بهتانهم، واستعمل مصطلحاتهم حتى لو لم يكن محسوبًا عليهم. ومن هذه الكتب على سبيل المثال:

- الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب: يوسف بن أحمد البحراني
- العذاب الواصب على أرواح النواصب: نجم الدين الطوفي
- الشهاب الثاقب في رد ابن حجر والنواصب: محمد محفوظ الكاظمي
- مثالب النواصب: أبي عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب
- الشهاب الثاقب في رد النواصب في الإمامة: محمد البحراني القطيفي
- النواصب وخطرهم على الإسلام والمسلمين: أبو الفضل محسن إلزام الناصب بإمامة
- الشهاب الثاقب في رد النواصب: محمود بن محمد السجاسي القزويني
- مصائب النواصب في الرد على نواقض الروافض: نور الله التستري

ـ الشهاب الثاقب في رد النواصب: مولى محمود بن محمد التبريزي.
ـ رد شبهات النواصب عن الإمام الغائب: حسيني الهوى
ـ نواصب وروافض: حازم صاغية
ـ الإلزام الأبي في معرفة من هو الناصبي: أبو الوليد المهاجر
ـ النصب والنواصب: محسن المعلم
ـ الشهاب الثاقب لكل متعصب ناصب: علي بن يوسف
ـ مال الناصب: رسالة للعلامة المجلسي
ـ الشهاب الثاقب لنواصب الأئمة الأطائب: ملا محمد الشيرواني التبريزي
ـ مثالب النواصب: عبد الجليل بن محمد القزويني
ـ مصائب النواصب: نور الله الرعشي التستري

وغيرها من الكتب والرسائل التي روّجوا لها بخطط محكمة كما ذكرنا، وبتوالي الأزمنة في بداياتها ثم انتقلت إلى وسائل إعلامهم الحديثة حتى تمكنوا من مرادهم.

المتهمون بالنصب من الشخصيات والفرق والمواطن

من المعلوم أن جميع أهل الإسلام متهمون بالنصب من قبل الشيعة إلا أن أعلامه هم المستهدفون الأوائل به، وكيف لا؟ وهم نخبة الأمة وحماة دينها ونقلة شرائعها؛ لذلك نجد أنه عبر مراحل متتابعة من التاريخ أنهم قد وضعوهم في أعلى قائمة الاتهام، ابتداءً من أول الخلفاء وانتهاء بآخر العلماء، فضلًا عن مرورهم بالقادة من هذه الأمة والفضلاء، ومن الطبيعي أن تجد جل هذه الاتهامات تصدر من الرافضة ومن سار على نهجهم، على أهل السنة وخط صدهم الأول من نخبتهم، ولكن من الفواجع - والفواجع جمة - أنك تجد متصدري أهل السنة ومن المحسوبين عليهم من علمائها ومؤرخيها من يصنف و يلمز، بل ويتهم خيرة هذه الأمة بالنصب وهذا ما سنلاحظه باستعراضنا لهذه الاتهامات على حسب المراحل التاريخية، ونجد هنا أنه في القرن الأول من العصر الإسلامي اعتبر الشيعة أن من أعلن العداء لعلي ﵁ بفعل أو بقول يعد ناصبيًا، وانطبق هذا القول بتصورهم على الخلفاء الثلاثة وهم:

- أبوبكر الصديق ﵁
- عمر بن الخطاب ﵁
- عثمان بن عفان ﵁

ثم ألحقوا سادة الصحابة بهذه الصفة حيث اعتبر الشيعة الكثير منهم نواصباً، ووفقاً للروايات التاريخية أن الذين حاربوا عليا ونصبوا له العداء هم من دائرتهم ومن أشهرهم قادة معركة الجمل: الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعائشة بنت أبي بكر وأمهات المؤمنين، وأيضا منهم معاوية بن أبي سفيان وأبيه وأمه هند، وسعد بن أبي وقاص وابنه عمر، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو هريرة، وحسان بن ثابت، وأنس بن مالك، و عمرو بن العاص، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والمغيرة بن شعبة، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن أبي سرح، وعبد الله بن عامر، وكعب الأحبار. ﵃

ونقل عن شيخ المعتزلة أبي جعفرالإسكافي أنه قال: إن معاوية وضع قومًا من الصحابة وقومًا من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلًا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه ومنهم أبو هريرة.[51]

51 أنظر النصب والنواصب - محسن المعلم

ثم عمّم الشيعةُ ذلك النعت على عموم الصحابة، وتوزعت اتهاماتهم لهم: ما بين الدعم أو التواطؤ أو السكوت عن سلب الخلافة من علي رضي الله عنه حسب ادعائهم، عدا أربعة وهم: أبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن عمرو، وعمار بن ياسر.
ثم عرج الشيعة ولحقهم بعض من المحسوبين على السنة الذين اقتفوا أثرهم بتشديد ذلك الاتهام بالنصب بقصد أو بدون قصد، وذهبوا إلى ما أقره الشيعة وأصبحوا يقلدونهم القذى بالقذى بل وغالوا بهذا الأمر حتى ذهبوا إلى اتهام الخلفاء والأمراء وخاصة الأمويين منهم بالنصب، وعلى رأسهم الرعيل الأول ابتداءً من عثمان بن عفان إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

ثم عرجوا على ابنه يزيد الذي يتربع عندهم على مملكة النصب؛ بسبب حادثة قتل الحسين رضي الله عنه التي اتهموه بها، ثم يُتْبعونهم بالنصب على بقية خلفاء بني أمية مثل: مروان بن الحكم [52] رضي الله عنه وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك[53]، حتى ينتهوا إلى آخر خليفة منهم وهو مروان بن محمد، وحتى أمراء قرطبة من الأمويين لم يسلموا من هذا الاتهام، ثم أتوا إلى عمالهم على الأمصار وأمرائهم في الديار، ولكي لا نطيل عليكم سنسرد لكم بعض التفصيل عمن ذكرنا وكيف تم اتهامهم ..؟ ومن سعى لذلك الاتهام:

ـ يزيد بن معاوية[54]: أول من أشار إلى نصبه هو الذهبي فقال عنه أنه (كان ناصبيًا)، وتبعه بدر عواد في كتابه فقال عنه: (أفعاله الشنيعة مشهورة ومن أقبحها ما جرى في عهده من وقعة الحرة وفتنة مقتل الحسين). وهنا لنا وقفة أجزم بها أنهما بهذا القول قد طعنوا بأكثر من ستين صحابيًا بايعوا ولم ينشقوا حتى مماتهم وموته عنهم، ثم كيف لهؤلاء الذين اختارهم الله لرسوله من خيرة خلقه بعد أنبيائه أن يبايعوا، ويوالوا ناصبيًا ...!؟ ناهيك عن أن جيش يزيد عندما كان أميرًا ضم أجلاء الصحابة في غزواته، ومنها غزوة القسطنطينية، وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصاري، فكيف كانوا يرتضون أن يقودهم ناصبيًا...!؟ ثم حسب مفهوم النصب وهو معاداة أهل البيت في منظور تعريف البحراني والنجفي والعاملي والتبريزي والسيستاني، وما تسلسل عنهم من أقوال في هذا الشأن، ثم كيف يتزوج يزيد واحدة من (أهل البيت حسب مفهوم البيت العلوي) وهي أم محمد بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[55]...!؟ والزواج كما هو معروف يدل على المحبة والقبول والألفة والنسب من إحدى النساء اللواتي نسبوهن الشيعة إلى "أهل البيت" وهي وقومها من المفترض أن يكونوا على عداء معه..؟

52 كما يقول الذهبي: "في آل مروان نصب ظاهر سوى عمر بن عبد العزيز".
53 الخليفة هشام بن عبد الملك قال عنه "بدر عواد" أنه ناصبي. وسيأتي فصل عنه في هذا الكتاب.
54 هو أمير المؤمنين أبي خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان 4 ولد في 23 رمضان 26 للهجرة ومات يوم الثلاثاء في 14 ربيع الأول 64 للهجرة، تولى الخلافة بعد وفاة والده في سنة 60 للهجرة، كان بالإضافة لخلافته الراشدة شاعرًا فصيحًا، خطيبًا، كريمًا شجاعًا، غير متكلف في حياته، وهو يُعتبر من النسابين الخبراء في النسب، وهو رأس الطبقة الثانية في طبقات النسابين.
55 تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر – ج 70 – الصفحة 261

وهل تعلم من زوجة حفيد يزيد بن معاوية وهو عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية زوجته هي نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ﵁ ، وقد ولدت له عليًا وعباسًا[56] وفي هذا النسب أصبح يزيد هو نفسه من نسل الذين يسمونهم "أهل البيت" بمقياس وتراتبية ما هو متعارف عليه بين الشيعة وبعض المغفلين من أهل السنة، وإلا فكيف يأتي أحدهم في أزمتنا وما قبلها ويقول لك: أنا ابن رسول الله، مع أنه إن صح نسبه فتسلسل أجداده يعود لعلي ﵁ وليس لفاطمة بنت النبي ﷺ قال تعالى "ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ" وكما هو متعارف عليه أن شجرة أنساب العوائل عند العرب لا تحتوي على نساء البتة فكيف جاؤوا بما ليس متعارف عليه إلا أن يكون هذا التلصيق أعجميًا.

ولم يقل لنا الذهبي من أين جاء بتهمة النصب على عواهنها ليزيد، بخلاف بدر عواد الذي عزاه إلى وقعة الحرة التي لم تثبت ما دار فيها،[57] وقتله الحسين الذي لم يثبت أيضًا.[58]

---

56 تاريخ دمشق - ابن عساكر - الجزء: 70 صفحة: 142

57 ورد في كتاب يزيد بن معاوية "حياته وعصره" للدكتور عمر سليمان العقيلي وكتاب صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية لفريال بنت عبد الله حيث ناقشت بأسلوب علمي وظهرت بنتيجة واحدة، وهي عدم ثبوت صحة واقعة الاستباحة للمدينة. ولذا فقد أجمع الكثير من الكتاب والمؤرخين أن حادثة الأمر باستباحة المدينة أو إباحتها فعلا، وقتل الصحابة فيها بتلك الصورة لم يكن ولم يحدث، ولكن قد حدثت بعض المناوشات المحدودة التي لم تتعدى السويعات وهذا طبيعي بين جهة شقت عصا الطاعة وجهة تسعى لفرض الاستقرار، وقد روى حادثة الحرة البياسي دون سند ويظهر أنه نقلها من الطبري، والطبري بدوره سند أخباره إلى روايات هشام بن محمد الكلبي وأبي مخنف الأزدي ولأبي معشر وعبد الملك بن نوفل بن مساحق. فأما هشام فهو رافضي سبئي مرفوض من قبل علماء الحديث والفقه، وأما أبو مخنف فهو شيعي مغال وهو متروك عند أهل الحديث والعلماء وأما أبو معشر فليس بشيء عندهم بل مجروح ومتروك الحديث. فلا يمكن أخذ حقائق التاريخ من أفواه من طُعن في صدقهم في المرويات عنه ﷺ وأما عبد الملك بن نوفل فأنه مات قبل مولد الطبري بوقت طويل وهو منقطع عنه، وقد كان والده نوفل بن مساحق عاصر زمن يزيد وكان في جيشه يوم الحرة سنة 63 هـ والطبري ولد سنة 224هـ، فهل أدرك الطبري وحدثه فروى عنه ...!؟

58 قال أبو حامد الغزالي "ε": و قد صح إسلام يزيد بن معاوية و ما صح قتله الحسين ولا أمر به ولا رضيه ولا كان حاضرًا حين قتل، ولا يصح ذلك منه ولا يجوز أن يُظن ذلك به، فإن إساءة الظن بالمسلم حرام و قد قال اللّه تعالى {اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم} [الحجرات/12]، و من زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين أو رضي به، فينبغي أن يعلم أن به غاية الحمق، فإن من كان من الأكابر والوزراء، و السلاطين في عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله و من الذي رضي به و من الذي كرهه لم يقدر على ذلك، و إن كان الذي قد قُتل في جواره و زمانه و هو يشاهده، فكيف لو كان في بلد بعيد، و زمن قديم قد انقضى، فكيف نعلم ذلك فيما انقضى عليه قريب من أربعمائة سنة في مكان بعيد، و قد تطرق التعصب في الواقعة فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب فهذا الأمر لا تُعلم حقيقته أصلا، و إذا لم يُعرف وجب إحسان الظن بكل مسلم يمكن إحسان الظن به.

زياد بن عبيد الثقفي

وضعه بدر العواد فيمن "ثبت النصب عنه"[59]ونسبه بتسمية "زياد بن أبيه" كما سموه كتبة الشيعة ودهاقنتهم من قبل، ودسوا ذلك في أدبيات كتب أهل السنة فاستنسخ منهم ذلك النعت الذي يطعن بنسبه بعض مؤرخيهم، ثم تعمدت دائرة التزوير الشعوبية فعزوه إلى "أبي سفيان"رضي الله عنه وصدقهم من صدقهم بهذه الأكاذيب وألفوا قصص بتلك الفرية وسنرد سبب ذلك الافتراء ونرد عليه ...!؟

وعندما نأتي إلى سيرة زياد بن عبيد الثقفي[60] فسوف نجد أن أول بزوغ لنجمه كان في ريعان شبابه حيث بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إصلاح فساد وقع باليمن، فرجع وقد أجاد وأفاد وخطب خطبة لم يسمع الناس بمثلها،[61] وكيف لا وهو الذي قال عنه الشعبي: ما رأيت أحد أخطب من زياد.

ويذكر أيضًا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استدعاه من البصرة، فخرج عمر رضي الله عنه وزياد بالباب قائماً وعليه ثياب بياض كتان، فقال: ما هذه الثياب؟ فأخبره، فقال: كم أثمانها؟ فأخبره بشيء يسير فصدقه، ثم ما زال عمر يسأله حتى سأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده فقيهًا، فرده وأمر أمراء البصرة أن يسيروا برأيه،[62] وقد استعمله على بعض صدقات البصرة وبعض أعمالها [63]

قال الشعبي وغيره: أقام علي رضي الله عنه بعد وقعة الجمل بالبصرة خمسين ليلة، ثم أقبل إلى الكوفة، واستخلف عبد الله بن عباس على البصرة، قال: فلم يزل ابن عباس على البصرة حتى سار إلى صفين، واستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة بالبصرة، واستخلف زيادًا على الخراج وبيت المال والديوان وقد كان استكتبه قبل ذلك، فلم يزالا على البصرة حتى قدم من صفين.

وفي تاريخ الطبري عن الشعبي: لما انتقض أهل الجبال وطمع أهل الخراج في كسره، وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس، وكان عاملا عليها لعلي رضي الله عنه قال ابن عباس رضي الله عنه لعلي رضي الله عنه أكفيك فارسَ. فقدم ابن عباس رضي الله عنه البصرة، ووجه زيادًا إلى فارس في جمع كثير، فوطئ بهم أهل فارس، فأدوا الخراج.

وعن ابن كثير: إن عليًّا رضي الله عنه استشار الناس في رجل يوليه فارس حين امتنعوا من أداء الخراج، فقال له الصحابي جارية بن قدامة رضي الله عنه: ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل

---

59 النصب والنواصب دراسة تاريخية عقدية – بدر ناصر العواد

60 ولد عام هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ومات في رمضان سنة ثلاث وخمسين.

61 الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر

62 مختصر تاريخ دمشق – ابن منظور

63 الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر

صليب الرأي، عالم بالسياسة، كافٍ لما ولي؟ قال: من هو؟ قال: زياد. قال: هو لها، فكتب إليه: أما بعد، وليتك الذي وليتك، وأنا أراك له أهلًا، فولّاه فارس وكرمان، ووجهّه في أربعة آلاف، فدوّخ تلك البلاد حتى استقاموا. وقام بضبطها، وحمى قلاعها، وأباد الأعداء بناحيتها، وحُمد أثره فيها، حتى توفي علي بن أبي طالب ﷺ وزياد عامله عليها.

ومما يرويه الطبري عن شيخ من شيوخ أهل إصطخر قال: (... سمعتُ أبي يقول: أدركت زيادًا وهو أمير على فارس، وهي تَضْرَمُ نارًا، فلم يزل بالمداراة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة، ولم يقف موقفا للحرب، وكان أهل فارس يقولون: ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنو شروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة والعلم بما يأتي).[64]

وبعد أن آلت الخلافة إلى معاوية ﷺ جعل زياد واليًا على البصرة، ثم أضاف إليه ولاية الكوفة فأدب (حمراء الكوفة) وأخمد الفتن فيها كما فعل من قبل بالبصرة، ورحل عنهما خمسون ألفًا من موالي الفرس إلى خراسان مع عوائلهم بعد أن استوطنوا بها منذ إيام سعد بن أبي وقاص ﷺ وهم من بقايا الحرس الكسروي المثيرين للفتن، والساعين للاضطرابات والشغب، وهو أول من جُمِع له المصران: الكوفة والبصرة، وهما العراق في ذلك الزمان، ثم استعمل معاوية زيادًا على خراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان.

وكان زياد يستعين في ولايته الشاسعة الأقطار تلك بخيرة خلق الله بعد أنبيائه ألا وهم صحابة النبي ﷺ ومنهم سمرة ابن جندب وأنس بن مالك في البصرة وعمرو بن حريث المخزومي ﷺ في الكوفة وغيرهم، حتى قال عنه أبو إسحاق السبيعي: ما رأيت أحدًا قط خيرًا من زياد.

قال أبو الحسن المدائني: لما ولي زياد العراق صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني قد رأيت خلالًا ثلاثًا نبذت إليكم فيهن النصيحة: رأيت إعظام ذوي الشرف، وإجلال أهل العلم، وتوقير ذوي الأسنان. وإني أعاهد الله عهدًا: لا يأتيني شريفٌ بوضيعٍ لم يعرف له حق شرفه إلا عاقبته، ولا يأتيني كهل بحدثٍ لم يعرف له حق فضل سنهٍ على حداثته إلا عاقبته، ولا يأتيني عالم بجاهل لاحاه في علمه ليهجنه عليه إلا عاقبته، فإنما الناس بأشرافهم وعلمائهم وذوي أسنانهم.

64 راجع هذه النصوص في الطبري 6 ص 52

ولو عددنا دهاة العرب لوجدنا أن الشعبي عدهم أربعة، وجعل زيادًا واحداً منهم بالإضافة إلى معاوية بن أبي سفيان ﵁ ، وعمرو بن العاص ﵁ ، والمغيرة بن شعبة ﵁ ، ثم وصفهم فقال عنهم: فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة بن شعبة فللمبادهة[65]، وأما زياد فللصغير والكبير.

وهنا نذكر أن زيادًا الذي اجتمع على ولايته المختلفون، وأقر برجاحة سياسته وحسن تدبيره المتصارعون هو الوحيد الذي اتفق على توليته علي ومعاوية ﵄ فجمعا له الأمصار، واستعملاه على الأقطار، وهنا لنا وقفة لمفهوم "النصب" وتعريفه كما أوردناه في بداية هذا الكتاب والذي يعني أنه بغض علي ﵁ أو "معاداة أهل بيته" ونتساءل هنا كيف يولي علي ﵁ من يبغضه، ويبغض أهل بيته وعده بدر العواد من النواصب ذلك المنصب ..!؟

والأدهى من ذلك أنه لو صدقنا - من باب الافتراض - بروايات المدعين من أن زيادًا أخو معاوية غير الشقيق و"أبو سفيان ﵁ نسبه إليه"، فكيف يولي علي ﵁ زيادًا، وهو في قمة صراعه مع معاوية ﵁ على أهم البلاد وأفتنها ورأس المصائب وأكبرها والملاصقة والظهير والحديقة الخلفية لدولته ألا وهي بلاد فارس ويظل زيادًا واليًا عليها حتى وفاة علي ﵁ ...!؟

والذي يقول إن عليًّا ﵁ لا يعلم بأن زيادًا أخو معاوية ﵁ نحيله إلى هذه الرواية التي هي في بواكير ظهور زياد على ساحة الشهرة، والتي تقول: إن عمر بن الخطاب ﵁ استكفى زيادًا أمرًا فقام فيه مقامًا مرضيًا، فلما عاد إليه حضر، وعند عمر المهاجرون والأنصار، فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها، فقال عمرو بن العاص: لله هذا الغلام، لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه! فقال أبو سفيان، وهو حاضر: والله إني لأعرف أباه ومن وضعه في رحم أمه، فقال علي: يا أبا سفيان اسكت، فإنك لتعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعا.[66]

وهنا يا لورطة الشعوبية، ومأزق الشيعة في هذا الدس والتزوير المفضوح والتناقض الذي هو ضد المنطق، فهذه الرواية تشير إلى أن أول من علم أن زيادًا هو ابن أبي سفيان كان علي بن أبي طالب ولا عذر لمن ادعى أن عليًّا كان لا يعلم.

---

65 المبادهة هي سرعة الرأي وارتجاله وصوابه عند المفاجأة
66 الكامل في التأريخ - ابن الأثير

ونعود لما احتججنا به سابقًا ونثبت مرة أخرى أن اتهام زيادًا وغيره بالنصب فهو اتهام للصحابة، وكيف لا؟ وقد استعان زياد في البصرة بعدد من أصحاب النبي ﷺ منهم: سمرة ابن جندب وأنس بن مالك رضي الله عنه أما في الكوفة فقد استعان بالصحابي عمرو بن حريث المخزومي رضي الله عنه وغيرهم، فهل هؤلاء الأصحاب كانوا يرتضون أن يكون أميرهم "ناصبي" وأن يكونوا تحت إمرته، وهم خيرة خلق الله بعد أنبيائه ..؟!

بل لو فرضنا - جدلاً - أنه حدثت انتخابات حالية، وكان المرشح فيها موصوفاً من قِبل الصادقين بأنه (صليب الرأي، عالم بالسياسة، كافٍ لما ولي له، وأمر عمر أمراءه في البصرة أن يسيروا برأيه، وقال علي عن إمارته: أنه أهلًا لها، وولاه معاوية العراق وخراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان، وقدمه ابن عباس ورشحه لإحكام القبضة وانهاء فتنة فارس، وعده الشعبي من دهاة العرب، وكان تحت إمرته وعماله عددًا من أصحاب رسول الله ﷺ، وقال عنه أبو إسحاق: ما كان زمن زياد إلا عرسًا، بل حتى غالب الشابندر الشيعي في مقال له قال عنه: (كل ذلك يدل على رجاحة عقله، وحنكة إدارته، وحسن تدبيره) فهل كنت سترشحه في تلك الانتخابات، أم كنت ستستمع إلى كل أفاك أثيم طعن في نسبه وحرف حسبه وادعى عليه ما ادعى من تلك الروايات الباطلة والأحاديث المضللة ..!؟

ثم إن الشيعة نسبوه إلى أبي سفيان بحكاية مضحكة تطرقنا لها ليوحوا أن معاوية لم يوليه ما ولاه إلا بسبب قربه لذلك النسب، وهنا نسألهم هل عمر وعلي وغيرهما ولوه أيضًا لقرابته منهم...!؟

ومن باب علم الحديث نجد أن زياد هو أحد رواة الحديث، فقد روى له البخاري ومالك ثم يأتينا ابن حبان بعد حوالي ثلاثة قرون ليطعن فيه فيقول "ظاهر أحواله المعصية"، ولم يخبرنا عن أي معصية يتحدث ...!؟ ولم يذكر لنا ولو واحدة ...!؟ هذا إذا صح هذا القول عنه ولم يتم دسه أو تزويره عليه، ثم كيف يعين الخلفاء من غلبت عليه المعاصي؟ ويكون عماله من الصحابة، أليس ذلك طعنًا فيهم قبل الطعن فيه ..!؟

والعجب أنه في موقع "موسوعة الحديث" على الشبكة العنكبوتية نكتشف أن أساتذته كلهم ثقة ومنهم صحابة وعلى رأسهم عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكذلك تلامذته كلهم ثقات إلا هو قد تم اتهامه بهذا الموقع والحث على ترك الاحتجاج به ...!؟ أرأيتم مدى التضليل الذي أوقعونا فيه، وكيف أن مؤسسات الدس والتزوير تعمل على قدم وساق من أجل الانحراف عن الحقيقة.

ونجد في الجانب الآخر الرافضة ومن دار دورانهم أنهم قد عيروه بأنه تزوج من امرأة ادعوا أنها فارسية واسمها "مرجانة" فهل في ذلك عيب؟ وأن كان في ذلك مثلبة فيحق

للسائل هنا أن يعير كثيرًا من الشخصيات الإسلامية التي تزوجت بفارسيات، مع العلم أن الشرع لم يحرم ذلك لا من أعراقهن ولا من غير أعراقهن، ما دمن مسلمات أو كتابيات.

ثم قدح الشيعة في وصفه حتى لقبوه بـ (الدعي) وابن (سمية) وقالوا عن ابنه أنه ابن (مرجانة) [67] ولعنوه في زيارة عاشوراء عندهم[68]، ووصفوه باقذع الأوصاف وسنأتي على سيرته لاحقًا، كل ذلك لأن زيادًا أدب أجدادهم وأخمد نيرانهم فتنتهم وأستخرج خراجهم، وفرق جمعهم، ونكس رايتهم، وحكمهم بحكم راشد، وتصدى لكل معتدٍ قاصد.

---

67 وهي كما تقول الأخبار لم تكن امراة عادية، بل إنها كانت تنتمي إلى ملوك الفرس القدماء، أي أنها ذات حسب ونسب.

68 من عادة العجم القبيحة أن ينسبوا الرجل إلى أمه نظرًا لبيئتهم التي تحط من قدر المرأة ، وقيمتها فيعتبرون تلك إهانة لذلك الرجل، بل ويذهبون إلى أبعد من ذلك بهذا المعنى ليدلوا على التشكيك بنسب ذلك الرجل من جهة الأب فينسبوه إلى أمه، وهذا الأمر أخذه الشيعة منهم فعيروا على سبيل المثال محمد بن علي بأن قالوا عنه ابن الحنفية وانتقصوا من عبيد الله بن زياد ونعتوه بابن مرجانة وغيرهم، بينما نلاحظ أن القرآن الكريم رفع من شأن الانتساب للأم حتى قال عن روح الله وواحد من زعماء الانبياء وأولي العزم "عيسى ابن مريم" وكرم أمه بأن قال عنها الصديقة.

عبيد الله بن زياد بن عبيد الثقفي

ما إن تبحث عن سيرته في الشبكة العنكبوتية، أو غيرها من الكتب والمصادر إلا وتجد سيلًا بل طوفانًا من المصادر الشيعية التي تنال منه وتشنع عليه، ولا تكاد تعثر إلا بشق الأنفس عن فقرة هنا أو هناك لمصدر تاريخي ينصف هذا القائد، هذا الإغراق المضلل المتعمد عليه وعلى أبيه له هدفان،

الأول: لفت الأنظار عن المتسبب الحقيقي لمقتل الحسين ﷺ ألا وهم "حمراء الكوفة".

والثاني: هو الطعن فيه وفي أبيه زياد اللذين كانا لهما دور مع بقية القادة والحكام في هدم صروح العلوج ومكائدهم وإطفاء دينهم.

وهذا يذكرنا الإمام الشافعي عندما سألوه: كيف نعرف أهل الحق في زمن الفتن...؟ فقال: اتبع سهام العدو فهي ترشدك إليهم.

وهنا تنبهت وقلت في نفسي لماذا ركز الشيعة ومعهم الشعوبية على زياد وابنه حتى جعلت لعنهم في أهم أدعية من أدعيتهم والتي تسمى "زيارة عاشوراء" ووصفوهما شاتمين بـ "الدعي ابن الدعي" و"ابن مرجانة"، فقلت أكيد أنهما كانت لهما صولات وجولات على أجداد واتباع الدين المجوسي فتحقق لي هذا الأمر من خلال بحثي، واستقصائي حتى وصلت إلى اليقين أن سبب ذلك العداء هو ما ذكرت.

وعندما نطلع على سيرة عبيد الله بن زياد، فنجد أنه كانت ولادته على الأرجح 30 للهجرة،

وروى ابن عساكر: أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد بن أبيه: أن أوفد إليَّ ابنك، فلما قدم عليه عبيد الله لم يسأله معاوية عن شيء إلا نفذ منه، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئا، فقال له: ما منعك من تعلم الشعر؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني كرهت أن أجمع في صدري مع كلام الرحمن كلام الشيطان.

حكم عبيد الله ولاية خراسان وهو في الثانية والعشرين من العمر، ولم تثنه هذه الولاية عن فتح المقاطعات القريبة والبلدان المجاورة، فقاد جيشًا مكونًا من عشرين ألف من جنده، افتتح به بيكند ونسف ورامدين، وجميعهن من حاميات مملكة بخارى، وكذلك فتح سجستان وزابل وكابول وقهستان، فكان أول قائد مسلم يعبر جيحون، وكان عبيد الله بن زياد ذا بأس شديد في القتال، فكان يحمل على العدو فيطعن فيهم ويختفي بين صفوفهم، ثم يحمل عليهم مرة ثانية وهكذا، وبالتأكيد أن أصحاب عبيد الله عندما شاهدوا قائدهم الميداني بهذه الشجاعة والبسالة اندفعوا إلى القتال؛ لأن عزيمتهم من عزيمة قائدهم،[69]

69 كتاب " ثقيف ودورها في التاريخ العربي والإسلامي" ـ عاطف القيسي

وشاركه في هذه الفتوحات كلٌّ من زياد بن عثمان الثقفي والمهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولشجاعته وحسن إدارته لولايته ولاه أيضًا الخليفة الراشد سيدنا معاوية ﵁ على ولاية البصرة وذلك في سنة 55 هـ،

وكعادته بدس السم في العسل عمد "بدر عواد" في كتابه (النصب والنواصب) على وضعه بعد أبيه زياد بن عبيد الثقفي في خانة "من ثبت النصب عنه" واعتمد على قول ابن تيمية الذي ادعى به بأن عبيد الله هو الذي أرسل الجيش الذي قتل الحسين، ثم اعتمد على رواية وردت في صحيح البخاري تقول " ولما آتي برأس الحسين بن علي "عليه السلام" (انتبهوا على صيغة عليه السلام) جعل في طست فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئًا فقال له أنس ﵁ كان أشبههم برسول الله ﷺ "

ولنناقش هاتين المسألتين: فالعجب كل العجب أن أحدًا لم يتكلم عن أمر هذا الجيش الذي أرسله يزيد لقتل الحسين طوال سبعة قرون، وللأمانة كانت هنات من هنا وهناك حتى جاء ابن تيمية بهذه الرواية غير الصحيحة وحذا حذوه الذهبي وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

أما الحديث في البخاري فأمره عجيب ومتنه أعجب، فأول مرة في التاريخ نرى أحدهم يجلب رأسًا مخضبًا بالدماء وفي خضم هذا المنظر المرعب ينكُته ويقول في حسنه شيئًا، وأي حسن يبقى مع الرأس المقطوع ..!؟ ثم يروي الراوي فيضع أنس بن مالك ليشبهه برسول الله ﷺ حتى يعطف الموقف ويعظم الرزية، ونختم بأن مصطلح (عليه السلام) لم يكن معروفًا آنذاك، ولم يكن منتشرًا بإطلاقه على البيت العلوي وما تناسل منهم، بل الرضوان والرحمة كانت الأعم فمن أين أتى بـ (عليه السلام) إلا إذا كان هناك واضعٌ وضعها، ثم إن أنس بن مالك ﵁ حسب علمنا لم يبرح يومًا البصرة فكيف حضر تلك الحادثة التي هي من المفترض أن تكون بكربلاء وما حولها؟
ولم تحدثنا المصادر السنية كيف سار جيش زياد؟ ومن أين انبثق؟ وأين حل؟ وأين تواجد؟ ومن أمراؤه؟ وأين عسكر؟ وأين وأين ..؟ ! كل ذلك بقي مبهمًا ما عدا لقطة واحدة يتيمة في حديث البخاري..؟ وهذا ما يجعل متن هذه الرواية مثار شك.

وعندما توفي يزيد بن معاوية خطب عبيد الله بن زياد في أهل البصرة فقال: لا أرض اليوم أوسع من أرضكم، ولا عدد أكثر من عددكم، ولا مال أكثر من مالكم، في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم، ومقاتلوكم ستون ألفًا، وعطاؤهم وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم، فانظروا رجلًا ترضونه يقوم بأمركم ويجاهد عدوكم، وينصف مظلومكم من ظالمكم، ويوزع بينكم أموالكم، فقام إليه أشراف أهلها ومنهم الأحنف بن قيس التميمي، وقيس بن الهيثم السلمي، ومسمع بن مالك العبدي فقالوا: ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الأمير، وأنت أحق من قام على أمرنا حتى يجتمع الناس على خليفة، فقال:

أما لو استعملتم غيري لسمعت وأطعت.[70] وهذه الحادثة إن دلت على شيء فإنها تدل على عدالة ورحمة ورخاء العيش الذي كانت تعيشه البصرة وأهلها في زمانه.

وعبيد الله بن زياد كراوٍ كان أساتذته في الحديث معاوية بن أبي سفيان، وسعد بن أبي وقاص، ومعقل بن يسار ﷺ، وحدث عنه الحسن البصري وأبو المليح بن أسامة.

وفي سنة65 هـ كان لعبيد الله بن زياد وجيشه الفضل من بعد الله في هزيمة أول حركة شعوبية مسلحة، ادعت الثأر للحسين ﷺ بعد أربع سنين على مقتله، فقامت تلك الكتائب الشيعية التي سمت نفسها بحركة "التوابين" بالتجمع في رأس العين[71] فهزمهم شر هزيمة وتم قتل قادتهم، وبذلك أفشل مشروع الحرس الكسروي من حمراء الكوفة في استغلال تلك الحادثة لإسقاط دولة الإسلام والإجهاز عليها.

هل علمتم الآن لماذا يطلقون عليه الشيعة بـ "الدعي وابن الدعي" و"ابن مرجانة" ومن هذه التشنيعات والشتائم، وشنت أقلامهم حملة شعواء من التزوير والتشهير؛ لأنه هو وأبوه جعل فارس ومجوسها يدفعون الخراج أذلة وهم صاغرون، ودكوا مدنهم ودوخوا دولتهم وأبطلوا دينهم وفتحوا ديارهم، أما العراق وشيعته فإنهم أحكموا قبضتهم عليهم و أخمدوا فتنتهم، تارة بالشدة في اللين وأخرى بالسياسة مع وضع حد للمتربصين، فدانت لهم البلاد وأخمدت في عهدهم الاضطرابات، فكانوا بحق ولاة يَليقون بالولاية ودعاة للخير والرخاء فرحمهم الله تعالى وجزاهم عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

---

70 مروج الذهب ـ المسعودي

71 رأس العين مدينة سورية تقع في شمال غرب محافظة الحسكة على الحدود التركية السورية

عمر بن سعد بن أبي وقاص

تكاد لا تجد خليفة أو قائدًا أو حاكمًا ساهم في فتح العراق وإيران وما حولها في بواكير الفتوحات الإسلامية، وأخمد الفتن وبسط الأمن وحكم بينهم بما أنزل الله إلا ونالته أقلام الشعوبية بالتشويه وأعلام الشيعة باللعن والتشهير.
وبما أننا تقاعسنا في الدفاع عن التابعين منهم، أو تجاهلنا الذود عن الذين من هم بعدهم فقد تجاسرت دوائر التزوير التابعة لمنظومة كهنة الدين الشيعي، ومن يدعمها من المستشرقين أو المستغربين، فنالت من أولاد الصحابة ثم الصحابة حتى نالوا من النبي ﷺ ثم أرادوا بهذا التفكيك والتشكيك التنكيل بدين الله.

ومثال على ما ذكرنا بهذه المقدمة هو الصحابي الفاتح سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وبما أنهم لم يجدوا مَثْلمة عليه، وفاتهم بسبب كثرة طعوناتهم بمن ذكرنا وغيرهم فقد استدركوا ذلك بأن طعنوا بابنه عمر وشنعوا عليه، وألصقوا به تهمة قيادة الجيش الذي قتل الحسين رضي الله عنه وابتلع السنة بمؤرخيهم وحتى منظريهم ذلك الطعم، فصاروا يتداولون في كتبهم ومحاضراتهم تلك الفرية دون تمحيص وينشرونها بين أهل السنة حتى صارت من مسلمات التاريخ عندنا.

وهنا سنبين لكم بالأدلة التاريخية المصحوبة بالروايات الصحيحة والتفسيرات المنطقية بطلان ما جاء به الأفاكون الأعاجم ليطعنوا بمثل هذه الشخصية العظيمة ولنأتِ بشيء من التفصيل عنها فنقول وبالله التوفيق هو: عمر بن سعد بن أبي وقاص القرشي ولد بالمدينة المنورة عام 23 هـ، وسكن الكوفة، يكنى أبا حفص،[72] يَلْتَقِي في نسبه مع النبي ﷺ فِي كلاب بن مرة، وهو من بني زهرة وهم فخذ آمنة بنت وهب أم الرسول، لذلك يعد من أخوال وأبناء أخوال النبي ﷺ. أما من ناحية نسب أمه فهي مارية بنت قيس بن معد يكرب بن الحارث بن السمط بن امرئ القيس وكان ملكًا ويعد ثاني ملوك الحيرة وهو غير الشاعر المعروف امرئ القيس،
إذن، فعمر بن سعد من ناحية أعمامه يلتقي بنسب النبي ﷺ ومن ناحية أخواله يلتقي نسبه بالملوك، ويا له من شرف وأصل ونسب،
ويخيل لك عند سمعك لاسمه أو البحث عنه في الكتب والمصادر، ومنها مواقع البحث والتواصل الاجتماعي التي أغرقها الرافضة عنه بكذبهم وتشويههم بأنه قائد مرتزق طامع بملك الري أن ظفر برأس الحسين رضي الله عنه وأن أصله وفصله عائم غائم حتى تنسى بأنه ابن سعد بن أبي وقاص...!؟

من ناحية علم الحديث ورواته يعد عمر بن سعد من رواة الحديث الصادقين الثقات، وقد قال أبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي عنه بأنه "مدني ثقة" وكان يروي عن أبيه

---

72 ومما لا شك فيه أن أبيه سماه تيمنًا بعمر بن الخطاب 0 وحتى أنه كنى نفسه (أبا حفص) تيمنًا بما ذكرنا.

وهو "صدوق". ورتبته عند ابن حجر العسقلاني قال عنه "صدوق". وأيضًا المباركفوري قال في "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي" عنه: نزيل الكوفة صدوق.أهـ

ومن ضمن أحاديثه التي رواها حديث حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قِتَالُ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)[73]

وأخطر ما في هذا الحديث الذي رواه عمر بن سعد من طريقه أنه لو سلمنا أنه قاد الجيش الذي قتل الحسين رضي الله عنه فكيف والحال في متنه الذي رواه ويقول عن رسول الله فيه "قتال المؤمن كفر، وسبابه فسوق" وكيف يخالف ما وصله من هذا الحديث وفيه أشد التحذير مما لو فرضنا أنه قام به ..**!؟** لا شك أن هذا الفعل لا يقوم به وحاشاه حتى المجنون.

وننتقل إلى بقية الأحاديث التي رواها لنأخذ منها ما جاء في مسند الإمام أحمد لحديث بداية سنده يقول حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ الْمَعْنَى قَالَا أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ الثوري عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْعَيْزَارِ بْنِ حُرَيْثٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَجِبْتُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ حَمِدَ رَبَّهُ وَشَكَرَ وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ حَمِدَ رَبَّهُ وَصَبَرَ الْمُؤْمِنُ يُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ)[74]

انظروا ولنفكر قليلًا بهذا الحديث وهو ضياء للقناعة ونور للرضى ونتساءل كيف يطمع راويه بملك زائل؟ ويطلب زوال حائل ويقتفي أثر ما ادعاه الشيعة عليه الذين هم أحرص الناس على الدنيا، وأكذب الخلق ويتصورون أن تفكير الرعيل الأول من الصحابة وأولادهم كتفكيرهم المريض المبني على الطمع والجشع وحب الشهوات واتباع الملذات.

وهنالك أحاديث عديدة له لا يتسع المجال هنا لسردها جميعًا ويكفي أن نذكر هنا أن تلاميذه ومن روى عنه كان جلهم من الثقات، ومنهم إسماعيل البجلي ويزيد الأزدي وعامر القرشي ومجمع الانصاري وعبد الله القرشي وغيرهم، بل إن فيهم من كان فقيهًا حافظًا متفق على جلالته وإتقانه مثل محمد بن شهاب الزهري، وأساتذته كانوا من الصحابة ومنهم أبوه سعد بن أبي وقاص وجرير بن عبد الله البجلي وأبو سعيد الخدري.

---

[73] الحديث أخرجه الامام أحمد في مسنده وقالوا عنه إسناده حسن، وقال عنه الألباني "حديث صحيح"، ومن هذا الطريق أي طريق عبد الرزاق أخرجه كذلك النسائي والطبراني، والبيهقي في "شعب الإيمان"، بل حتى إن البخاري علقه في "تاريخه"، مع ملاحظة أن رواية النسائي دون ذكر "الهجران".

[74] أسناده حسن، وقد أخرجه ايضًا الدارقطني والنسائي والبزار وغيرهم.

وهنا نتساءل هل هؤلاء الصحابة والأعلام والمحدثين الذين درسوه أو مدحوه أو حدثوا عنه كانوا لا يعرفون أن عمر بن سعد "ناصبي" حتى جاء بدر العواد بعد حوالي أربعة عشر قرنًا في كتابه " النصب والنواصب" ووضعه بهذا الموضع، ولم يجد ضالته إلا في قول لابن تيمية ليدل على "نصبه" بعينه والذي بينه وبين عمر بن سعد ستة قرون...!؟.[75] ثم لاذ بهذا القول بدر العواد وغيره كأنها غنيمة وبنوا عليه "الحكواتية" المحسوبين على السنة من وعاظ وقصاص قصصهم الباطلة عن تلك الحادثة "وبذلك وافقوا روايات الشيعة" واتهموا بها من لم يكن له يدًا فيها كعمر بن سعد وغيره من المحدثين والقادة الميامين.

ولنأتِ على الحادثة الأهم التي ألصقت بالتابعي الجليل عمر بن سعد بن أبي وقاص ألا وهي حادثة مقتل الحسين ﵁ فنجد أن أول رواتها كان حميد بن مسلم الأزدي الذي التحق بعد وقعة الطف بجماعة "التوابين"، وشارك مع سليمان بن صرد الخزاعي في معركة "عين الوردة"، وقد نقل عنه لوط بن يحيى "أبي مخنف" ثم نقل عن الاثنين الطبري، وقد روى الأزدي خبر وصول كتاب من ابن زياد إلى عمر بن سعد على منع الحسين بن علي وأصحابه من الماء، وكيفية بدء المعركة في عاشوراء وكان ذلك برمية من عمر بن سعد، و نزاع معسكر عمر بن سعد حول قتل الإمام السجاد أو أسره، وهذا الراوي الشيعي الكذاب الذي يعده حتى الشيعة من مجاهيل أصحاب السجاد[76] هو ناقل الأخبار عن تلك الحوادث، أما عبد الحسين شرف الدين فيذهب إلى احتمال أن يكون أكثر من شخص بهذا الاسم ..!؟

أرأيتم مثل هذا الخلط الذي يفضي إلى المجاهيل والتخبط بمثل هذه الأقاويل، وكيف يمكننا أن نتيقن من رواياته الباطلة وهو شخص لا يصرح حتى باسمه[77] أليس ذلك دليلًا على الدس والتزوير من قبل الوضاعين لاحقًا، ونسبة هذه الحوادث إلى شخصية مثل حميد الأزدي التي لو فرضنا أنها شخصية حقيقة فهي من سيرتها تعتبر شخصية شيعية ولكم أن تصدقوا بمثل هذا المجهول الذي يحمل أكثر من اسم، ويطعن بشخصية معروفة مقدامة من قادة الإسلام مثل عمر بن سعد ليأتي من يأتي ويريدنا أن نصدق كذبه ودسه المنطلق من شيعيته والمستمد من شعوبيته، ويطالبنا أيضًا بتصديق من أخذ وروى عنه وتوسعوا في ما تسمى "حادثة الطف" وألفوا عنها كتب وقصص تفوق قصص ألف ليلة

---

75 منهاج السنة النبوية (70/2)

76 (مستدركات علم الرجال) 3: 289 باب الحاء ترجمة حميد بن مسلم رقم (5119)

77 أما موقع مركز الأبحاث العقائدية فيجيب سائل بقوله عنه: خلال التتبع لمواقف حميد بن مسلم في واقعة الطف أنّه لم يكن يصرّح باسمه, أو لا أقل لا يرغب بالتصريح بذلك لخوفه على نفسه(تاريخ الطبري 4: 334 أحداث سنة 61هـ، البداية والنهاية لابن كثير 8: 19)، فإننا نلاحظه في حادثة من الحوادث يسأله الشمر وهو قائد من القواد عن اسمه فنراه يمتنع عن ذكر اسمه لخوفه على نفسه من أن تحسب له بعض المواقف التي يكون فيها متعاطفًا مع عائلة الحسين ﵁ (لاحظ تاريخ الطبري 4: 347، مقاتل الطالبين: 58 حياة عبد بن الحسن) وما شاكل مع أنّ الشمر قائد من قواد الجيش ولا يعرف اسم هذا المتتبع لحوادث كربلاء، ولعلّه قد يكشف لنا فيما بعد أنّ هذه الشخصية لم يكن اسمها الحقيقي هذا ..!؟ .

وليلة وأسموها "مقتل الحسين"، وتبعهم في ذلك لوط بن يحيى "أبي مخنف"،[78] وهشام بن محمد بن السائب الكلبي،[79] ومحمد بن عمر بن واقد السهمي الشهير بالواقدي،[80] ونصر بن مزاحم المنقري،[81] وكلهم شيعة غلاة كذابون وضاعون، ألفوا ما ألفوا عن تلك الواقعة وحشوها بالأكاذيب والخرافات وتبعهم وعاظ منابرهم، فنشروها بين اتباعهم وروادید الحسينيات فزادوها من مخيالاتهم.

في الحقيقة هنا أن جل قصة مقتل "الحسين" تم تزويرها ممن ذكرنا وغيرهم، وتم الدس فيها والانحراف بها نحو هوى وضَّاعيها الذين كانت غايتهم الأساسية إيقاع الفتنة بين المسلمين وخاصة العرب منهم وزرع الغل في صدور الخيرة من هذه الأمة، وذلك نكاية بهم ممن ذكرنا وانتقامًا لما فتحوه من بلدانهم وأذهبوه من ملكهم ومجدهم عبر اتهامهم بذلك المقتل، والحقيقة أن حمراء الكوفة ومنظمتها السرية كانت لهم اليد الطولى في ذلك الغدر وتلك الرزية.

ومما يؤسف له هنا أن مؤرخي وفقهاء ومنظري وكتبة تاريخ تلك الفترة المحسوبين على السنة مثل: الطبري وابن عساكر والحاكم وابن تيمية قد أخذوا ما حدث بتلك الفترة من أفواه أولئك الوضاعين، وأقلام أولئك المأجورين، وللإنصاف نقول: إنه تم الدس على بعضهم من قبل بعض المزورين في كتبهم، وتزوير ما كتبوه للغاية نفسها التي ذكرناها آنفًا، ليس هذا فحسب، بل إن هنالك كتبًا كتبت بأقلام منصفة وحقيقة مجردة عن تلك الحادثة تم تغييبها، بل وإتلافها مثل: كتاب ابن أبي الدنيا والبغوي الذين ذكرهم ابن تيمية فيمن ذكر، وغيرها من الكتب التي روت الحقيقة، فهبت الشعوبية ومن ورائها وسعوا في ضياعها؛ حتى لا يقع الناس على حقيقة ما حدث، ونبقى مصدقين لما رواه الشيعة وكتبتهم، والمفاجئة الصادمة هنا أنه لم يثبت عندنا أن عمر بن سعد التقى بالحسين رضي الله عنه لا من قريب ولا من بعيد، لا في معركة ولا في سلم، ولم تكن بينهم مراسلات ولا مخاطبات، بل بعثه عبيد الله ابن زياد على وجه السرعة حتى يلحق لإنقاذ الحسين رضي الله عنه وأهل بيته بعدما وصلتهم الأخبار أن عصابات الكوفة على مقربة من الغدر به، ولكنه للأسف لم يلحق لصد جريمتهم وجاء بوقت انتهوا فيه مما أرادوا بالحسين ومن معه وبعد أن أدركهم، فمنهم من لاذ بالفرار، وبقيتهم اختبئوا بين جنبات القرى القريبة والحارات الكوفية المظلمة.

---

78 قال عنه ابن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وسئل عنه مرة فنفض يده وقال: أحد يسأل عن هذا؟، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال الذهبي عنه: أخباري تالف لا يوثق به.

79 قال عنه ابن حبان: كان غاليا في التشيع، وقال عنه أحمد بن حنبل: من يحدث عنه إنما هو صاحب نسب وسمر وما ظننت أن أحدا يحدث عنه، وقال عنه ابن عساكر الدمشقي: رافضي ليس بثقة، وقال عنه الدارقطني: متروك، وقال الذهبي عنه: لا يوثق به.

80 قال عنه أحمد بن حنبل: كذاب، ما أشك في الواقدي أنه كان يقلبها يعني الأحاديث، وقال عنه أحمد بن شعيب النسائي: ليس بثقة ومتروك الحديث، وقال عنه إسحاق بن راهويه: هو عندي ممن يضع الحديث، وقال عنه محمد بن إدريس الشافعي: كتب الواقدي كلها كذب، وقال عنه محمد بن إسماعيل البخاري: متروك الحديث.

81 قال عنه أبو جعفر العقيلي: كان يذهب إلى التشيع وفي حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال عنه أحمد بن صالح الجيلي: كان رافضيا غاليا، ليس بثقة ولا مأمون، وقال عنه الذهبي: رافضي جلد، تركوه، وقال عنه زهير بن حرب النسائي: كذاب.

وبعدها انكشفت نواياهم بتشكيل مليشيات وعصابات لبث الرعب بين الناس، وإسقاط الخلافة الأموية، وعزموا على أن هذا الأمر لا يحدث إلا بخطة قديمة استخدموها مع أبيه علي ﵁ في أن يجعلوه في الواجهة، وهم الحكام والقادة الحقيقيون؛ حتى يقنعوا الناس بمرجعيتهم ويعطفوا الناس على مؤامرتهم، ولذلك رفض في حينها الحسين ﵁ ذلك، وعاتبهم ووبخهم ونصحهم، وعندما رأى أن الأمر أكبر منه، وأنهم يحومون حول الفتك به أو طاعة ما يأمرونه به، قرر السير بأهله إلى يزيد ﵀ والبراءة مما يكيدون، وهنا جن جنونهم، وعرفوا أنه إذا ما وصل إلى يزيد، هنا سينفضح أمرهم وسيشتت شملهم ويفتك بهم، فلحقوه إلى أرض فلاة خارج الكوفة، وأجهزوا عليه وعلى من معه من الرجال.

ولنعد إلى موضوعنا، فنجد أن بعد توالي الفتن واضطراب البلدان، تولى المختار الثقفي حكم الكوفة والذي سيكون له شأن مع عمر بن سعد، فمن هو هذا المختار الذي لو تتبعنا سيرته لوجدنا أنه ولد في العام الأول للهجرة، وكان مصاحبًا لوالده وأخيه أثناء الفتوحات في العراق، وهناك تم تجنيده من قبل منظمة حمراء الكوفة في نهاية العقد الثاني من عمره، وكان ذلك سهل عليهم خاصة بعد استشهاد والده، وهو في بواكير صباه هناك، كان أهم تعاليم تلك المنظمة هو إظهار حب البيت العلوي والتستر بهم والبطش باسمهم، وعندما تحين الفرصة يغدرون بهم ويبثون الفتن والتقاتل والمحن بين العرب والمسلمين، ويتضح تصرف المختار ذلك جليًّا من خلال موقفه تجاه الحسن بن علي ﵁ عندما نزل بالمدائن، وكان عم المختار حاكما للمدائن واسمه سعد بن مسعود، وتروي المصادر أن المختار قال لعمه: هل لك في الغنى والشرف؟

قال: وما ذاك ...؟

قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية.

فقال له سعد: **"عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله فأوثقه...!؟ بئس الرجل أنت...!؟ "**[82] وإن أصحاب الحسن هموا بقتل المختار لولا توسط عمه للعفو عنه.[83]

ونجد أنه حتى ابن كثير اتهم المختار الثقفي، استنادًا إلى تواتر الأخبار عنه وشهرتها، بأنه كان ناصبيًا يُبغض عليًا بغضًا شديدًا.[84]

---

82 تاريخ الرسل والملوك – الطبري – الجزء الخامس – في ذكر بيعة الحسن بن علي

83 وحاول الخوئي أن يحور هذه الواقعة ويأخذها إلى غير حقيقتها فقال: أمكن أن يقال إنّ طلب المختار هذا لم يكن طلبًا جديًا، وإنما أراد بذلك أن يستكشف رأي قومه، فإن علم أنّ قومه يريدون ذلك لقام باستخلاص الحسن عليه السلام، فكان قوله هذا شفقة منه على الحسن عليه السلام. "..!؟

84 البداية والنهاية – ابن كثير – الجزء الثامن – ترجمة المختار بن أبي عبيد الثقفي

وعندما كان عبيد الله بن زياد على الكوفة، بلغه أن المختار يقوم بتحركات مريبة ويُثير الفتنة، ويتردد بين الحين والآخر على منظمة "حمراء الكوفة"، ويتولى قيادة إحدى خلاياها "فقبض عليه وضرب عينه بقضيب كان بيده فشترها وأمر بسجنه".[85]

ثم بعث المختار إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ يسأله أن يشفع فيه، وقد كان ابن عمر زوج أخت المختار صفية بنت أبي عبيد، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع فيه، فأرسل يزيد إلى ابن زياد يأمره بإطلاقه فأطلقه.[86] وقال له إن وجدتك بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت عنقك.[87]

عندها فر المختار إلى المدينة وبدأ بممالأة عبد الله بن الزبير والتقرب إليه، وكعادة التعاليم التي استسقاها من تنظيمات شاهنشاهية الكوفة أعلن موالاته بالظاهر، وترقب الغدر به بالباطن حتى جاءته الفرصة فأعلن انقلابه على ابن الزبير، واستقلّ بحكم الكوفة بعد أن بعثه إليها، والتف حوله سدنة البلاط الكسروي ونخبة "الحمراء" الذين رشحوه وأمّنوا له السيطرة، فبدأ بالقصاص والاغتيال والغدر بقادة الصف الأول الذين تصدّوا للمشروع الشعوبي في العراق آنذاك وحرروه من الهيمنة الفارسية وهم أرادوا حماية الحسين ﷺ فلم يسعفهم الوقت لإسعافه ومن ثم حموا أهله إلى مستقرهم وكانوا قبلها مظلةً للحسن ﷺ ومستشاريه الأوفياء في النجاة من كيد أعدائهم.

فبعث المختار عيونه وفرقة من فرق الاغتيال التي وضعتها ميليشيات الكوفة تحت تصرفه، ليقوموا بتصفية عمر بن سعد، بحجة الثأر للحسين، الذي كانوا هم أنفسهم سببًا في مقتله،[88] وجيء برأسه إلى مجلس المختار، وأحضروا ابنه حفص مقيّدًا مكبّلًا بالسلاسل والأغلال، فقال المختار له: "أتعرف هذا الرأس"؟ فاسترجع حفص وقال: "نعم ولا خير في العيش بعده" فأمر المختار بقتله، فكان رأسه إلى جوار رأس أبيه وذلك في سنة ستٍ وستين للهجرة. وقد رثتهما ابنتهما حميدة بنت عمر بن سعد برثاءٍ يدمى له القلب، وهي تبكي أباها وأخاها.

وفي استشهاد عمر بن سعد أنشد أبو طلق عدي بن حنظلة العائذي:

لقد قتل المختـــار لا در دره .... أبا حفص المأمول والسيد الغمـــرا
فتى لم يكن كزا بخيلًا ولم يكن .... إذا الحرب أبدت عن نواجذها غمرا

85 الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج 4، البداية والنهاية – ابن كثير – الجزء الثامن – فصل في هذه السنة أعني سنة أربع وستين

86 الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج 4

87 البداية والنهاية – ابن كثير – الجزء الثامن – فصل في هذه السنة أعني سنة أربع وستين

88 "وما أشبه اليوم بالبارحة"

ثم، واستمرارًا لما كان يؤمن به المختار من مشارب الطقوس التي أهلته وهيأته، وطعنًا في الإسلام وأهله، وبرسالة النبي ﷺ، أعلن أن جبريل يكلمه، وأنه يُوحى إليه..!؟

وقد جاء عن رفاعة القباني قال: دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك.[89]

وقد فعل كل ذلك وفاءً للذين علّموه ودعموه، حتى أغروه بأن يجعل من نفسه رسولًا يُوحى إليه، أو إلهًا يُعبد من دون الله. وهذا ديدنهم، والتاريخ والحاضر يشهدان كيف أنهم يختارون ويُغْرون من هو على شاكلته.

ولم تمضِ سنة بعد استشهاد عمر بن سعد، حتى ارتدّت جريرة المختار عليه، فقُتل في الكوفة سنة سبعٍ وستين للهجرة على يد جيش مصعب بن الزبير، الذين قطعوا رأسه، فتدحرج بين يديه.[90]

89جاء في مسند الإمام أحمد: قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا عيسى القارئ، أبو عمير بن السدي رفاعة القبانى ...

90 والجزاء من جنس العمل، ولا يفوتنا أن نذكر أنه في معترك تلك الأحداث ايضًا جلب التوابون رأس التابعي القائد عبيد الله بن زياد الى المختار الذي فرح فرحًا عظيمًا يومها

مروان بن الحكم ﵁

هو أبُو عَبدَ المَلِك مُروان بن الحَكَم بن أبِي العاص بن أُمَيَّة بن عَبدِ شَمْس القُرَشيّ، (2 - 65 هـ) يُعد رابع خلفاء الدولة الأموية في دمشق، وقد حكم لمدة تقل عن سنة (64 هـ - 65 هـ). اختلف المؤرخون في تصنيفه، فمنهم من عده صحابيًّا كالإمام الذهبي وابن حجر العسقلاني، وهو الرأي الأرجح، بينما رأى آخرون أنه من كبار التابعين لصغر سنه حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم. وهو مؤسس الدولة الأموية الثانية بعد انتقال الخلافة من البيت السفياني إلى البيت المرواني. ورغم قِصر مدة حكمه، امتازت ذرية مروان بن الحكم بأنها السلالة التي حكمت العالم الإسلامي بين حوالي عامي (65هـ ـ 133هـ)، ثم حكمت الأندلس بعد زوال الخلافة الأموية في المشرق على يد العباسيين.

وكان والده الحكم بن أبي العاص قد خرج طواعية إلى الطائف بعد إسلامه وأقام هناك[91]. وعندما تولى عثمان الخلافة، استدعى الحكم إلى المدينة ليكون بجاوره.
وعلم الحكم ابنه مروان ﵄ اثناء ذلك الموعظة والحكمة وحسن المقال حتى اشتد عوده، ثم دربه على حسن القيادة والإقدام والشجاعة مقيدًا ذلك كله بمنهج الكتاب والسنة ومكارم الأخلاق ومروءة العرب وفروسيتهم، وقد ظل مروان ملازمًا لبيت القيادة الأموية الراشدة بقيادة الخليفة عثمان بن عفان ﵁ فتعلم منها حسن التدبير والتوقير حتى جاء يوم استشهاد الخليفة عثمان ﵁ على يد الغوغاء والانقلابيين في يوم الدار، ولم يدخر مروان ﵁ جهدًا في الدفاع عنه.

مرت السنون لنجد مروان ﵁ ملازمًا للمساجد ومجالس الفقه والحديث، يرتوي العلم ويرويه لغيره وتولى في فترات متقطعة إمارة المدينة المنورة ومكة والطائف.

بعد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة عمت الفوضى، فأدرك مروان ﵁ فداحة هذا المصاب والخطر المحدق بالأمة، وعرف أن عليه فرض عين توحيدها وإنقاذها فتوجه إلى الشام وبدأ بإعادة ترتيب بيت الخلافة، وأخمد الفتن، وجمع الأمصار الواحد تلو الآخر على وحدة الصف والكلمة، وإليه يعود الفضل - من بعد الله عزوجل - في إعادة توحيد الخلافة وتمام ملكها، بعد أن كاد أعداؤها أن يفنوها، وبعض المغرضين أن يفتكوا بها. وكان لبعض القادة الذين تحت إمرة بني أمية الفضل في تثبيت ملكه، وترسيخ دولته ومنهم "الحصين بن نمير السكوني" و "عبيد الله بن زياد".

---

91 وقصة نفي النبي ﷺ للحكم بن أبي العاص ليست صحيحة وليس لها إسناد صحيح أو حسن، وكما قال ابن تيمية: وقصة نفي الحكم ليست من الصحاح ولا لها إسناد يعرف به أمرها ـ انظر منهاج السنة.

لأجل هذا المنجز التاريخي الذي حققه وتوحيد أمة الإسلام تحت قيادته انبرت الأقلام الشعوبية بالدس والتزوير في سيرته حتى شوهوا مسيرته، لم يقتصر ذلك على كتبهم فحسب بل امتد تأثيره إلى كتب التأريخ السنية، وتأثرت بكتاباتهم بعض كتبة أهل السنة الذين بضاعتهم مزجاة فيما يخص تأريخ هذه الفترة، فاخترعوا حكايات مزيفة عن علاقته "غير الصحية" بالبيت العلوي، بل واتهموه بمطاردتهم والبطش بهم، حتى إن ابن حجر الهيتمي صرح قائلًا: (ومن أشدِّ الناس بُغضًا لأهل البيت: مروانُ بن الحكم) ...!؟

اتهامه بمعاداة البيت العلوي:

يقول عنه بدر العواد أن مروان كان ناصبيًّا، وأنه كان من أسباب اشتعال الفتنة ومن "تحت رأسه" جرت قضية الدار، وبسببه حوصر عثمان، وذكر أن ذلك جاء في منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ثم استدرك وقال إنه لم يقف بشكل صريح على أحد رماه بالنصب، ثم يعود ويتهمه بالنصب بناء على سيرته القاطعة بانحرافه عن علي ﵁ وابنيه ...!؟[92]

لنأتِ على هذا الاتهام لنفنده ونكتشف أنه أوهن من خيط العنكبوت أمام الحجج البالغة، فقد روي عن الأصمعي أنه قال: لم يكن للحسين عقب إلا من علي بن الحسين. ولم يكن لعلي بن الحسين نسل إلا من ابنة عمه الحسن.

فقال له مروان بن الحكم: لو اتخذت السراري يكثر أولادك...؟

فقال: "ليس لي ما أتسرى به"، فأقرضه مائة ألف، فاشترى له السراري، فولدت له، وكثر نسله. ثم لما مرض مروان أوصى ألا يؤخذ من علي بن الحسين شيء مما كان أقرضه.[93]

فهل يعقل أن يقرض مبغض بل "أشد الناس بغضًا" قرضًا لمن يبغضه حتى يكثر نسله ونسل أناس يبغضهم ...!؟ وهنا لو استدركنا هذه الرواية نجد أن مروان بن الحكم ﵁ من بعد الله عز وجل له الفضل في تكثير وبركة ذلك النسل، وله الإحسان عليهم فيمن تناسل منهم إلى يوم الدين، بل إن وصية مروان ﵁ لابنه بعدم الأخذ فيما يرد من ذلك القرض هو من كمال المنة وتمام النعمة على ما تكرم به، وله ينبغي الشكر والعرفان إلى يوم الدين من تلك الذرية ومن يحبها.

92 أنظر كتاب النصب والنواصب ـ بدر ناصر العواد.

93 البداية والنهاية – ابن كثير، سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.

كان مروان ﵁ عظيم التعظيم لبني هاشم، وعلى صلة قوية بهم. وما يردده البعض من أنه كان يسب أهل البيت، هو أمر مناقض تماماً لما هو ثابت ومتواتر عنه من حبه لهم وحبهم له. فهو يروي الحديث عن علي بن أبي طالب ﵁ ويروي عنه الحديث علي زين العابدين بن الحسين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك علي بن الحسين أخذ العلم عن غير الحسين أكثر مما أخذ عن الحسين. فإن الحسين قتل سنة إحدى وستين، وعلي صغير. فلما رجع إلى المدينة، أخذ عن علماء أهل المدينة ومنهم أمهات المؤمنين عائشة وأم سلمة وصفية وأخذ عن ابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي رافع مولى النبي ﷺ ومروان بن الحكم ﵄ وسعيد بن المسيب وغيرهم. أهـ

وهذا لا يكون قط لو أن علي زين العابدين كان يشك في علم مروان أو كان بينهما خصومة، وذكر الذهبي أنه روى شعيب عن الزهري قال: «كان علي بن الحسين من أفضل أهل بيته، وأحسنهم طاعة، وأحبهم إلى مروان وإلى عبد الملك».[94]

قال الشافعي: أنبأنا حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن الحسن والحسين كانا يصليان خلف مروان ولا يعيدانها، ويعتدان بها.[95]

أما القصص التي تتهمه بمعاداتهم ومن كان معهم، أو من تناسل منهم من عموم البيت العلوي، فيرويها عدد من الضعفاء وهي تتهاوى كالعهن المنفوش أمام ما استدركنا من حوادثه معهم وكرمه تجاههم وحسن وصله بصلة رحمهم، ولا يسع المجال لذكر شواهد أخرى على ما ذكرنا فإنها أكثر مما تعد.

مروان ﵁ محدثًا ..

قال عنه أبو بكر بن العربي: مروان رجل عَدْلٌ، من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه، وأما التابعون فأصحابه في السن، وإن كان جازهم باسم الصحبة في أحد القولين، وأما فقهاء الأمصار فكلهم اتفقوا على تعظيمه، واعتبار خلافته، والتَّلَفُّت إلى فتواه، والانقياد إلى روايته، وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم. أهـ

أما رتبته عند علماء الحديث فهي: صدوقُ، حسن الحديث، وكيف لا يكون ذلك؟ وأئمته وأساتذته في الحديث كلهم صحابة، وعلى رأسهم سيدتنا عائشة بنت أبي بكر الصديق

[94] سير أعلام النبلاء - الذهبي.
[95] البداية والنهاية ــ ابن كثير

وأبو هريرة وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وأم سلمة وزيد بن ثابت وغيرهم، فتخرج على يد هؤلاء ﷺ "محدثًا" تشد له الرحال"، ويثق فيما يرويه المحدثون الكبار حتى تتلمذ على يده وروى عنه الزبير بن العوام وسهل بن سعد وإسماعيل بن سعيد ﷺوهم من الصحابة، بالإضافة إلى سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وعلي زين العابدين ومحمد بن شهاب الزهري وغيرهم من أجلاء العلماء وفقهاء الدين،

وقد اعتمد حديثه مالك بن أنس، وقال عنه عروة بن الزبير "لا يتهم في الحديث". كما أخرج أحاديثه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وهو ثقة بإجماعهم، وكان يُعَد من الفقهاء، حتى أن قبيصة بن جابر قال لمعاوية: من ترى للأمر بعدك؟ فسمى رجالا، ثم قال: وأما القارئ الفقيه الشديد في حدود الله، مروان.[96]

ويا لها من شهادة عظيمة من كاتب وحي رسول الله ﷺ في حقه، ويا له من وسام يُعلق على تاريخه، ولذلك استعمله أكثر من مرة خال المؤمنين ﷺ على أطهر بقعة بعد مكة ألا وهي المدينة المنورة ورشحه للخلافة من بعده.

فهل من المعقول أن نُسقط هذه الشهادات والامتيازات التي نالها مروان، وكان أهلاً لها وأحق الناس بها، ونذهب إلى تصديق روايات شعوبية كُتبت في أزمنة دول شيعية على فترات متباعدة بأقلام كهنتهم، تنال من قدره وتحط من شأنه حتى تأثرت صورته التي تم رسمها من قبلهم وتسللت بأنماطها المسيئة والمشوهة عنه إلى اللاوعي السني فتأثر بهذه الصورة النمطية الهجينة عنه لنجد مثلًا مؤرخًا مثل الذهبي يأتي بعد ستة قرون، ليصفه بأنه خان عثمان ﷺ وأنه بسببه قُتل، ولقبه بـ"خيط باطل" ..!

وهل يعقل أن يوصف مروان ﷺ الصحابي المحدث الثقة الفقيه الشديد في حدود الله المتخرج من أرقى الجامعات الإسلامية ألا وهي "جامعة الصحابة"، وتفقه وتتلمذ على يده أخيار هذه الأمة والخليفة المنقذ والموحد لها من التشتت والضياع بما ذكره الذهبي عنه ..!؟

المشكلة هنا أن كتّاب ومؤرخي أهل السنة والجماعة، عندما يكتبون عن هذه الشخصية العظيمة، يتجاهلون مكانته كصحابي، ومرافقته للصحابة الذين تعلم منهم وعلّمهم، وثقة التابعين فيه. وبدلاً من ذلك، يتجهون مباشرة إلى ما أورده ابن تيمية والذهبي عنه مع إننا نجد تناقضًا فيما يقوله مثلًا الذهبي عنه من أنه صحابي، وأنه " ذا شهامة، وشجاعة" ..!؟ فهل الصحابي والشهم والشجاع هذه أفاعيله ..؟! ومن هنا يتضح بصورة لا لبس فيها تضارب أقوالهم عنه.

[96] تاريخ دمشق ـ ابن عساكر

تشويه قصة وفاته ..

كما شوّهوا سيرة مروان ﵁ ومآثره، فقد ختموا ذلك التشويه بلفقهم قصة مكذوبة حول وفاته. تزعم هذه القصة أن زوجته، المعروفة باسم "أم خالد" - التي تزوجها بعد وفاة يزيد بن معاوية - لم توافق على تولي عبد الملك بن مروان الحكم، فاتفقت مع أصحابها على دخول غرفة مروان وخنقه بوسادة. هذه القصة الملفقة أسخف من أن يُرد عليها، وهي نتاج الأقلام الشيعية التي أذاق أجدادهم مروان بن الحكم وابنه وذريته الويلات، ووقفوا كالطود الشامخ ضد مشاريعهم التي كانت غايتها إنهاء الإسلام وأهله.

توفي مروان ﵁ لثلاثٍ خلون من شهر رمضان سنة 65هـ، وكانت وفاته طبيعية، وكان آخر ما تكلم به: "وجبت الجنة لمن خاف النار"، وكان نقش خاتمه "العزة لله"، وصلى عليه ابنه عبد الملك مع جمع غفير من الصالحين والأولياء وأهل الحل والعقد، ودُفِن في دمشق.

الحجاج بن يوسف الثقفي

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي[97]، والدته الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي الصحابي الشهيد ﷺ.[98] وُلِدَ الحجاج ونَشأ في الطائف، وتعلَّم القرآن والحديث والفصاحة، ثم عمل في مطلع شبابه معلم صبيان مع أبيه، يعلم الفتية القرآن والحديث، ومُفقِّهًا إياهم في الدين، وقد اشتُهِر بتعظيمه للقرآن.

في بداية مشواره بعد رحلته من الطائف ومجيئه إلى الشام التحق بشرطة الإمارة التي كانت تعاني من مشاكل جمة: منها سوء التنظيم، واستخفاف أفراد الشرطة بالنظام، وقلة المجندين. هنا أبدى حماسةً وانضباطًا ملحوظين، وسارع إلى تنبيه أولياء الأمر لكل خطأ أو خلل، وأخذ نفسه بالشدة، ولذلك قربه روح بن زنباع قائد الشرطة إليه، ورفع مكانته، ورقاه فوق أصحابه، وقد بان حينها نبوغه السياسي وقيادته المحنكة، وعندها أشار روح بن زنباع على الخليفة مروان بن الحكم ﷺ بتعيين الحجاج قائداً عليهم ففعل الخليفة.

ثم تدرج في ترقياته حتى وصل إلى قيادة الجيوش التي كان لها صولات وجولات في الحفاظ على أمن الأمة والدفاع عنها ورفع لواء فتوحاتها تحت قيادة تلك الخلافة الراشدة، وإجهاض كل محاولات النيل منها ومن بلاد المسلمين، وقد كان الحجاج بليغًا فصيحًا، مُعظمًا للقرآن الكريم وآياته، كريمًا، محبًا للشعر كثير الاستشهاد به، شجاعًا، وله مواقف عظيمة وأخبار كريمة.

بعد أن انتصر الحجاج في حروبه وأثبت جدارة قيادته، أقره عبد الملك بن مروان على ولاية مكة وأهلها، ثم في عام 75 هـ أعفاه من تلك الإمارة التي استقرت أوضاعها في

---

[97] عاش ما بين الفترة (40هـ – 95هـ).

98 عروة بن مسعود الثقفي ﷺ صحابي وزعيم ثقيف في زمانه وأحد وجوه العرب، له الكثير من المآثر والأخبار، فهو "عظيم القريتين" على ما ذكره المفسرون مما ذكر في القرآن الآية {لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم}. وأبوه مسعود بن معتب سيد بني ثقيف. استشهد في السنة الثامنة من الهجرة قال ابن إسحاق: لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود بن معتب حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، وسأل رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول الله ﷺ: «إن فعلت فإنهم قاتلوك». فقال له عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم وكان فيهم محببا مطاعا فخرج يدعو قومه إلى الإسلام فأظهر دينه رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم ورجع عروة إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام، ولكنهم غضبوا منه وسبوه، وأسمعوه ما يكره، وفي فجر اليوم التالي صعد عروة فوق سطح غرفة له وأذن للصلاة، فخرجت إليه ثقيف، ورموه بالنبل من كل اتجاه، فأصابه سهم فوقع على الأرض، فحمله أهله إلى داره، وهناك قيل لعروة: ما ترى في دَمكَ؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله قبل أن يرتحل َعنكم، فادفنوني معهم، فدفنوه معهم. فلما علم بما حدث لعروة قال: (مَثَلُ عروة في قومه مَثَلُ صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه) رواه الطبراني، وروي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (عُرض عليّ الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم—فإذا أقرب مَنْ رأيت به شبهًا عروة بن مسعود). حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذي وأحمد.

عهده، ووجهه بعد ذلك إلى إمارة العراق الذي كان يعاني من الاضطرابات بسبب "فسقة الكوفة" وبقايا الحرس الكسروي وذراريهم ومخلفاتهم الذين كانوا سبباً في هذه الفتن. لذلك أستعد الحجاج لها لعلمه بأن رأس المكر والغدر فيها، وليكن في الحسبان أن كل الخطب التي كان يزجر ويوبخ فيها بأرض العراق ويخاطبهم كانت موجهة إليهم وتخصهم، وكان قد أرسل من أمرهم بالاجتماع في مسجدها، ثم دخله ملثمًا بعمامة حمراء، واعتلى المنبر وجلس ناظرًا إلى المجتمعين فيه فلما ضجوا من سكوته خلع عمامته فجأة، وألقى خطبته المشهورة التي بدأها بقوله:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

وأضاف: إما والله فإني لأحمل الشر بثقله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله، والله يا أهل العراق إني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، والله لكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى. ثم قال: والله يا أهل العراق، إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانة بين يديه، فعجم عيدانها عودًا عودًا، فوجدني أمرّها عودًا، وأشدها مكسرًا، فوجهني إليكم.

روى الأعمش قال: سمعت الحجاج على منبر الكوفة يقول: يا معشر الحمراء،[99] تخلفتم عن الغزو، وجلستم على الكراسي، وتبردتم تحت الظلال، فلا يمر بكم مار إلاّ قلتم ما الهبر؟ ما الهبر؟[100] والله لأهبرنكم بالسيف هبرًا أشغلكم به عن الأخبار.[101]

والدليل على ما قال أنك لا تجد أثرًا لفتنهم في عهده، ولا همس لمؤامراتهم في فترة حكمه؛ وبسبب الإجراءات الصارمة التي اتخذها معهم والتأديب الذي فرض عليهم، فقد ضبطهم ضبطًا لمدة عشرين عامًا ونتيجة لذلك اشتكوا الى كهنتهم في أوكار فارس ما آلت إليه أحوالهم وأخبروهم أنهم لم يجدوا من خلال حكمه متنفسًا، وأنه كان بمثابة الكابوس عليهم حتى خشوا على أرواحهم بأجسادهم، فأمروهم بالصبر وتحين الفرصة بعد ذهابه والعود بالكرة لهدم الإسلام من الداخل وزرع الفتنة بين أهله، وأوعدوهم أنهم سيحركون أقلامهم ومن هم تحت سطوة آلتهم الإعلامية؛ لتشويه صورته والنيل منه، وهكذا تسلل هذا التشويه ما بين الدس والتضليل بشكل أو بآخر إلى حصون أهل السنة ومن يُعدّون من مؤرخيها أو كتابها وحتى فقهائها، لذلك نرى بدر عواد في كتابه[102] "النصب والنواصب" يصرح بأن الحجاج متفق على نصبه، وحتى أنه قال: نصب الحجاج لا يحتاج الى بيان كبير، واستدل بقول ابن تيمية عنه ووصفه له بـ "الناصبي"،

---

99 أي حمراء الكوفة الذين أشرنا لهم.

100 يقصد بالهبر: ما الخبر، حيث لا يزال العجم من الفرس لا يلفظون حرف "الخاء" ويستبدلونه "بالهاء" كما هو معروف.

101 ربيع الابرار الزمخشري

102 كتاب النصب والنواصب - بدر العواد.

والذهبي الذي قال عنه: "كان ظلوما جبارا ناصبيًا". كما عرجوا إلى قول ابن كثير عنه ووصفه بأنه " كان ناصبيًا يبغض علياً وشيعته في هوى آل مروان وبني أمية".

والعجيب في الأمر أن الحجاج لم يعترض أو يتعرض يومًا إلى البيت العلوي أو من تناسل منهم لا من بعيد ولا من قريب، وبما أنه أدّب وهذّب وأخمد "حمراء الكوفة" وبواطنها، فقد اتهموه بذلك الاتهام الذي هو بالواقع ينطبق عليهم.

وتلاحظ حتى في كتابات بعض مؤرخي أهل السنة وكتبتهم تناقضًا عجيبًا في سيرته، وهو ما يدعوا للشك في تناقضهم أو ربما تم دس ذلك في كتبهم، ومنه ما نوه عليه المؤرخ عبد الله الحصين الثقفي قائلًا: يقول الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء" عن الحجاج "كان ظلومًا جبارًا ناصبيًا" وكلمة ناصبي كما هو معلوم لا يقولها مسلم سني إلا من كان رافضي، وهنا نتساءل هل كان الإمام الذهبي رافضي .. ؟! وهل كانت هذه العبارة مدسوسة في تأريخ الامام الذهبي ... ؟!
ويضيف: ونجد الذهبي في موضع آخر يقول " إن من أكثر الشخصيات التي لم تنل حقها في التاريخ والبحث والدراسة شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي، لقد كانت لهذه الشخصية المكانة والمرتعة الخصبة لأصحاب الشهوات، وأهل الأهواء للطعن في العصر الأموي بوصفه عصر سفك الدماء وتسلط الأمراء، ولقد كان لشخص الحجاج النصيب الأوفر من هذه التهم"، هو يقول هذا "أي الذهبي"، ويقول قبل ذلك أن الحجاج ناصبي فكيف نوفق بين هاتين الروايتين ...!؟ أهـ

ونجد ايضًا قريب من هذا التناقض ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" حيث يصل به الحال الى لعن الحجاج ويصفه بأوصاف بغيضة، ومن ثم يتناقض تناقضًا عجيبًا ويذكر إنجازاته في القضاء على الفتن وتوحيد دولة الخلافة وفتوحاته وصولاته وجولاته...!؟

فتوحاته وولاياته :

بالإضافة إلى أن الحجاج كان أميرًا على العراق وإيران وأذربيجان وصولًا لجورجيا فإن حركة جهاده كانت قائمة وفتوحاته متراكمة، جهز وأرسل لها قادة أكفاء مثل: قتيبة بن مسلم الباهلي و محمد بن القاسم الثقفي، وبفضل الله تم فتح ثمانية دول على يديه: وهي باكستان وأفغانستان وطاجيكستان وأوزبكستان وكازخستان وتركمستان وقيرغزستان والهند وصولًا إلى حدود الصين، فمن يجلس في بيته ولم يهتدِ على يديه جاره، ولم يفتح حارة من حاراته، ويشنع على الحجاج، عليه أن يعلم أن هذه الدول وما تتعبد به لله شعوبها منذ أن تم فتحها وإلى قيام الساعة فإن الحجاج يشاطرهم أجر تعبدهم، ولو لم يُقيّض الله الحجاج وأمراء المؤمنين الذين نصبوه لقيادة إخماد الفتن والحركات المتمردة، سواء كانت شعوبية أو شيعية أو ذات أطماع فوضوية، والتي كادت تعصف

بالدولة الأموية وتسقطها، وهي تمثل آنذاك بيضة الإسلام وسنامه، لكان الإسلام اليوم في طي النسيان.

ومن ناحية العمران أن الحجاج بنى مدينة واسط في العراق وجعلها عاصمة له، وعمر العديد من المدن والامصار، وكانت له إنجازات واضحة المعالم فيها حتى يومنا هذا، ودامت ولايته على العراق وما ذكرنا عشرين عامًا، إلى أن توفاه الله برحمته ودُفن في عاصمته.

هشام بن عبد الملك

هو أَبُو الوَلِيد هِشَام بن عَبد المَلِك بن مُروان بن الحَكَم بن أبي العاص الأُمَويُّ القُرَشيُّ[103] الذي ولد في دمشق وكان عاشر خلفاء بني أمية وحكم في الفترة من 105 إلى 125هجريًا، بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه، واشتعلت في عهده فتن ونزاعات عديدة في أنحاء الدولة، منها حركات الخوارج الشيعة في الكوفة وفتنتهم بقيادة زيد بن علي بن الحسين[104]، واضطرابات البربر في المغرب، وكذلك التمردات في بلاد ما وراء النهر، فأخمدها بفضل الله جميعها، وبقيت خلافته متماسكة وحكمه راشدًا.

في عهده بلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساعها، وقد شهدت تقدمًا كبيرًا، فقد حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه (فرنسا) حيث وقعت معركة بلاط الشهداء.

ثم أرسل جيش الفتح للشرق بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك الذي كان من كبار المجاهدين؛ فما إن وصل هذا الجيش إلى هناك حتى دك قلاع الخزرين واللان والأتراك وغيرهم، وضم تلك البلاد إلى دار الخلافة الإسلامية حتى بلغ مدينة باب الأبواب، وهي ميناء كبير على بحر الخزر، ومدينة كبيرة ومحصنة من ناحية أذربيجان. ومنذ ذلك

---

[103] عاش في الفترة (71- 125هـ)

104 هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وُلد سنة ست وستين هجريًا، وكان يقيم في الكوفة. عندما أراد العودة إلى المدينة والإقامة فيها، اجتمعت "منظمة حمراء الكوفة" وقرروا الإيقاع به. كان هدفهم إعادة خطتهم القديمة الجديدة: توريط وقتل أجداده الحسين و علي رضي الله عنهما ، وذلك بتقديمه كقائد لهم وبث الفتنة في الدولة الأموية، طمعًا في إسقاطها. وإذا فشلوا، كانوا ينوون اتهام الدولة والانتقام منها، وتزوير التاريخ باتهامها بقتله بعد اغتياله.

أسرعوا إليه أثناء رحلة عودته إلى المدينة، واستجاروا به، وأسمعوه كلامًا منمقًا ومحكمًا يهدفون به إلى التصدي للأمويين، متظاهرين بظلم وقع عليهم منهم. طلبوا منه العودة إلى مدينتهم، وقالوا له: "نحن أربعون ألفًا، نضرب بأسيافنا دونك، وليس عندنا من أهل الشام إلا عدد قليل، وبعض قبائلنا تكفيهم بإذن اللّه تعالى." أعطوه العهود والمواثيق ألا يخذلوه، فقال لهم: "إني أخاف أن تفعلوا معي كفعلكم مع أجدادي." فحلفوا له بالأيمان المغلظة على أن يجاهدوا بين يديه.

عندما عزم زيد على موافقتهم، سعى إليه جماعة ممن يكنون له الود والنصح، وذكروه بغدر أهل الكوفة الحمراء، وأنهم لا ثبات لهم في قول ولا عمل، وأن دأبهم قائم على نقض العهود والمواثيق. وأشاروا عليه بالإعراض عنهم؛ فإن نتيجة وفاقهم القتل. فخالف زيد ناصحيه وقال لهم: "إنهم كتبوا إليّ يسألون القدوم عليهم، وإن أهل الكوفة بايعوني، وقد وجبت بيعتهم في عنقي...!"

وعند انتشار خبر رجوعه للكوفة، عملت تلك المنظمة على تعظيم رجوعه، وعقدت دعايتهم الإعلامية الرايات حوله، واتفقوا مع بعض القبائل على المناصرة الصورية له والاجتماع عنده. وأوعزوا إلى أتباعهم بالتجهيز للتمرد تحت قيادته على الدولة الأموية وخليفتها آنذاك هشام بن عبد الملك. وأوصوهم عند اشتداد الأمر بالنجاة بأنفسهم، وألا يرموا بأنفسهم للتهلكة ليحافظوا على شوكتهم.

وعندما انتشروا مع أصحاب زيد في الكوفة، أمرهم زيد أن ينادوا: "من ألقى سلاحه فهو آمن"؛ ليعلن سقوط الكوفة تحت يديه، وخلعها عن سلطة الدولة الأموية. وأخذوا يطاردون جند تلك الدولة وقادتهم وموظفيهم في تلك المدينة في محاولة لتطهير الكوفة منهم. وعندما وصلت الأخبار للقيادة المركزية والحكومة الإسلامية في عاصمة الخلافة دمشق، صدرت أوامر للقيادة المتمركزة في الحيرة، فذهبت واشتبكت مع زيد وجنده، وقاتلوا قتالا شديداً. وهنا صدرت الإشارة من منظمة حمراء الكوفة لأعوانها بالانسحاب، ومعها أسباب الغدر والخيانة. أظهروا لزيد الاعتذار عن القتال خوفًا من الحصار الذي ضرب على المدينة وما حولها. وهنا التفت زيد إلى نصر بن خزيمة وقال له: "يا نصر، أخاف أهل الكوفة أن يكونوا قد فعلوها فعلة حسينية!"

ولم يواف زيدًا ممن بايعه في هذا اليوم غير مائتين وثمانية عشر رجلا، فقال زيد: "سبحان اللّه...!؟ أين الناس...؟" فقيل له: "إنهم محصورون في المسجد الأعظم." قال: "واللّه ما هذا لمن بايعنا بعذر."

وانتهى زيد إلى باب رجل من الأزد يقال له أنس بن عمرو، وكان ممن بايعه، فناداه زيد: "يا أنس، اخرج إليّ رحمك اللّه، فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا." فلم يخرج إليه. فقال زيد: "ما أخلفكم، قد فعلتموها، اللّه حسيبكم."

اشتد الفرار ممن خذله، ولم يبقَ معه إلا النزر اليسير الذين لم يستطيعوا صد ميليشيا ظهرت فجأة يقودها زعيم من زعماء الحمراء بلباس الجند الأموي، فاغتلوه في شهر صفر من عام 122هـ. وهنا تمت خطتهم بنجاح.

التاريخ، لم تصل الدولة الإسلامية إلى مساحة جغرافية أكبر من هذه، ممتدة من الصين شرقًا إلى فرنسا جنوبًا، وكانت عاصمتها دمشق.

كان هشام بن عبد الملك (رحمه الله) يشجع العلماء، واهتم بالبناء، واشتهر عهده بنظام العمارة الأموية. أرسى الأمن في أرجاء الدولة، وفتح العديد من البلدان، وأرسل الرسل فانتشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر والهند والسند وغيرها من البلدان. كما عمل على تطوير الزراعة ونظام الري، واهتم بالترجمة، وساند العلماء والفقهاء، وجلب المفكرين والعلماء إلى دمشق، وأنشأ المكتبات، ودعم النساخ ودور العلم فيها، فكانت دمشق في عهده منارة للعلم والحضارة.

على الرغم من كل ذلك، نرى بدر عواد يمرر في كتابه عبارة **"**هشام بن عبد الملك ناصبي**"**، أي يتهمه بالنصب، أثناء سرده لواقعة لا تتعلق بالنصب لا من قريب ولا من بعيد **..!؟**

أتساءل هنا: لمصلحة من تمرير مثل هذه العبارات وعلى أي دليل استند العواد **...!؟** وبينه وبين هشام بن عبد الملك أكثر من 1300 عام لم يقل فيها أحد من المؤرخين أو العلماء السنة بما قال به العواد**...!؟** وقد وافق الشيعة وكتبتهم وحقد كتاباتهم في هذا الأمر،
ومن المعلوم أن هشام بن عبد الملك جاء بعد قرن من الزمن بينه وبين زمن علي والحسين ﵄ ، و**"**حسب بعض التعاريف عن النصب**"** ظلت تهمة ولعنة النصب تلاحق كل خليفة راشد وقائد فاتح الى يوم الدين **..**؟

الخلفاء العباسيون

لم يقف الاتهام بالنَّصْب عند الشيعة للخلفاء الأمويين، بل تعداه إلى العباسيين الذين تحالفوا مع العلويين في بداية ظهورهم، ثم استأثروا بالحكم من بعد ذلك، وقامت تمردات ضد حكمهم مثل حركة "محمد صاحب النفس الزكية"، ويعتقدون أن جعفر الصادق مات بأمر أبي جعفر المنصور وأن موسى الكاظم مات بأمر هارون الرشيد. كما اتهموا بعض خلفاء بني العباس، ومنهم الخليفة المتوكل، بالنَّصْب ولهجوا بلعنه، ووافقهم بذلك ابن الأثير وابن خلكان وقالوا عنه: إنه يبغض علي وذريته دون ذكر النصب، أما الذهبي فقد اتهمه "بالنصب الظاهر بلا خلاف واتهمه بالانحراف "[105]

ثم يعرج الشيعة بعد ذلك ليتهموا بالنصب جل حكام وعلماء أهل السنة على فترات متباينة، وأبرزهم:

أبو حنيفة

أبو حنيفة[106] هذا الإمام الجليل تم اتهامه بالنَّصْب والعداوة للبيت العلوي، ونجد أحد متصدري الشيعة وهو حسين آل عصفور يقول: وأكثر الفقهاء من العامة في أيامهم، فرفعوا مكانهم، وأمروا الناس بالأخذ بفتياهم، كان أقرب الفقهاء إليهم أشدهم عداوة لآل الرسول، وأظهرهم لهم خلافًا في الفروع والأصول، كمالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل، ومن حذا حذوهم في تلك المذاهب السخيفة، وكان في زمانهم من الفقهاء من هو أعلم، ولكن اشتهر هؤلاء لأنهم لآل محمد أبغض وأظلم، ولما فيهم من التلبيس الذي حملهم عليه إبليس، أظهروا الزهد، والبعد عن الملوك، طلبًا لدنيا لا تنال إلا بتركها ظاهرًا، ومرآة لهم في السلوك، فمالت إليهم القلوب، ودانت لهم عقول من هم في الضلالة كالأنعام، روجت أسواقهم الكاسدة أقوام أي أقوام، فستروا ما أبدعوا في الدين بإصلاح مموه، وتأويل غير مبين. أهـ

قال المفيد في كتابه "عدة مسائل": أطلق لفظ الناصبي على أبي حنيفة. وأشار نعمة الله الجزائري في "الأنوار النعمانية بقوله: ويؤيد هذا المعنى أنَّ الأئمة وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله، مع أنه لم يكن ممن نصب العداوة لآل البيت...**!؟**

---

105 تاريخ الإسلام (552/18)، النصب والنواصب ـ بدر العواد

[106] أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، هو إمام فقيه وعالم دين، يُعد مؤسس المذهب الحنفي، أحد المذاهب الفقهية الأربعة الكبرى في الإسلام. وُلد في الكوفة عام 80 هـ ، وعُرف بعقله الراجح وقدرته الفائقة على الاستنباط والقياس في المسائل الفقهية.

وجاء في الكافي برواية ينسبونها للصادق عن محمد بن مسلم قال: دخلت على أبي عبد الله وعنده أبو حنيفة فقلت له: جُعلت فداك، رأيت رؤيا عجيبة فقال: يا ابن مسلم هاتها فإن العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبي حنيفة قال: فقلت: رأيت كأني دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت علي فكسرت جوزًا كثيرًا، ونثرته عليَّ فتعجبت من هذه الرؤيا، فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتجادل لئامًا في مواريث أهلك فبعد نَصَبٍ شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله فقال أبو عبد الله: أصبت والله يا أبا حنيفة،
قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت: جعلت فداك إني كرهت تعبير هذا الناصب فقال: يا ابن مسلم لا يسؤك الله، فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا، ولا تعبيرنا تعبيرهم، وليس التعبير كما عبره.

مالك بن أنس الأصبحي

مالك بن أنس[107] جعله بدر العواد في عداد النواصب وقد استدل على ذلك النَّصْب بأنه روى مصعب وهو تلميذ مالك أنه سأل مالكًا: من أفضل الناس بعد رسول الله ...؟ فقال مالك: أبو بكر قال: ثم من ...؟ قال: عمر قال: ثم من؟ قال: عثمان قال: ثم من ...؟
قال: هنا وقف الناس.
(وربطوا عدم روايته عن علي بأن المنصور اشترط عليه ألا يروي عن علي فوفى مالك بالشرط فلم يروِ عن علي شيئًا في موطئه) وهذا من الكذب على مالك وموطئه فإنه أورد عدة أحاديث عن علي ﵁ في موطئه.[108]

البخاري

البخاري[109]هو إمام أئمة الحديث، وأشهر من أن نسرد سيرته، وقد ذكر بدر العواد أن أحمد الغماري اتهمه بالنَّصْب من خلال معلميه الذين يسميهم الأشراف العلويين الذين اتهموه بالنَّصْب، بل قالوا عنه أنه نويصيبي "بالتصغير".

[107] مالك بن أنس الأصبحي هو الإمام مالك، إمام دار الهجرة ومؤسس المذهب المالكي، أحد المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة في الإسلام. ولد بالمدينة المنورة حوالي سنة 93 هـ ، وعُرف بجمعه للحديث النبوي الشريف في كتابه "الموطأ"، الذي يُعد من أمهات كتب الحديث والفقه.

108 ومنها حديث حَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مَالِك، عَنِ ابن شِهَاب، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَالحَسَنِ ابْنَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب، عَنْ أَبِيهِمَا، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ. ومنها حديث عن يَحْيَى، عَنْ مَالِك، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» :نَحَرَ بَعْضَ هَدْيِهِ وَنَحَرَ غَيْرُهُ بَعْضَهُ. وغيرها

[109] محمد بن إسماعيل البخاري هو إمام حافظ ومحدث كبير، يُعد من أبرز علماء الحديث في تاريخ الإسلام. ولد في بخارى عام 194 هـ ، واشتهر بجمعه وتصنيفه لأصح الأحاديث النبوية في كتابه "الجامع الصحيح" المعروف بـ"صحيح البخاري".

الترمذي

الترمذي[110] وهو إمام من أئمة الحديث، كذلك جعله بدر العواد في عداد النواصب، واستدل أن أحمد بن صديق الغماري اتهمه بالنَّصْب فقال عنه "إن للترمذي في نوادره كلامًا في حق آل البيت يدل على نصبه، وقلة أدبه مع رسول الله ﷺ

أبوداود

أبو داود[111] إمام من أئمة الحديث، وله " سُنَنه" التي اشتهر بها، وقد أورد بدر العواد أن الخطيب البغدادي قال عنه "كان أبي داوود يتهمه بالانحراف عن علي والميل عليه"، وقال ابن عدي "نسب في الابتداء إلى شيء من النَّصْب".
أما المعاصرون، كالكوثري وأحمد الغماري، فلم يكتفيا برميه بالتهمة، بل وصفاه. بـ "الناصبي الكبير" وجعلاه مشهورًا بالنَّصْب.

ابن تيمية

ابن تيمية[112] ذكر بدر العواد أن جماعة كابن حجر الهيتمي،[113]وابن عقيل، والكوثري، وأحمد الغامري، وأخيه عبد الله، والحبشي، وحسن السقاف وآخرين. نسبوا إليه الانحراف عن علي رضي الله عنه أو نقلوا ذلك دون تعقب ثم يقول عنه "ولذا وجدنا كبار المتصوفة ورموزهم يصفون شيخ الإسلام ابن تيمية بالنَّصْب، وعلى رأسهم الشيخ أحمد الغماري أحد كبار متصوّفة المغرب، حيث وصفه بأنه "عدوّ آل البيت الأكبر"، وأنه "شيخ النَّصْب"، وأنه "من غلاة النواصب"، وقال عنه حسن السقاف: "وهو ناصبيّ، عدوّ لعلي "عليه السلام".

---

110 أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي هو إمام حافظ ومحدث جليل، تلميذ الإمام البخاري. وُلد في ترمذ حوالي عام 209 هـ، وتُوفي بها أيضًا عام 279 هـ، واشتهر بجمعه لكتاب "الجامع الكبير" المعروف بـ"سنن الترمذي".

111 أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني هو إمام حافظ ومحدث كبير، صاحب "سنن أبي داود" الذي يُعد من الكتب الستة في الحديث النبوي. وُلد في سجستان حوالي عام 202 هـ، وتُوفي في البصرة عام 275 هـ.

112 أحمد بن عبد الحليم بن تيمية هو عالم موسوعي، فقيه، محدث، ومجدد وشيخ من مشايخ الإسلام. وُلد في حران عام 661 هـ، وتُوفي في دمشق عام 728 هـ، وعُرف بدفاعه عن العقيدة السلفية ومواجهته للبدع والانحرافات.

113 العجيب أنهم يتهمون بعد ذلك ابن حجر الهيتمي بالنصب.. أرأيتم كيف يبطشون بهذا المصطلح شرقًا وغربًا ولا يستثنون الطالب أو المطلوب

ولا أعرف كيف اتهموا ابن تيمية بالنَّصْب في الوقت الذي هو يتهم غيره به، إذ يقول عن أهل السنة: "ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة".

وهنا نعرف أن تهمة النَّصْب من قبلهم لا يسلم منها حتى الذي في هذا الجانب سار بمسارهم واتفق معهم فيما ذهبوا إليه.

سعيد بن المسيب

سعيد بن المسيب[114] من فقهاء المدينة، ورواة الحديث يذكر محسن المعلم في كتابه أنهم يذكرون عنه أنه " كان ممن ينصب العداء لأمير المؤمنين علي ﵁ وكان منحرفًا عنه"[115]

ابن حزم الظاهري الأندلسي

ابن حزم الظاهري[116] لم يكتف أحمد الغماري بالتأكيد على نصب ابن حزم، بل تجاوزه إلى رمي أكثر أهل الأندلس فقال عنه (نبغضه من جهة النصب، وعدم احترامه لآل البيت، كما هو شأن سائر أهل بلده الأندلسيين إلا من عصم الله منهم)[117]،
وقد ذكر كمال الحيدري أن الذهبي ايضًا اتهم ابن حزم الظاهري بالنصب.

الذهبي

الذهبي[118] يقول بدر عواد: رمي الحافظ من منتسب لمذهب أهل السنة دعوى غير مسبوقة وغريبة في الوقت نفسه، إلا أن هذا الاستغراب يزول إذا عرف أن راميه هو أحمد الغماري. ومن ذلك قوله: (الذهبي إذا رأى حديثًا في فضل علي "عليه السلام" بادر إلى إنكاره بحق وبباطل، حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه)

---

[114] سعيد بن المسيب هو أحد فقهاء المدينة السبعة الكبار وإمام التابعين، وعُرف بغزارة علمه وفقهه وورعه. وُلد في المدينة المنورة حوالي عام 13 هـ، وتُوفي بها حوالي عام 94 هـ.

115 أنظر النصب والنواصب - محسن المعلم، ومصادر نهج البلاغة

[116] ابن حزم الظاهري هو أحد أبرز علماء الأندلس، فقيه، محدث، مؤرخ، وأديب، وصاحب المذهب الظاهري. وُلد في قرطبة عام 384 هـ، وتُوفي في منت ليشم (بالقرب من ولبة) عام 456 هـ.

[117] كتاب "النصب والنواصب"، بدر العواد.

[118] الذهبي هو الحافظ والمؤرخ ، صاحب "سير أعلام النبلاء" و"تاريخ الإسلام". وُلد في دمشق عام 673 هـ، وتُوفي بها عام 748 هـ.

ويورد محسن المعلم في كتابه (النصب والنواصب) عند ذكره للذهبي بأنه " أشد المنتسبين إلى السنة تعصبًا على أهل البيت بل يكاد يكون مروانيًا بحتًا "[119]
وقال المقبلي من جملة قصيدة:

وشاهدي كتب أهل الرفض أجمعهم ... والناصبين كأهل الشام كالذهبي

والمراد بالذهبي[120] صاحب التواريخ الجمة، ومصداق ما رميناه به كتبه لا سيما تأريخ الإسلام، فطالعه تجده لا يعامل أهل البيت خاصة وشيعتهم عامة إلا بما ذكرنا، من تكلف الغمز وتعمية المناقب وعكس ذلك من أعدائهم، لا سيما بني أمية، لاسيما المروانية، وكفى بما أطبق عليه هو وغيره من تسميتهم خلفاء، ثم يقولون خرج عليهم زيد بن علي وإبراهيم بن عبد الله ومحمد بن عبدا لله ونحو ذلك. أهـ

ابن حجر الهيتمي

لم يرم ابن حجر الهيتمي[121] بالنصب إلا أحمد الغامري، وقد اتهمه به لتأليفه كتاب "الصواعق المحرقة"[122] و "سلب الإيمان"[123] الذين منع فيهما سب أحد من الصحابة أو الطعن فيه، ولما كان معاوية هو أكثر من يناله طعن الشيعة وقدحهم، خصص الكتاب الثاني له.
والقول بصحة إسلام معاوية وعدالته ونحو ذلك لا يرضي الغماري لما عرف به من القول بكفره ونفاقه.

---

119 أنظر القول الفصل ج2/ 31، وكتاب النصب والنواصب - محسن المعلم.
120 بالرغم من اتهام غيرهما بالنصب، عاد الشيعة واتهموا الذهبي وابن تيمية بالنصب.
121 ابن حجر الهيتمي هو فقيه شافعي ومحدث ومؤرخ ، صاحب التصانيف الكثيرة مثل "الزواجر عن اقتراف الكبائر"، وُلد في محلة أبي الهيتم بمصر عام 909 هـ، وتُوفي في مكة المكرمة عام 974 هـ.
122 هذا الكتاب فيه ما فيه من النيل من يزيد بن معاوية وبني أمية والبقية من طعونات وانحرافات، وقد دأب الرافضة ومناصروهم على التحذير من كل متصدر سني يتأثر بهم، حتى يعتقد السني أنه بالفعل ضدهم فيأخذ منه ذلك السني ما كان غثًا وسمينًا معتقدًا أن كتابات واراء ذلك المتصدر هي الصواب، ولا يتصور أنه قد وقع في حيلة من حيل الشيعة للانحراف به عن الحق.. وهذا ما لاحظناه عند ابن حجر الهيتمي وغيره.
123 لم أعثر على هذا الكتاب

الجوزجاني

الجوزجاني[124]، ويقول عنه: أنه ممن سكن دمشق وينعتهم بدر عواد بأنهم من أشهر مواطن النصب **...!؟**

وقال ابن حجر: الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب، وذلك لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع، فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلقة، وعبارة طلقة.

وهنا يتساءل محمد المكي: "أليس هذا الكلام - أي كلام ابن حجر على الجوزجاني - قريب من كلام محسن المعلم الذي يقول: الذي يعادي الشيعة يعتبر ناصبيّا ...؟ " أهـ

وقد ذكر أن أبي إسحاق الجوزجاني[125] اتهم بالنصب بسبب كتابه في الضعفاء الذي يضعف فيه أحاديث الشيعة وأهل الكوفة ورجالاتهم.

والمفارقة أنه قد تم اتهام الجوزجاني من قِبل: ابن حبان وابن عدي والدارقطني بالانحراف عن علي، مع أنهم كما ذكر بدر العواد لم يعاصره أحد منهم بل كلهم متأخرون عنه، ويفصل بينه وبين أقربهم إليه حوالي مائة سنة **...!؟**[126]

ابن بطة الحنبلي

ابن بطة الحنبلي[127] لم يرمه أحد بالنصب إلا أحمد الغماري.

أبو بكر الباقلاني

أبو بكر الباقلاني[128] ايضًا رماه بالنصب أحمد الغماري بسبب بطلانه لحديث الطير.[129]

---

124 الحافظ إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وُلد في جوزجان بخراسان كان من كبار أئمة الحديث في القرن الثالث الهجري، معروفًا بضبطه للأحاديث وروايته عن كبار التابعين وأتباعهم. وقد اشتهر بنقده الشديد للضعفاء وخصوصًا أهل البدع. توفي سنة 259 في دمشق.

125 يقول ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب عن الجوزجاني (فأكثر الترحال والكتابة وله عن أحمد بن حنبل مسائل وعنه أبو داود والترمذي والنسائي قال الخلال إبراهيم جليل جداً كان أحمد بن حنبل يكاتبه ويكرمه إكراماً شديداً وقال النسائي ثقة، أهـ، بينما نرى أن ابن حجر العسقلاني يذكر في لسان الميزان قوله: وممن ينبغي أن يتوقف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد، فإن الحاذق إذا تأمل ثلب أبي أسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب، وذلك لشدة انحرافه في النصب، وشهرة أهلها بالتشيع.

126 النصب والنواصب ـ بدر العواد ص373

127 ابن بطة الحنبلي هو أحد أئمة الحنابلة وعلمائهم الكبار، صاحب التصانيف الكثيرة في العقيدة والفقه مثل "الإبانة الكبرى". وُلد في عكبرا (بالقرب من بغداد) عام 304 هـ، وتُوفي بها عام 387 هـ.

128 أبو بكر الباقلاني هو أحد أئمة الأشاعرة المتكلمين، وفارس المناظرين، وله مصنفات عديدة في العقيدة وأصول الفقه. وُلد في البصرة عام 338 هـ، وتُوفي في بغداد عام 403 هـ.

129 قال الترمذي: حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن عيسى بن عمر، عن السُّدي، عن أنس قال: كان عند النبي ﷺ طير، فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»، فجاء علي فأكل معه. ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه من حديث السُّدي إلا من هذا الوجه.

ابن كثير

أبن كثير[130] يذكره بدر العواد في كتابه[131] قائلاً: كالعادة طاشت سهام أحمد الغماري، فرمى الحافظ ابن كثير بالنصب...!؟ ومما قاله بعد حديثه عن دعوى نصب الذهبي "سبحان من ابتلى أهل الشام بحب بني مروان، والانحراف عن آل البيت الأطهار، ومن رأى كلام ابن كثير عرف أن الذهبي لا شيء بالنسبة له"،
ثم يضيف بدر العواد قائلاً: والغماري لا يتردد في رمي كثيرين بالنصب، دون أن يكون لديه ما يؤكد صحة زعمه، وقد سبقت الإشارة إلى "سعة مفهوم النصب" لديه بسبب النزعة الشيعية فيه. أهـ
أقول هنا وأخيرًا اعترف بدر العواد بنزعة التشيع في الغماري وقد صدع رؤوسنا بالاستشهاد به بما ذكرنا سابقاً، ومن لديه أدنى قدر من الذكاء يكتشف أن تشيعه لا يحتاج إلى دليل، بل يتضح من كلامه أنه من غلاة الشيعة.

الأصمعي

الأصمعي[132] أحد الأئمة في اللغة والأدب المعروفين، ولم يجد بدر عواد غير الكوثري قد رماه بالنصب..!؟ وهذا الكوثري يقال: إنه فقيه حنفي جركسي الأصل، مولده في قرية شرقي الآستانة سنة 1296 هـ ..!؟

ياقوت الحموي

ياقوت الحموي[133] رماه بالنصب ابن خلكان فقال (كان متعصبًا على علي بن أبي طالب ﵁ وكان قد طالع شيئًا من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه منه طرف قوي، وتوجه إلى دمشق في سنة ثلاث عشر وستمائة، وقعد في بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي ﵁ وجرى بينهما كلام أدى إلى ذكره عليًا ﵁ بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم، وخرج من دمشق منهزمًا).

---

[130] ابن كثير هو الحافظ المفسر والمؤرخ الكبير، صاحب كتاب "البداية والنهاية" و"تفسير القرآن العظيم". وُلد في بصرى الشام عام 701 هـ، وتُوفي في دمشق عام 774 هـ.

[131] أنظر كتاب "النصب والنواصب"

[132] الأصمعي هو أحد أئمة اللغة العربية والشعر، وعُرف بسعة علمه وغزارة روايته للأخبار والأشعار والنوادر. وُلد في البصرة عام 122 هـ، وتُوفي بها حوالي عام 216 هـ.

[133] هو مؤرخ وجغرافي وأديب موسوعي، اشتهر بكتبه القيمة مثل "معجم البلدان" و"معجم الأدباء". وُلد في بلاد الروم (آسيا الصغرى) حوالي عام 574 هـ، وتُوفي في حلب عام 626 هـ.

وهنا لنا وقفة، ويتبادر إلى الذهن سؤال مصحوب بالتعجب: كيف يُتَّهم أهل دمشق بالنصب ويثورون في الوقت نفسه على من يقدح بعلي رضي الله عنه حسب هذه الواقعة ..!؟
هذا الأمر يعود بنا لاكتشاف حقيقة قالها ابن تيمية قبل ذلك، ألا وهي: بأن من يقول عن أهل دمشق ناصبة فهو كاذب.[134]
وقد أشار الحافظ ابن حجر الى اتهامه بالنصب، ويعقب بدر العواد: إلا أن الصحيح أن هذه التهمة لا تثبت عنه بالنظر في مصنفاته فإنه لا يذكر عليًّا رضي الله عنه إلا بما يدل على تعظيمه، وهذا ما أكده الحافظ ابن حجر نفسه حين قال (لم أر في شيء من تصنيفه التصريح بالنصب، بل يحكي فيها فضائل علي ما يتفق ذكره)
وهنا نرى التخبط واضحًا والتلفيق صريحًا فكيف يتهمه ابن حجر بالنصب وفي الوقت نفسه ينفي ..؟
ثم ألا تذكركم هذه الحادثة ومطابقتها لما ادُّعي أنه حدث للنسائي مع أهل دمشق، وكأن كاتب سيناريوهاتها من مصدر واحد مع بعض الاختلاف فيها ..!؟

ابن خلدون

ابن خلدون[135] قال ابن حجر العسقلاني: كان شيخنا الحافظ أبو الحسن "يعني الهيثمي" يبالغ في الغض منه، فلما سألته عن سبب ذلك ذكر لي: أنه بلغه أنه ذكر الحسين بن علي رضي الله عنه في تاريخه فقال: "قتل بسيف جده" ولما نطق شيخنا بهذه اللفظة، أردفها بلعن ابن خلدون وسبه وهو يبكي"...!؟

ابن العربي المالكي

ابن العربي المالكي[136]، على الرغم من ثناء ابن العربي على الحسين وتألمه لما أصابه إلا أنه سوغ عمل قاتليه بأنهم فعلوه من باب التأويل فقال: خرج إليه [يعني إلى الحسين] أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من الدخول في الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة. ولذلك نرى أحمد الغماري يتهمه بالنصب، واستند إلى أشياء منها: كونه قد خطّأ الحسين في خروجه على يزيد.

[134] مجموع فتاوى ابن تيمية.

[135] ابن خلدون هو المؤرخ والفيلسوف وعالم الاجتماع المعروف، صاحب "المقدمة" التي تُعد من أهم الأعمال في فلسفة التاريخ وعلم العمران. وُلد في تونس عام 732 هـ، وتُوفي في القاهرة عام 808 هـ.

[136] محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الأندلسي، أبو بكر ابن العربي، (468–543 هـ) فقيه متبحر بلغ مرتبة الاجتهاد، من آثاره: العواصم، أحكام القرآن.

أبو الثناء محمود شهاب الدين الآلوسي

يعتبر أحد المجددين وشيخ علماء العراق في عصره[137]، بالإضافة لكونه مفسرًا، ومحدثًا، وفقيهًا، وشاعرًا، وقد كان ركنًا من أركان النهضة الادبية في إنتاجه وفي توجيهه، فلم يكن فقيها فقط وإنما أديبا أيضًا ، وكان له مجلس أدبي، وقد قام بنفسه بتدوين كتب ومؤلفات أدبية خالصة وكان يُعد في طليعة أدباء عصره من شعراء وكتاب وكان على علاقة جيدة بهم.

وأهم أعماله التي خلدت ذكراه، وكان له وقع في النفوس الإسلامية، وصدقةٌ جارية لا زالت آثارها باقية، هو تفسيره الذي سماه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" والمعروف بـ (تفسير الآلوسي) وقد بذل جهدًا كبيرًا حتى أخرجه للناس كتابًا جامعًا لآراء السلف رواية ودراية، مشتملًا على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، وقد جمع فيه خلاصة ما سبقه من التفاسير، وأثراه بإضافته لجوامع الكلم ودرر الحكم وزبدة التعابير. ثم أعقبه بمؤلفات أخرى أهمها:

- غرائب الاغتراب
- دقائق التفسير
- الخريدة الغيبية
- كشف الطرة عن الغرة
- حاشية قطر الندى
- شرح سلم المنطق
- الرسالة اللاهورية
- الأجوبة العراقية
- البرهان في إطاعة السلطان.
- الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب
- شهى النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم
- النفحات القدسية
- حاشية الحنفية على مير أبي فتح
- الفوائد السنية
- رسالة في الجهاد
- المقامات الآلوسية

[137] ولد في بغداد وتوفي فيها سنة (1217–1270 هـ)

وغيرها كثير من الرسائل والمؤلفات المخطوطة والمطبوعة.

وقد اتهمه محسن المعلم في كتابه بـ "النصب" وصب جام غضبه عليه، وأورد عدة أسباب لهذا النصب ومنها: أنه لما أوقع الوالي محمد نجيب باشا بأهالي كربلاء سنة 1258هـ وبطش بهم وقتل منهم ما قتل عندها أنشد أبو الثناء الألوسي:

أحسين دنس دار مدقدـــك الألى ... سموا الروافض وهو نعم المرقد
لو يعلمون بسوء عقباهم لمـــا ... تركوا الهـدى وبنوره لم يهتدوا
حتى جرى قلم القضاء بطهرها ... من رجسهم لما بغـوا وتمردوا
كم وزير لم ينل تطهيـــرها ... منهم فطهرها النجيب محمـــد

ثم أراد المعلم أن يدعم حجته في اتهامه أبا الثناء بالنصب، فأشار أيضًا في كتابه[138] إلى أنه أنكر تنصيب علي ﷺ وحاول هدمه من خلال تفسيره (روح المعاني) عما أخرجه الشيعة عن أبي سعيد الخدري في سبب نزول آية (اليوم أكملت لكم دينكم) بقوله: ولا يخفى أن هذا من مفترياتهم، وركاكة الخبر على ذلك في مبتدأ الأمر. أهـ

ثم يُعقب المعلم على ما صرح به الأميني من قوله بحق الألوسي الذي يقول: أن ما يروى في فضل علي ﷺ وما يُسند إليه من فضائل كلها ركيكة، ثم يردف الأميني عليه قائلًا: وهذا هو النصب ا المَسَفُّ بصاحبه إلى هوة الهلكة.

138 أنظر كتاب النصب والنواصب

أبو المعالي محمود شكري الآلوسي

هو أحد علماء أهل السنة في العراق بالإضافة إلى كونه أديبًا ومؤرخًا[139]، وهو من سلالة أسرة الآلوسي المشهورة بالعلم والفضل وهو من أحفاد أبو الثناء محمود شهاب الدين الآلوسي الكبير صاحب تفسير "روح المعاني".
وقد وصف رشيد رضا محمود شكري الآلوسي بأنه:« ناصرُ السنة، قامعُ البدعة، علامةُ المنقول، ودراكةُ المعقول، دائرةُ المعارف الإسلامية، نبراسُ الأمة العربية»، له ما يزيد على خمسة وستين مؤلفًا: ما بين كتب تأريخية وأدبية ولغوية ونحوية وله مؤلفات خاصة في الرد على الشيعة ومنها:

ـ السيوف المشرقة مختصر الصواعق المحرقة
ـ غرائب فقهية عند الشيعة الإمامية
ـ رد علامة العراق محمود الآلوسي على حصون العاملي الرافضي "وهي رسالة قام بنشرها محمد رشيد رضا في كتابه (السنة والشيعة)
ـ المنحة الإلهية: تلخيص ترجمة التحفة الاثني عشرية
ـ صب العذاب على من سب الأصحاب
ـ سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين
ـ مختصر التحفة الاثني عشرية في الرد على فرق الشيعة الإمامية،

وكما أهدى جده (الأجوبة العراقية) للسلطان محمود، فقد أهدى هذا (مختصره) للسلطان عبد الحميد.

وهذه الكتب كانت كالصاعقة في ذلك الوقت على أصحاب الدين الشيعي، ومراجعهم وخاصة أنها أُلِّفت في وقت كان أحوج ما تكون الأمة لمثلها بسبب اللوثات الشيعية التي أصابتها، ومع الأسف لم يُسلط عليها الضوء فيما بعد بسبب تغييب السنة من قبل أعدائهم عن هويتهم الجامعة المانعة.

ونود أن نذكر قبل أن نختم بأن أبا المعالي الآلوسي كانت له مجالس في مساجد بغداد للوعظ والإرشاد وصد خرافات الرافضة ومآربهم، خصوصًا جامع الإمام الأعظم الواقع في الأعظمية، حيث استمر إمامًا وخطيبًا في جامع أبو حنيفة لمدة أربعين عامًا مُنافحًا بكل ما أوتي عن القضية السنية وهويتها.
وهنا نجد أن محسن المعلم يشن هجومًا لاذعًا في كتابه "النصب والنواصب" على محمود شكري الآلوسي ويتهمه وأباه وجده بل وأسرة "الآلوسي" جميعها بالنصب، ثم يُعقب بنقده لأحد كتبه وهو "مختصر التحفة الاثني عشرية" إذ يقول وقد تصفحته فإذا

---

[139] وُلد في بغداد عام 1217 هـ، وتُوفي فيها عام 1270 هـ.

به يُحاكي كلم النواصب ويعيد النغمة والمعزوفة، ومما جاء فيه: مع أن فعل عمر هذا "قصده إحراق بيت فاطمة وضربها على جنبها.. إلخ" لو فرض وقوعه فهو أقل مما فعله الأمير "كرم الله تعالى وجهه" مع أم المؤمنين عائشة الصديقة، مع أنه لم يلحقه لعن من ذلك عند الفريقين بناء على حفظ الانتظام في أمور الدنيا والدين.

محمود الملاح

هو لغوي وأديب وشاعر وإعلامي وعالم دين[140]، نال الإجازة العلمية في الشريعة من الشيخ عبد الله النعمة، أصدر مجلة التجديد في بغداد عام 1928م، كان له حضور ونشاط مكثف ومستمر تمثَّل في: مقالات نُشرت في بعض الصحف آنذاك مثل صحيفة (السجل) وصحيفة (الفتح) بالإضافة إلى رسائل وكتب يدافع بها عن الهوية السنية ويشير إلى قضيتهم فضلًا عن تصديه اللافت في الأزمنة الترضوية لدسائس الشيعية وتغلغلهم المستمر، ومن أبرز رسائله وكتبه وقد بلغت أكثر من تسعة عشر مؤلفًا أبرزها:

ـ المهدي والمهدوية
ـ المجوسية المبرقعة
ـ الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره
ـ تحذير المسلمين من المتلاعبين بالدين
ـ تعليقات على كتاب إثبات الوصية لابن المطهر
ـ حجة الخالصي، حلقة في مناقشته في آرائه، يرد فيها على محمد مهدي الخالصي الذي تعرض في إحدى خطبة لسيدنا معاوية بن أبي سفيان، وأساء فيه الكلام، في الوقت الذي كان يكتب مقالاته في (الوحدة الإسلامية) و(الجمعة الجامعة). وتصدى للخالصي أيضًا جلال الحنفي الذي صار يكتب مقالات متسلسلة بعنوان (أشواك في طريق الوحدة) يرد فيها على الخالصي وقد جمعت المقالات – فيما بعد – بكتاب يقع في مئتي صفحة أو يزيد.

ـ تشريح شرح نهج البلاغة: وهذا الكتاب هو الذي أثار محسن المعلم وعده من النواصب وصب جام غضبه على الملاح بسببه حتى قال عنه: أنه كتاب مليء بالطعن على الإمام علي وشيعته وجحود فضله ومناقبه ونكران البديهيات من الأمور والمسلمات من القضايا. أهـ

[140] عاش في الفترة (1891–1969م)

وأما الملاح، فقد شرع يكتب مقالاته المتسلسلة، أيضًا بعنوان (الوحدة الإسلامية) يرد فيها عليه وينقض بها عقائد الشيعة، وجمعت المقالات في كتاب كذلك.
يقول الدكتور الشيخ طه الدليمي عن الأستاذ محمود الملاح "أنه كان في زمانه أمة وحده في التصدي لخطر التشيع من جهة، ولوباء الثقافة الترضوية التقريبية في الوسط السني من جهة أُخرى".
وكتبت عنه الأستاذة العنود الهلالي بأنه كان يتصدى للدعوات الهدامة التي تدعي أن غرضها الوحدة الإسلامية؛ لتخدع به المجتمع السني، ولقد أدرك مدى أهمية المناعة الثقافية في حماية المجتمعات السنية، ومن آرائه الصريحة في نقد المنهج الترضوي السائد آنذاك تشنيعه على من يضخمون منزلة علي رضي الله عنه بـ ألقاب ومسميات لا معنى لها سوى التزيد لفضله وهو في غنى عن هذا التزيد. ويستنكر أيضا تخصيص علي رضي الله عنه بتعبير "كرم الله وجهه" دون سائر الصحابة ...!؟ (مع أن الله وصف الصحابة بقوله "رضي الله عنهم ورضوا عنه" لم يزد ذلك، فالغلو يبدأ من المتسننين ...!) وقد نبه على "أن كتب أهل "السنة "طفحت بأنماط من بذور التشيع التي سقيت بماء الصناعة، فبسقت أغصانها، وتغلغلت جذورها وغلظت جذوعها وتكاثفت أوراقها حتى حجبت نور الشمس".
انتهت حياة هذا الرجل المجاهد بقلمه وقامته ومازال الباحثون والمهتمون يبحثون عن إرثه الذي غيب أو استبدل من دائرة الدس والتزوير الشعوبية، وقد أوقف عند وفاته مكتبته الخاصة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل حتى ينتفع الناس منها.

ولي الله الدهلوي

هو من العلماء البارزين في بلاد الهند، بالإضافة إلى أنه كان شاعرًا ومفسرًا ومحققًا وباحثًا أشهر من نار على علم في ديارها وديار المسلمين، وكيف لا وهو سليل أسرة آل الدهلوي التي هي من الاسر البارزة في العلم والتقوى هناك، أبوه هو شاه ولي الله الدهلوي العالم المجدد وأمام المحدثين يعرف مسند الهند.

ولعبد العزيز الدهلوي الذي يلقب بسراج الهند العديد من المؤلفات التي سنذكرها لاحقًا، وأبرزها هو كتابه القيم في الرد على الشيعة الذي أسماه "التحفة الاثنا عشرية" وهو بالفارسية نقله إلى العربية: (سنة 1227 هـ) الشيخ الحافظ غلام بن عمر الأسلمي ثم اختصره وهذبه سنة (1301 هـ) علامة العراق محمود شكري الألوسي الذي يقول عنه "وجدته كتابًا انكشف شبه المناظرين بأنوار دلائله، واندفعت شكوك المعاندين بمسلم براهينه وجلي مسائله، قد انسد فيه دون الناقد البصير كل باب، وانهد به ركن الباطل والارتياب، فلا يستطيع الخصم أن يفوه ببنت شفة، حيث ألجم بلجام الإلزام، ولا يطيق العنود أن يفتح فمه لما حاك عليه من لثام العجز والإفحام"

عكف بعد ذلك محب الدين الخطيب على هذا الكتاب لما له من أهمية فقام بتحقيقه والتعليق على حواشيه، وقد حاول كهنة الدين الشيعي صد أبابيل ما نزلت عليهم من سجيل هذا الكتاب، فكانت ردودهم أوهن من بيت العنكبوت وكانت حجة عليهم بدل أن تكون حجة لهم،

تفرد هذا العالم الجليل برغم مشاغل تدريسه ووعظه ومؤلفاته ودعوته بالتأكيد على الهوية السنية وتبيان منزلتها وأهمية قضيتها، وهذا ما نلاحظه في منشوراته وكتابه الذي أشرنا إليه وقد حمل لواءها من بعده السادة الأفاضل الذين أشرنا لهم في تغريدات سابقة.

ومن آثاره «بستان المحدثين» و«ميزان البلاغة» و«ميزان الكلام» و«السر الجليل في مسألة التفضيل» و«فتح العزيز». ذكره بدر العواد في فوج الذين تم اتهامهم بالنصب حسب ما ذهب إليه الغماري بقوله بأن "فيه بدعة الانحراف عن علي".

محب الدين الخطيب

أديب وكاتب وصحفي ومحقق وناشر وداعية سوري[141]، ، من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، صاحب المكتبة السلفية وجريدة القبلة، أبوه الشيخ أبو الفتح الخطيب من رجالات دمشق، كان أمين دار الكتب الظاهرية، تولّى التدريس والوعظ في الجامع الأموي، ولهُ عدّة مصنفات منها: «مختصر تاريخ ابن عساكر».

استطاع أحد علماء الشيعة وهو الشيخ «محمد القمي» في عام 1368هـ / 1947م بعد قدومهِ إلى مصر إنشاء دار التقريب وأصدر مجلة اسمها «رسالة الإسلام» واستأجر شقة في حي الزمالك، حيث كان الغرض منها التواصل بين المذاهب الإسلامية المختلفة، والتعارف فيما بينهم.

كان الشيخ محب الدين الخطيب من المعارضين بشدة لهذه الفكرة حيث قال: «انفض المسلمون جميعًا من حول دار التخريب التي كانت تسمى دار التقريب ومضى عليها زمن طويل والرياح تصفر في غرفها الخالية تنعي من استأجرها»، ثم يذكر أنه لم يبق متعلقًا بعضويتها إلا بعض المنتفعين ماديًا في ولاء انتمائهم إلى هذه الدار، وأن العلماء المخلصين من أهل السنة انكشف لهم المستور من حقيقة دين الرافضة، ودعوة التقريب التي يريدها الرافضة، فانفضوا عن الدار وعن الألاعيب التي يراد إشراكهم في تمثيلها، ثم يقول: فلم يبق موضع عجب إلا استمرار النشر الخادع في تلك المجلة [142] ولعل القائمين يضعون لها حدًا.

[141] عاش في الفترة (1886– 1969م)

142 وهذه المجلة رسالة الإسلام توقفت عن الصدور في 17 رمضان 1392 هـ وكان آخر عدد هو العدد (60).

ترك الشيخ محب الدين مؤلفات إسلامية عدة تدل على عبقريته وموسوعيّته ومنها:

ـ توضيح الجامع الصحيح للإمام البخاري
ـ مع الرعيل الأول، عرض وتحليل لحياة الرسول مع أصحابه.
ـ ذو النورين عثمان بن عفان.
ـ الغارة على العالم الإسلامي

كما تولى إدارة مجلتي الفتح والأزهر، وقام بنشر كتاب (العواصم من القواصم) لأبي بكر بن العربي.

بالإضافة إلى مؤلفاته، ترك الشيخ محب الدين الخطيب تعليقات قيمة على كتب عديدة، منها:
ـ تعليقاته على كتاب العواصم من القواصم لابن العربي.
ـ تعليقاته على كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي.
ـ تعليقاته على مختصر التحفة الاثني عشرية للألوسي.

وقد طبع كتاب "الأدب المفرد للبخاري" مع تخريج أحاديثه، وكذلك طبع "فتح الباري بشرح البخاري" لابن حجر، مع الإشارة إلى الأبواب التي تفرقت فيها الأحاديث بالتعاون مع محمد فؤاد عبد الباقي. وهو لم ينشر كتابًا إلا وكتب له مقدمة علمية عن المؤلف وعن الكتاب. يضاف إلى ذلك مئات من المقالات التي كتبها، حيث كان يجيد اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية،

روَّج لكتاب "مختصر التحفة الاثني" عشرية للآلوسي، وكان صاحب تقديم وتحقيق وتعليق كتاب "الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية"، يقول محسن المعلم عنه (فإنك تستنتج من استقرائك نفسية هذا المخلوق وروحه وقلبه وقلمه وهو بذلك يصدق مقولة من قال: أنه من أسرة ناصبة ...!؟)

محمد كرد علي

محمد كرد علي[143] الأديب والمؤرخ السوري، كان من رواد النهضة الفكرية والأدبية في العالم العربي، وأحد مشاهير المؤلفين المعاصرين، ومن الرؤساء المؤسسين للمجمع العلمي العربي بدمشق،
أصبح أول وزير للمعارف والتربية في سوريا، كما كان من الأفذاذ الذين تصدوا للتشيع في حينه، وقد ألف أكثر من اثني عشر كتابًا، وحقق العديد من عيون كتب التراث العربي ومن ضمن ما يذكره أن: الشيعة يقولون إن المعاصي حلال للطالبيين حرام على غيرهم.[144]
جاء في كتاب النصب والنواصب أنه "حتى كبار مؤلفي هذا العصر المعروفين بالجفاء للشيعة أمثال محمد كرد علي ينادون ببراءة جميع المسلمين"[145]
هذا الاقتباس يشير إلى اتهام مبطن بالنصب له، وتُثير هذه الملاحظة تساؤلات حول مدى دقة التصنيفات الموجهة إليه وإلى غيره.

ولولا خوف الإطالة غير المحمودة والإسهاب غير المقصود لأوردنا عشرات بل مئات من علماء وأعلام السنة الذين تم اتُّهموا بالنصب، وقد سلطنا الضوء هنا على أشهرهم ومن كان في مقدمة ركبهم، ليس هذا فحسب وانما اتهموا حتى ممن هو من أبناء جلدتهم منهم مثل "أحمد الكاتب"[146] وقد قالوا عنه أنه ناصبي، لأنه خرج عن الاعتقاد بمهديهم المنتظر بعد رحلة عناء بين أمهات كتب المصادر الشيعية، ليكتشف في النهاية أكذوبة هذه الخرافة.[147]

وهنا نتساءل: إذا كان أحمد الكاتب من النواصب ففي أي خانة أم تحت أي عنوان يضعنا هؤلاء النواهب...!؟

ثم نلاحظ هنا أن بدر العواد "المحسوب على السنة" اعتمد في كتابه على مقولات وتصانيف الشيعة بخصوص اتهامه وطعنه، على سبيل المثال، بمروان بن الحكم وبقية رجال بني أمية، وصولاً إلى البخاري وأبي حنيفة وغيرهم، ولم يرجعنا حتى إلى مقولات الذهبي وابن حجر وتصانيفهم، ولو كتب كتابه أحد مؤلفي الشيعة ونشره، لما

---

[143] وُلد بدمشق في 27 ربيع الأول 1293 هـ وتُوفي فيها في 28 ذو القعدة 1378 هـ، ودفن بجوار قبر معاوية بن أبي سفيان ﷺ
144 أنظر مجلة (المجمع العلمي العربي بدمشق) المجلد 22 منها
145 لا سنة ولا شيعة /74
[146] أحمد الكاتب، وُلد في كربلاء بالعراق عام 1953، هو مفكر وباحث معاصر، اشتهر بدراساته النقدية حول الفكر الشيعي الامامي، وخصوصاً فيما يتعلق بنظرية الإمامة والمهدوية. له العديد من المؤلفات التي تسعى إلى إعادة قراءة التاريخ الإسلامي والفقه الشيعي، داعيًا إلى التجديد والاجتهاد في الفكر الديني. تسببت أفكاره في جدل واسع في الأوساط الدينية والفكرية.
147 أنظر كتاب (الشهاب الثاقب المحتج بكتاب الله على الناصب) لمؤلف معاصر من الحلة اسمه عالم سبيط النيلي وألفه باسم مستعار هو الشيخ أبوعلي السوداني.

كان له ما كان من وقع على أهل السنة مثلما وقع منه، وهذه هي الغاية التي يبتهج بها الشيعة ومن على شاكلتهم وبه وبأمثاله يكتمل مشروعهم.

المدن التي اتهموها بالنصب

لم يسلم المسلمون من أهل "السنة" من تهمة النصب التي شملت طوائفهم ومذاهبهم، بل تجاوزت ذلك إلى قادتهم ووصلت إلى رعيتهم، وحتى مدنهم لم تسلم من هذا الاتهام ومنها:

بغداد

التي كانت – ولازالت - في مقدمة المدن التي تُتهم بالنصب منذ أن تم تأسست على يد "أبو جعفر المنصور"، الذي يتهمه الشيعة بشتى التهم، وبسبب هذا الاتهام لها ولأهلها تعرضت على فترات متفاوتة من تاريخها للتخريب والتدمير، ونورد هنا بعض ما أرخه بعض مؤرخي الشيعة ومنهم "ابن شدقم" في كتابه «تحفة الأزهار وزلال الأنهار» حيث ذكر أنه: عند فتح بغداد وفعل بأهلها النواصب ذوي العناد ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور بأشد أنواع العذاب حتى نبش موتاهم من القبور.أهـ
وقد فرّ كثير من سنة بغداد من المدينة للنجاة، وممن هرب الأسرة الجيلانية (آل الجيلاني) بعد أن خرّب الشاه إسماعيل قبر عبد القادر ومدرسته، فرّ هؤلاء إلى الشام ومصر وأخبروا العالم الإسلامي بما فعل الصفويون الشيعة ببغداد وأهلها، وبعد تحرير بغداد من أيدي الصفوية جاء السلطان العثماني سليمان القانوني فأعاد إعمار مسجد ومدرسة الشيخ عبد القادر وذلك سنة 941هـ.

البصرة

يذكر محسن المعلم في كتابه "النصب والنواصب" ما يدل على ميل أهل البصرة إلى النصب، حيث يورد قول الأصمعي:" إن البصرة كلها عثمانية، ... وإما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل إذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير ﷺ فقاتلهم علي بن أبي طالب".[148]

دمشق

وصفها صاحب ميزان الاعتدال بأن النصب كان مذهبها حيث قال عنها: (كان النصب مذهبًا لأهل دمشق)، وجاء في كتاب الكامل وتاريخ مدينة دمشق وتهذيب التهذيب عندما كانوا يضعفون بعض رواة الحديث كانوا يصفونه بأنه (كان شديد الميل إلى مذهب أهل

---

148 انظر النصب والنواصب محسن المعلم

دمشق في الميل على علي) حتى إنهم نسبوا إليها جماعة من مشاهير النواصب كخالد القسري [149]

ويزعم بدر العواد في كتابه قائلًا: "ولعل من أكبر الدلائل على مدى انتشار النصب وتغلغله في أوساط المجتمع الدمشقي هو استشهاد النسائي على أيدي نواصبها، مستشهدًا بذلك بوفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء والوافي بالوفيات ومرآة الجنان".

كما يزعم أيضًا أنه ممن أشار إلى وجود النواصب في الشام أبو بكر الخلال وابن تيمية[150] والذهبي وابن كثير وابن حجر العسقلاني ...!؟

حمص

يعبر محسن المعلم عن نقده الشديد لحمص في كتابه، حيث يقول: ومن عجيب ما تأملته من أمر حمص فساد هوائها وتربتها اللذين يفسدان العقل حتى يُضرب بحماقتهم المثل، وأنهم كانوا أشد الناس على علي بصفين إذ أنهم كانوا في جانب جيش معاوية[151]

الشام

قال محسن المعلم: "وهي وإن كانت تطلق على ما يشمل أمهات مدن كبيرة: كحمص ودمشق وحلب وغيرها إلا أنها قد وردت منعوتة بالأموية والعداء لآل محمد فأدرجناها في القائمة وسيأتي ما يناسبها من حديث عن أهلها، فقد قال الأصمعي عنها: والشام كلها أموية، والشام أموية لأنها مركز ملك بني أمية وبيضتهم[152]
ويقول بدر العواد في كتابه النصب والنواصب: والشام هي منبع النصب في الأصل وموطن النواصب.

149 خالد بن عبد الله بن يزيد البجلي القسري، أبو الهيثم الدمشقي، أمير العراق، تولى إمرة مكة في عهد الوليد وسليمان ابني عبد الملك، ثم إمرة هشام على العراق، كان خطيبًا مفوهًا معدودًا من نبلاء الرجال، كما اشتهر بجوده، مات تحت وطأة التعذيب سنة 126 هـ، وحديثه مخرج عند البخاري وأبي داوود.

150 لقد أخطأ بدر العواد في هذا الموضع، إذ سبق أن مر بنا في موضوع "ياقوت الحموي" من هذا الكتاب، أن ابن تيمية يذكر: "بأن من يقول عن أهل دمشق إنهم نواصب فهو كاذب."

151 انظر النصب والنواصب محسن المعلم

152 أنظر النصب والنواصب محسن المعلم

الأندلس

يذكر محسن المعلم عن الأندلس أنها: كانت أموية المذهب، وذات نزعة تعصبية قوية، ولذلك لم يجد المذهب الشيعي تربة ملائمة له هناك، باستثناء أفراد قليلين وُصفوا بالتشيع، وكانت سياسة الأمويين تجاه الشيعة تقوم على محاولة تجاهل آل البيت، كما تدلنا على ذلك حكاية الرؤيا التي رآها الأمير محمد أثناء اهتمامه بتعيين قاضٍ، فقد تراءى له في منامه أربعة رجال يتجهون لعيادة الفقيه إبراهيم بن باز، ولم يكن الأربعة سوى الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين الثلاثة دون الإمام علي رضي الله عنهم جميعًا.[153] وقد رُوي عن كثير من أمويي الاندلس وخطبائها أنهم لم يكونوا يثبتون خلافة علي بن أبي طالب وإنما يربعون بمعاوية[154] وهناك أرجوزة ابن عبد ربه[155] يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم.[156]

أصفهان

كان أهل أصفهان في القديم منحرفين عن أهل البيت والتشيع، ولما ألف إبراهيم بن هلال الثقفي الكوفي ثم الأصفهاني صاحب كتاب (الغارات) كتاب (المعرفة في المناقب والمثالب) استعظم الكوفيون ذلك وأشاروا عليه بتركه وألا يخرجه من بلده فقال أي البلاد أبعد عن الشيعة: فقالوا: أصفهان.[157]

الـري

عن الأعمش عن جعفر بن محمد قال: ستة عشر صنفا من أمة جدي لا يحبونا ولا يحببوننا إلى الناس ... وأهل مدينة تدعى(الري)[158] هم أعداء الله وأعداء رسوله، وأعداء أهل بيته يرون حرب أهل بيت رسول الله جهادًا ومالهم مغنمٌ، ولهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والآخرة ولهم عذاب مقيم، ومن مروياتهم عن جعفر الصادق أنه قال: "الري وقزوين وساوة ملعونات مشؤومات".

وقال إسحاق بن سليمان: ما رأيت بلدا أرفع للخسيس من الري. وفي أخبارهم: الري ملعونة وتربتها تربة ملعونة ديلمية وهي على بحر عجاج تأبى أن تقبل الحق.

---

153 أنظر النصب والنواصب محسن المعلم

154 منهاج السنة النبوية

155 أبو عمر القرطبي، أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الأموي أحد كبار أدباء الاندلس وإخبارييها، توفي 328هـ.

156 النصب والنواصب بدر العواد

157 أنظر النصب والنواصب محسن المعلم ، وهنا أقول سبحان الله كانت أصفهان أبعد بلاد الله عن الشيعة والتشيع واذا الإهمال من دول السنة وقادتهم وعدم متابعتهم على مر العصور وتوالي الدهور تنقلب بغفلة ذلك الى أهم مدينة من مدن التشيعة وهذا درس على أن التشيع أذا لم يكافح فأنه كالسرطان بعد مدة نجده متفشي بأبعد الأمكنة.

158 هي مدينة تاريخية أضحت اليوم جزء من الجنوب الشرقي للعاصمة الإيرانية طهران.

وكان أحمد بن هارون قد عصى على أحمد بن إسماعيل الساماني بعد أن كان من أعيان قواده، وهو الذي قتل محمد بن زيد الداعي، فتبعه أحمد بن إسماعيل فرجع فنزل بظاهر الري ولم يدخلها فخرج إليه أهلها وسألوه أن يتولى عليهم، ويكاتب الخليفة في ذلك ويخطب ولاية الري، فامتنع وقال: لا أريدها لأنها مشؤومة، قتل بسببها الحسين بن علي وتربتها ديلمية تأبى الحق وطالعها العقرب.[159]

الكوفة

ومن العجب أن الكوفة تعتبر مركزًا أو عاصمة العالم بالتشيع ومع ذلك لم تنجُ من اتهامها بالنصب فقد قال المعلم عنها: هي علوية وتعتبر مركز التشيع، وموطن الخلص من المؤمنين إلا أنها لم تعدم كثيراً ممن يعادي الإمام أمير المؤمنين (ولو في بعض فتراتها) فقد قال أبو جعفر الإسكافي:" كان أهل البصرة كلهم يبغضونه، وكثير من أهل الكوفة "، " وقد كان الناس كرهوا عليا ... وجل أهل الكوفة وقراؤهم ".[160]

مكة والمدينة المنورة

ذكر المعلم أنه روى أبو عمر النهدي، قال: سمعت علي بن الحسين يقول: ما بمكة والمدينة عشرون رجلا يحبنا، وأورد أنه قال الإسكافي عنهما كما قال عن الكوفة: وكثير من أهل المدينة وأما أهل مكة فكلهم كانوا يبغضونه قاطبة.
ومما قاله محمد بن علي بن العباس: وأما مكة والمدينة فغلب عليهما أبو بكر وعمر قال صاحب النواقض: ولا يخفى على الواقف بالسير أن الرفض لم يذل في مكان أكثر من ذله في مكة والمدينة، وإنما كان يقتل ويحرق فيهما من فيه شائبة الرفض بغير تيقنه، وهل يقول من لا يكون في غاية الحمق: كان الحق في غاية الذل والهوان والكمون في الأعصار الشريفة والأمكنة المشرفة بين أكابر المسلمين، ثم قوي وظهر في الأزمنة والأمكنة بين النفوس العاصية.[161]

ولو تتبعنا كل الدول والمدن التي جعلوها ناصبة على سبيل المثال مثل: الموصل والرقة وواسط وغيرها، لطال بنا المقام، ولرمانا البعض بالاستطالة بين الأنام، ولكننا هنا ذكرنا أشهرها عندهم وأعجبها عندنا حتى تُعلموا حقيقة هؤلاء الذين يبغضون تلك المواطن العربية الإسلامية، ومدنها التي نشرت وكانت حصن الدين الحنيف.

159 أنظر النصب والنواصب محسن المعلم
160 أنظر النصب والنواصب محسن المعلم
161 أنظر النصب والنواصب محسن المعلم

القبائل والملل والأسر التي اتُهمت بالنصب

قريش

نعود لمحسن المعلم حيث ذكر في كتابه أنه طالما عبر الإمام عليه السلام - أي علي - ضيقه بهم واستيائه منهم - أي قريش- وبث كثيرا من شجونه في كلمه، فمن ذلك أنه قال: " ما لي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين وإني لصاحبهم بالأمس، كما أنا صاحبهم اليوم، والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا.[162]

بنو أمية

لم يفت المعلم وهو الشيعي المحترق أن يطعن في بني أمية جميعهم، وقد ذكر أنه عايشهم علي دهرًا وذاق الأمرين في جاهليتهم الممتدة إلى الإسلام فلا غرو لو جاشت نفسه بآهاته وحسراته. وأورد له كتابًا مُخْتَرَعًا ادعوا أنه كتبه إلى معاوية جاء فيه:
" ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصبت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمي عنها، وايم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوءٍ بعدي كالناب الضروس، تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعا هم وغير ضائر بهم ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنتهم شرهاء مخشية، وقطعا جاهلية ليس فيهم منار هدى ولا علم يرى.[163]

بنو العباس

وأبرزهم هارون الرشيد، فقد جعله محسن المعلم[164] في قائمة النواصب وقد قال عنهم: امتدت بهم فترة الحكم مع الأئمة β ومع شيعتهم طويلًا، ومكنوا من البلاد ورقاب العباد، وجروا في ظلمهم لبني عمهم الأئمة من "آل محمد" على سنن "آل أمية" بل تمادوا وزادوا حتى قيل فيهم:

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

---

162 أنظر النصب والنواصب محسن المعلم
163 أنظر النصب والنواصب محسن المعلم
164 أنظر النصب والنواصب ـ محسن المعلم

وادعى أنهم تتبعوا الذراري العلوية فقتلوهم تحت كل حجر ومدر، وخربوا ديارهم وهدموا آثارهم.[165]

بنو برمك

العجب كل العجب أن يتهمهم المعلم بالنصب مع أنهم كانوا قلبًا وقالبًا مع الشعوبية، وكان يحرك طموحهم العودة للمجد الساساني، وسبب اتهامهم كما صورهم لنا، هو قوله عنهم" فإن البرامكة كانوا يتقربون إلى الرشيد بالسعي على العلويين، وكانوا من المسببين لسجن الإمام الكاظم وقتله ...!؟
وقد أدعى أنه روى الصدوق عن صفوان بن معن: أن يحيى البرمكي لم يكتفوا بإغرائه للرشيد في قتل الإمام الكاظم فأغراه بقتل الإمام الرضا فقال له هارون: أما يغنينا ما صنعناه بأبيه ...؟ أتريد أن نقتلهم جميعا ...!؟
وقال السيد نعمة الله الجزائري: إن السبب الحقيقي في هلاك البرامكة هو دعاء أبي الحسن الرضا (عليهم في موقف عرفة لأنهم سعوا بأبيه الكاظم) ...!
ثم ذكر أنه أورد العلامة القمي عدة روايات في ذمهم، وعاقبة أمرهم وأشار إلى مصادرها من "بحار الأنوار".[166]

الأيوبيون

ادعى المعلم أن الخفاجي ذكر: أنه " قد غالى الأيوبيون في القضاء على كل أثر للشيعة " ، كما عزل صلاح الدين الأيوبي القضاة الشيعة، وأبطل من الأذان "حي على خير العمل" وتظاهر الناس بمذهب مالك والشافعي، واختفى مذهب التشيع إلى أن نسي من مصر، وكان يحمل الناس على التسنن وعقيدة الأشعري، ومن خالف ضربت عنقه، وأمر ألا تقبل شهادة أحد ولا يقدم للخطابة ولا للتدريس إلا إذا كان مقلدا لأحد المذاهب الأربعة، وحبس بقايا العلويين في مصر وفرق بين الرجال والنساء حتى لا يتناسلوا.[167]

---

165 أنظر النصب والنواصب ـ محسن المعلم
166 أنظر النصب والنواصب ـ محسن المعلم
167 أنظر النصب والنواصب ـ محسن المعلم

بقية الأسر التي اتهموها بالنصب

يذكر الشيخ العلايلي: إن في الشام وفي القدس وبيروت وبغداد لا تزال أسر تنتمي إلى الأمويين وتتعصب لهم ضد أهل بيت الرسول، فآل الخطيب في الشام وعلى رأسهم محب الدين[168] وآل النصولي في بيروت ويتقدمهم أنيس النصولي[169] وفي القدس آل النشاشيي ويتقدمهم إسعاف النشاشيي، ثم في بغداد آل الأثري ومنهم محمد بهجت الأثري. ومن قرأ مؤلفات هؤلاء وما حبروه في الصحف يعرف عراقة نسبهم الشريف إلى معاوية وابنه يزيد، وهؤلاء هم الذين كانوا يحقنون محمد كرد علي من رأسه إلى عجزه بالتهجم على أهل البيت وفي رأسهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.[170]

168 محب الدين الخطيب: (1886– 30 ديسمبر 1969م)، وردت ترجمته آنفًا في كتابنا.

169 أنيس زكريا النصولي: (1902 – 1957م) وهو مفكر ومؤرخ من رجال التربية والتعليم في لبنان. تخرج بالجامعة الأمريكية ببيروت ودرس في بغداد، وعاد إلى بيروت فعمل قليلا في الصحافة، أشهر كتاب له هو كتاب الدولة الأموية في الشام، أثار هذا الكتَابُ الكثيرَ من الجدل؛ وخاصّةً في المجتمع العراقي حين صدر لأول مرة عام 1927م،إذ قام بإهداء كتابه لبني أمية، وبالرغم منَ المثالب في حق بعض رجالات ودولة بني أمية التي في هذا الكتاب بعد اطلاعنا عليه إلا أن المؤلف معذور لمحدودية الاطلاع في ذلك الوقت بخلاف عصرنا الحالي، ومع ذلك فإن هذا الكتاب أجلى بعض الظلمات والاكاذيب التي احاطت ببني امية، وحاول يكسر طوق التضليل الذي دسه الشيعة عن بني أمية، من خلال انصافه في بعض مواضعه عنهم، هنا قامت قائمة الشيعة بقيادة وزير المعارف آنداك عبد المهدي المنتفكي (والد عادل رئيس الوزراء العراقي السابق) وشن حملة عشواء مع الغوغاء على أنيس النصولي الذي كان منتدبًا للتدريس في بغداد وناصر النصولي زملائه من المدرسين المنتدبين من الشام للتدريس معه في العراق وتم فصلهم مع النصولي من التدريس وتصدى لهذا الظلم والاجحاف الطائفي الأستاذ ساطع الحصري الذي كان يشغل مديرًا للمعارف وبعد مد وجزر أعيد مع زملائه بعد ذلك بتوجيه خاص من الملك فيصل الأول لمزاولة مهنتهم في التدريس.

من أبرز مؤلفاته:

- الدولة الأموية في الشام
- الدولة الأموية في قرطبة
- معاوية بن أبي سفيان
- أسباب النهضة في القرن التاسع عشر
- الإمام الأوزاعي. وغيرها

170 أنظر دين وتمدين 187/5، وكذلك أنظر النصب والنواصب محسن المعلم.

من هو الناصبي في فتاوى مراجع الشيعة

قد يوحِي لك بعض الشيعة، وحتى بعض من يُحسبون على السنة، بأن عموم الشيعة لا يُكفِّرون أهل السنة ولا يعتبرونهم نَجِسين[171] وأنهم يُحبّونهم ويُصاهرونهم، بل يَرَوْن الجميع مسلمين لا فرق بينهم، هذا الكلام ظاهره جميل، لكن لكل قوم أسس يَرجعون إليها ومراجع يَستقون منها عقائدهم، وهي الأصل في توجهاتهم وما يؤمنون به، ولنستعرض هنا بعض الفتاوى والآراء التي أوردها مراجع الشيعة بهذا الشأن،

يرى أن المحقق الحلي[172] أن الناصبي هو من يسب أو يعادي الأئمة الاثني عشر أو بعضهم، ويعتبره في حكم الكافر، حتى وإن صام وصلى.

وقال الشيخ محمد أمين زين الدين البحراني: الخارجي والناصبي نجسان، وكذلك الغالي إذا رجع غلوه إلى الشرك بالله أو إلى إنكار ذاته تعالى، أو رجع إلى إنكار أحد ضروريات الإسلام مع الالتفات إلى كونه ضروريًا، ولا يحكم بنجاسة المجسمة، ولا المجبرة، ولا القائلين بوحدة الوجود، إذا هم التزموا بأحكام الإسلام، ولا بنجاسة سائر فرق المسلمين، ولا سائر فرق الشيعة إلا إذا ثبت نصبهم وعداؤهم لبعض أئمة أهل البيت.[173]

ويفتي الخميني بقوله: يشترط في الذابح أن يكون مسلما أو بحكمه كالمتولد منه، فلا تحل ذبيحة الكافر، مشركا كان أم غيره حتى الكتابي على الأقوى، ولا يشترط فيه الإيمان، فتحل ذبيحة جميع فرق الإسلام عدا الناصب وإن أظهر الإسلام.[174]

ويُصنِّف الخميني على النواصب بأنهم أنجاس من غير توقف، ولا تجوز حتى صلاة الميت عليهم.

أما السيستاني[175]: يشترط في تذكية الذبيحة أمور: الأول: أن يكون الذابح مسلما - رجلا كان أو امرأة أو صبيا مميزا - فلا تحل ذبيحة الكافر حتى الكتابي وإن سمى على الأحوط، وكذا الناصب المعلن بعداوة أهل البيت.[176]

وكفر الخوئي الناصب إذ قال عنه: والأظهر أن الناصب في حكم الكافر، وإن كان مظهرًا للشهادتين والاعتقاد بالمعاد"[177]

---

171 مع العلم أن كل سني يُعتبر ناصبيًا وفق تعريفات وتوضيحات المراجع الشيعية المعتمدة للنصب.

172 أنظر شرائع الإسلام ج 3 ص 639

173 انظر كلمة التقوى ج 1 ص 38، المسألة 117

174 انظر تحرير الوسيلة

175 علي السيستاني هو أحد أبرز مراجع التقليد الشيعة المعاصرين، ولد في مدينة مشهد الإيرانية عام 1349 هـ. يُعرف بمرجعيته الدينية الواسعة وتأثيره الكبير في الأوساط الشيعية، خاصة في العراق، وله عدة مؤلفات ابرزها "منهاج الصالحين" و "المسائل المنتخبة" و"شرح العروة الوثقى" وغيرها.

176 في المسائل المنتخبة ص 455: مسألة 1173

177 انظر المسائل المنتخبة ص 56

يشير الصدر[178] إلى الأصناف التي استثناها من نجاسة الكافر من أهل الكتاب والغلاة، ثم يتناول النواصب فقال عنهم: " وكذلك النواصب الذين ينصبون العداء لأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فإن هؤلاء الغلاة والنواصب كفار ولكنهم طاهرون شرعًا ما داموا ينسبون أنفسهم إلى الإسلام "[179]

وقد استدل كل من الخميني والسيد الصدر بما رواه ابن أبي يعفور في الموثق عن أبي عبد الله في حديث قال: وإياك أن تغتسل من غسالة الحمام، ففيها غسالة اليهودي، والنصراني، والمجوسي، والناصب لنا "أهل البيت" فهو شرهم فإن الله - تبارك وتعالى - لم يخلق خلقا أنجس من الكلب، وإن الناصب لنا أهل البيت لأنجس منه.[180]

وروى الكليني في الحسن عن الوشاء عمن ذكره عن الصادق "أنه كره سؤر ولد الزنا واليهودي والنصراني والمشرك وكل من خالف الإسلام. وكان أشد ذلك عنده سؤر الناصب"

وجاء في كتبهم عن الصادق أنه قال: الناصبي شر من اليهودي. فقيل له وكيف ذلك يا ابن رسول الله ...؟ قال إن الناصبي يمنع لطف الإمامة وهو عام، واليهودي لطف النبوة وهو خاص "

وقد ورد في الكافي بسنده عن الصادق أنه قال: " لا تغتسل من البئر التي تجتمع فيها غسالة الحمام؛ فان فيها غسالة ولد الزنا وهو لا يطهر إلى سبعة آباء، وفيها غسالة الناصب وهو شرهما، إن الله لم يخلق خلقا شرا من الكلب وإن الناصب أهون على الله تعالى من الكلب" وما رواه فيه أيضا عن خالد القلانسي قال: " قلت لأبى عبد الله ألقى الذمي فيصافحني ...؟

قال: امسحها بالتراب أو بالحائط، قلت: فالناصب...؟ قال: اغسلها "

ويبين الجزائري[181]مفهوم الناصبي وأحواله من وجهة نظرهم، موضحاً معنى الناصب الذي ورد في أخبارهم أنه شر من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه كافر نجس بإجماع علماء الإمامية، فالذي ذهب إليه أكثر الأصحاب هو أن المراد به من نصب العداوة لآل بيت محمد، وتظاهر ببغضهم كما هو الموجود في الخوارج وبعض ما وراء النهر، ورتبّوا الأحكام في باب الطهارة والنجاسة والكفر والإيمان وجواز النكاح وعدمه على الناصبي بهذا المعنى.[182]

---

[178] هو محمد باقر الصدر ويُعتبر من مراجع الشيعة المهمين، له العديد من المؤلفات المؤثرة في الفقه والأصول والفلسفة والاقتصاد، ومن أشهرها "اقتصادنا" و"فلسفتنا" و"الأسس المنطقية للاستقراء". تم اعدامه في عهد نظام صدام حسين في عام 1980.

[179] انظر الفتاوي الواضحة

180 انظر الفتاوي الواضحة ص 227

[181] نعمة الله بن عبد الله الموسوي الجزائري (المشهور بالمحدث الجزائري) هو عالم دين وفقيه ومحدث ومفسر شيعي بارز من القرن الحادي عشر الهجري. ولد في قرية الصباغية، التابعة لقضاء الجزائر (حالياً قضاء الجبايش بمحافظة ذي قار جنوب العراق) عام 1050 هـ. يُعد من كبار علماء الأخبارية، وله إسهامات عديدة في الفقه والحديث والتفسير. توفي نعمة الله الجزائري ليلة 23 شوال عام 1112 هـ، ودفن في منطقة بل دخترك بمحافظة لرستان في غرب إيران

182 أنظر كتابه "الأنوار النعمانية" ج2 ص 206 –207.

ويذهب حسين آل عصفور بتحقيقه عن النواصب إلى القول:
" وأما تحقيق الناصب فقد كثر فيه القال والقيل واتسع فيه المجال والتعرض للأقوال وما يرد عليهما، وما يثبتها ليس هذا محله بعدما عرفت كفر مطلق المخالف فأدراك بالناصب الذي جاء فيه الآيات والروايات أنه المشرك والكافر. بل ما من آية من كتاب الله فيها ذكر المشرك إلا كان هو المراد منها والمعنى بها.[183]

وبهذا الصدد ينشد أبو الحسن جمال الدين الخليعي[184] :

لقبت بالرفض وهو أشرف لي   من ناصبي بالكفــــر مشتهـــر
نعم رفضت الطاغوت والجبت   واستخلصت ودي للأنجم الزهر[185]

أما العاملي، فقد ذهب إلى أن المتفق عليه عندنا أن الغلاة والنواصب كفار، أما غيرهم من الأمة فهم مسلمون، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وعلم باطنهم على الله وحسابهم عليه. أهـ

ويُلخص المعلم لخلاصة القول: " إن كلمة الشيعة الإمامية أجمعت على أن الناصبي حكمه حكم الكافر" وأن الشيعة الاثني عشرية يكفرون النواصب بالإجماع وإن كانوا يختلفون في تحقيق مناط النصب. [186]

---

183 أنظر " المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية " ص145 "وما بعدها.
184 هو أبو الحسن جمال الدين علي بن عبد العزيز بن أبي محمد بن نعمان بن بلال (الخلَعي)، الخفاجي النسب، الموصلي الحلي، والحائري لإقامته لمدة في كربلاء، توفي ودفن في الحلة. (582 ـ 650 هـ)
185 النصب والنواصب، محسن المعلم.
186 أنظر النصب والنواصب ـ محسن المعلم

الحكم الشرعي للناصبي عند مراجع الشيعة

جاء في جامع أحاديث الشيعة لمؤلفه حسين البرجردي، باب "علل الشرائع" عن داوود بن فرقد، قال قلت لأبي عبد الله ما تقول في قتل الناصب قال حلال الدم لكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء، لكيلا يشهد به عليك فأفعل قلت فما ترى في ماله قال توه ما قدرت عليه.

وذكر محسن المعلم أن "ما عليه الطائفة المحقة سلفًا وخلفًا من الحكم بكفر الناصب ونجاسته وجواز أخذ ماله بل قتله"[187]،
ومما ذكره أيضًا في كتابه "النصب والنواصب" في فروع مترتبة على الحكم بنجاسة الناصبي وكفره ومنها:

- سُؤْرُه
- عدم تغسيله
- عدم توليه تغسيل المسلم وإن انحصر فيه، بل يتعين مباشرة الكافر الكتابي، فإن لم يوجد سقط وجوب الغسل[188]
- طهارته بالإسلام ويتم فيه برجوعه عن معتقده الباطل في حق أئمة الحق- عليهم السلام.
- عدم دفنه في مقابر المسلمين

وكذلك " يجوز أخذ مال النصاب أينما وجد، لكن الأحوط إخراج خمسه مطلقا، وكذا الأحوط إخراج الخمس مما حواه العسكر من مال البغاة، إذا كانوا من النصاب ودخلوا في عنوانهم وإلا فيشكل حلية مالهم "[189]، لذلك كنا نرى في عصرنا أن الميليشيات الشيعية عندما تستبيح مدينة من مدن أهل الإسلام، فإنهم يقومون بسرقتها وذلك حلال عندهم نظرًا لأنهم يعتبرون أهلها نواصب، ويقيسون هذا الأمر على هذه الفتاوي وغيرها.

أما بخصوص التزويج فقد أفتوا بأنه "لا يجوز للناصب التزويج بالمؤمنة، لأن الناصبي عندهم شر من اليهودي والنصراني على ما روي في أخبار أهل البيت وكذا العكس سواء الدائم أو المتعة"[190]

---

187 أنظر النصب والنواصب

188 وهذا يعني في معتقد الشيعة أن الشيعي إذا مات ولم يوجد شيعي يغسله فيستعينون بالكتابي، فإن لم يوجد فلا يعطى للناصبي حتى يغسله بل يترك دون غسل، وذلك لشدة نجاسة الناصبي عندهم.

189 انظر العروة الوثقى، ج2، ص187

190 الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج5، ص234

ثم اتهم الشيعة وكبارهم الزيدية فجعلوهم مع النواصب سيان.[191] بل ذهب الكشي[192] إلى أن الزيدية هم النواصب، وورد النهي عن التصدق عليهم أو اسقائهم الماء.[193]

ختامًا في هذا الفصل، فإنني لم أجد شيء البتة أي حكم شرعي (عقوبة أو حد) أفتى به أي عالم أو حاكم سني يمكن تطبيقه على المتهم بالنصب، وإن دل هذا على شيء فهو يؤكد بما لا يقبل الشك أن هذه التهمة "عائمة" في مفهومها، و"تائهة" في أثرها. وقد فات من دسَّ في كتب السنة أن يروي ولو قصة وهمية، أو واقعة سرابية، أو حكمًا مكذوبًا على النصب وعقوبته عند فقهاء وأولياء أمر السنة! وهل تعلم أن فقهاء المذاهب السنية الأربعة – أبو حنيفة، والشافعي، ومالك، وابن حنبل – ومن معهم، وحتى المذاهب المندثرة مثل مذهب ابن حزم الظاهري، والأوزاعي، والزهري، وغيرهم، لم يثبت عنهم أي قول بخصوص النصب والنواصب، لا في اجتهاداتهم ولا في أحكامهم، بل لم يعرفوا هذا المصطلح أساسًا..!؟

إن أحكام النصب، سواء كانت تكفيرية أو تعزيرية، هي خاصة بعلماء وحكام الشيعة. وهذا يثبت بلا أدنى شك أنهم وضعوا تلك الأحكام لغرض واحد فقط إلا وهو جعل هذا المصطلح خط الدفاع الأول ضد من يريد سلب جاههم، ومنع خمسهم، ووقف متعتهم، وتعطيل مشروعهم، وإبطال سحرهم، وإزهاق دينهم، وغيرها من مزايا تنظيماتهم السرية والعلنية.
وهناك مسألة خطيرة، وهي أنه لطالما لا يوجد حكم على الناصبي بفتاوى واجتهادات علماء السنة، وأنهم أخذوا جل تعاريف هذا المصطلح ومقصده وهو إقرار ضمني منهم من الشيعة، فإنه من المسلم به أن يتركوا دون اعتراض بين حكم الناصبي لفقهاء ومراجع الدين الشيعي الذين قرروا قتله ونهب أمواله وهتك عرضه واستباحة ما يمكن استباحته منه في الدنيا، وأنه في حكمهم في الدرك الأسفل بالنار في الآخرة،

هل أدركتم الآن مغزى ومقصد ذلك المصطلح الخبيث الذي يطال أول الخلفاء وآخر العلماء من أهل السنة والجماعة وعمومهم ..؟

والأخطر في هذا الموضوع وكما أشرنا سابقاً، أن تهمة "النصب" كانت سبباً في التنكيل والتقتيل لأهل السنة، بدءًا بالعلماء وانتهاءً بمدنهم وعامتهم. بل إن من ليس له شأن بأمة الإسلام في هذا الأمر لم يسلم من ذلك الاتهام وتلك التهمة. فقد جاء في كتاب "النصب والنواصب" لبدر عواد ما نصه: "وقد حفظت كتب التاريخ أسماء عدد من العلماء الذين اتُهموا زورًا بـ (النصب) من قبل الشيعة".

---

191 انظر الكافي الجزء 8 صفحة160

[192] أبو عمرو، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، هو أحد أبرز علماء الشيعة الإمامية في علم الرجال والحديث، ولد حوالي عام 250 هـ في منطقة كش قرب سمرقند. يُعرف بشكل خاص بكتابه "معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين"، المعروف بـ "رجال الكشي". توفي عام 350 هـ.

193 انظر رجال الكشي صفحه303

ونورد فيما يلي أمثلة على ذلك:

ـ أبوبكر ابن أبي عاصم: فقد اتهم عند أمراء الديلم ـ وهم متشيعة ـ بأنه ناصبي فعزم على قتله لولا أن نجاه الله.

ـ أبو حنيفة الاسترابادي: سعى به بعضهم بأنه يبغض أهل البيت، فكان ذلك سبب موته وصلبه.

ـ أبو العباس النسوي: سعى به بعض البغداديين لدى الشيعة من أمراء بني حمدان وقال: إنه ناصبي يبغض علي بن أبي طالب، فأمر بإغراقه في الفرات، لكن الله لطف به.

ـ الخطيب البغدادي: سعى به أحد الروافض عند بعض أمرائهم بدعوى أنه ناصبي ...! فكان ذلك سبب إخراجه من دمشق.

ـ ابن الجوزي: اتُهم لدى بعض الوزراء الشيعة بأنه ناصبي، فأصابه أذى ونالته إهانة عظيمة.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن الاتهام بالنصب لم يكن مقتصرًا في الغالب على الشيعة ووشايتهم، بل تجاوز هذا الأمر بعض ضعاف النفوس من أهل السنة الذين استغلوه لمآربهم، وهناك من سعى في الماضي وما زال يسعى إلى عصرنا الحالي بالوشاية بأهل السنة عند الشيعة واتهام البعض منهم بـ "النصب" بسبب عداء شخصي، أو نزاع على تركة، أو إرث، أو غيرها من خصومات الدنيا؛ مما ينتهي بوشايته هذه إلى حكامهم أو ميليشياتهم أو دولهم القائمة.

ومما يذكر على سبيل الطرفة لا الحصر، وعلى تَفَشِّي هذا الأمر، أنه جاء في "بهجة المجالس وأنس المجالس" عن ابن عبد البر: رفع رجل من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنه يتزندق، فسأله الوالي عن القول الذي نسبه به إلى الزندقة، فقال: هو مرجئ قدري ناصبي رافضي، من الخوارج يبغض معاوية بن الخطاب الذي قتل علي بن العاص، فقال له ذلك الوالي: ما أدري على أي شيء أحسدك، على علمك بالمقالات أم على بصرك بالأنساب.

وقد حذر الداعية "محمد المكي" من أن هذا المصطلح: أي "النواصب" من أنه يشق الصف السني العام، ويعطي ذريعة للرافضة لذبح أهل السنة والسطو على أموالهم وأضاف محذراً، إن الذين يتداولون هذا المصطلح ويلقون به جزافًا أحملهم مسؤولية دماء أهل السنة.

وجود النواصب من عدمهم

يشير ابن تيمية إلى اندثار النصب بعمومه ويستدل مثلًا إلى أن: الشام في هذه الأعصار لم يبق فيه من يتظاهر ببغض علي. ثم يرد في موضع آخر على من زعم (أن أهل دمشق نواصب) إذ يقول: ما في أهل دمشق نواصب، وما علمت فيهم ناصبيًا، ولو تنقص أحد عليًا بدمشق لقام المسلمون عليه. لكن كان قديمًا لما كان ـ بنو أمية ولاة البلاد ـ بعض بني أمية ينصب العداوة لعلي ويسبه، وأما اليوم فما بقي من أولئك أحد. أهـ

وأيده في ذلك الذهبي إذ قال: كان النصب مذهبًا لأهل دمشق في وقت، كما كان الرفض مذهبًا لهم في وقت وهو في دولة بني عبيد، ثم عدم ـ ولله الحمد ـ النصب، وبقي الرفض خفيفًا خاملًا. أهـ

ثم عاد الذهبي وناقض قوله بقول: أما نواصب وقتنا فقليل ...**!؟** أهـ

وذهب إلى هذا الرأي ابن عساكر الدمشقي وابن العماد الحنبلي ومحمد خليل هراس وغيرهم من العلماء.

وجاء في كتاب "كشف الجاني" لعثمان محمد الخميس" قوله: " لا تجد سنيًا واحدًا يطعن في علي، أما النواصب والخوارج فليسوا من أهل السنة، ولا وجود للنواصب الآن فيما أعلم".

أما الذي ذهب إلى وجود النواصب في العصر الحديث فهو أحمد الغماري في معرض رده على أحد أدباء الشام حيث قال: على أن النشاشيبي لوكان مسلمًا فهو شامي، والشوام كلهم نواصب، لا قيمة للشرف ولا أهل البيت عندهم، وما قضى على أهل البيت ثم الإسلام إلا هم. أهـ

وممن قال أيضا بوجود النواصب في الوقت الحاضر محمد رشيد رضا، ومحمد العربي بن التباني، وعداب الحمش.

صدق النواصب وكذب الروافض

بالرغم من المآخذ التي قيلت وتُقال عن الذين اتُّهموا بـ "النصب" إلا أنهم برغم تلك الفرية عليهم، حظوا بثناء العلماء والرواة على صدقهم والتمسك بأمور دينهم، ونرى هنا ابن حجر في "تهذيب التهذيب" يقول: أكثر من يوصف بالنصب يكون مشهورًا بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة، بخلاف من يوصف بالرفض فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الأخبار. أهـ

وكيف لا؟ وقد جاء في الإرشاد للخليلي ما نصه:" اشتهر أهل الكوفة - وهي موطن التشيع وقلعته - بالكذب في الحديث، وتركيب الأسانيد الموضوعة، كما قال: أهل المدينة: وضعنا سبعين حديثًا نجرب بها أهل العراق، فبعثنا إلى الكوفة والبصرة، فأهل البصرة ردوها إلينا ولم يقبلوها، وقالوا: هذه كلها موضوعة، وأهل الكوفة ردوها إلينا، وقد وضعوا لكل حديث أسانيد". ومما جاء فيه أيضًا: وقد أشار بعض الحفاظ إلى هذه الحقيقة فقال: " تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي وأهل بيته فزاد على ثلاثمائة ألف".

وعلى هذا المنوال، لم يختلف حال الشيعة منذ نشأتهم؛ فلم يفارقوا الكذب، ولا هجروا التدليس، ولا توقفوا عن الدس على مر العصور وتوالي الأزمنة والدهور، ومما ورد مثال عن ذلك قال الخطيب: حضرت الشيخ المعمر الحسين بن أحمد القادسي البزاز وقد انقطع إلى مسجد "براثا" فأملى فيه وكانت الرافضة تجتمع هناك فقال لهم: منعتني النواصب أن أروي في جامع المنصور فضائل أهل البيت...؟ ثم اجتمع عليه في مسجد الشرقية الروافض ولهم إذ ذاك قوة وحميتهم ظاهرة فأملى عليهم العجائب في الموضوعات في الطعن في السلف.

خلاصة مبحث النصب والنواصب

بعد دراسة مستفيضة ومنطق لا يقبل الشك، نرى أن الغرض من إطلاق وتعميم مصطلح "النواصب" وبثه في جمهور المسلمين من قبل الشيعة كان الهدف منه النيل من أمهات المؤمنين والصحابة بالدرجة الأولى. فقد تعرضوا لعلي وأهل بيته حسب تعريفات وروايات أئمتهم، بل حتى مال معهم بهذا المنحنى بعض المتصدرين للخطاب السني. ثم أصبح المصطلح بمرور الوقت أداة وسلاحًا لتحييد أفذاذ هذه الأمة ومفكريها، بل وعوامها. وعمل أعداؤها على الترويج له حتى بات منطقة محظورة يحرم الاقتراب منها، محاطة بقدسية زائفة وهالة مزيفة عن البيت العلوي، تحول دون نقدهم والاعتراض على ما بدر ممن تَنَاسَلَ منهم أو تبعهم إلى يومنا هذا. وكأنهم سلالة مقدسة ورثوا النبوة كابرًا عن كابر، فنالوا العصمة التي انخدع بها جمهور ممن توهم ذلك، حتى من أهل السنة أنفسهم. فأصبح كثير منهم - باللاوعي- يخشى مقامات أولئك الذين يطلق الشيعة عليهم "الأئمة" دون غيرهم، والويل لمن أشار إلى أخطاء سيرتهم. فسرت فينا اعتقادات عنهم خفية على خطى التشيع، دون أن ننتبه أننا وقعنا في المحظور وسرنا في طريق مبتور.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن إحدى مهام "النصب" التي أرادوها هي دفع السني ليقع من حافة تسننه إلى التشيع، خاصة إذا كانت مناعته الثقافية السنية ضحلة. ولذلك يعيش السني مستسلمًا للهزيمة النفسية والخوف، ويبقى في حالة الدفاع من اتهامهم دون خطيئة فيما نسب إليه. بل وحتى يخيل إليه أن مخالفة نهج الشيعة في الغلو والمغالاة بالبيت العلوي وما تناسل منه ما هو إلا انحراف عن جادة الصواب والدين الحق. وهذا غاية ما يرمي إليه الشيعة من أسباب كيدهم؛ حتى يستسلم أهل السنة ويسلموا بمشروعهم لهم.

ولذلك نجد هنا أن محمد المكي يذهب إلى القول بأن الذين يطلقون هذا المصطلح -أي النواصب- على أحد من المسلمين لا يخرجون عن ثلاثة أشخاص:

ـ إما أن يكون جاهلًا.

ـ وإما أن يكون مغرضًا، أي يكون فيه تشيع.

ــ وإما أن يكون سفيهًا، وقد يكون السفيه طالب علم أو عالمًا. اهـ.

وأضيف هنا، وإما أن يكون قد دُسَّ عليه، وهذا ما يجب ملاحظته خاصة على المتقدمين الذين لم نعاصرهم. وفي جميع هذه الأحوال، كان لزامًا على أئمة الدين وحملة العلم تبيان أصل وفصل مثل هذه المصطلحات الخطرة وتأثير تسللها في الكتب والقناعات، بل وحتى الاعتقادات السنية، للناس.

لنأخذ مثالًا هنا: مصطلح اخترعه الشيعة في أزماننا للنكاية بأهل السنة، ألا وهو مصطلح "جهاد النكاح". ونحن نعرف من أين بدأ. فهل يجوز بعد سبعة قرون أن يأتي أحد المؤرخين أو الفقهاء السنة ويبدأ بتصنيف هذا المصطلح على أنه باب من أبواب الجهاد أو النكاح ..؟ ثم يبدأ بتأصيله وتصنيفه، ويأتي من بعده بقرن أو أكثر ويزيد عليه، أو يتفرع منه إلى اجتهادات فقهية وتاريخية أخرى حتى يصبح من المسلمات عند أهل السنة قبل غيرهم؟ نحن في زماننا علمنا كذبته وغايته ومن أطلقه. ولكن بمرور الزمن وطول الأمد، يتجاهله من يتجاهله. حتى إذا جاء أحدهم بعد قرون وذكره في أحد كتبه، ونظر فيه وصنفه وأصله، أخذه من بعده من أخذه. وبعد ذلك يجتمع عليه خلق من الفقهاء والدعاة والكتاب على فترات متباعدة؛ ليصبح بالتالي لا مفر من إنكاره أو الاعتراض عليه. هذه الصورة هي طبق الأصل لمسيرة مصطلح "النواصب" وما حدث له منذ أن أطلقه الشيعة بين أهل السنة.

إذًا، لا ينبغي لحاكم أو عالم أو متعلم أن يدخل هذه المنطقة الخطرة الملغمة إذا لم يكن يحمل متراس العلم، وعارفًا بمداخلها ومخارجها، وباطنها وخفاياها، وما أفاده فحول هذا الشأن بشأنها. ويجب أن يتحقق من كل حديث ورواية ومصطلح، حتى لا يطلق أحكامه جزافًا ويساهم في انتشارها ويعتقد أنها فضيلة. والحذر كل الحذر أن يوكل هذا الأمر على المتقدمين ويركنه بالكلية عليهم، حتى لو كانوا متصدرين في العلم، فربما دس عليهم أو زورت كتاباتهم أو فاتهم من العلم ما فاتهم.

وهنا نود أن نشير إلى أنه إذا أردت أن تتثبت مما في الدين الشيعي ومكامن خطره وفتاوى ما يحيط به، ومجموع مكائده وملوثاته ومصطلحاته التي أصابت بعض السنة في أدبياتهم، فعليك بالتدقيق والتحقيق. ولا تذهب لتأخذ ذلك من قوم لم تصل إليهم معظم كتب ذلك الدين، ولم يعاصروا قتل وتدمير وتهجير أهل الإسلام، وكانوا أقرب لفترات استراحتهم.

ورب سائل يسأل: إذن أين أجد الجواب الكافي في هذا الأمر والدواء الشافي؟ فنقول له هنا: عليك بأهل الاختصاص في ذلك، والخواص من الذين تصدوا وكانت لهم دراية في مكافحتهم، أمثال: الدهلوي وإحسان إلهي ظهير والآلوسي ومحب الدين الخطيب وطه الدليمي ومحمد المكي وغيرهم. فإن هؤلاء هم أعلم من غيرهم بهذا الأمر، وهم مختصون فيه. وكما لا يعقل أن تحتج بأبي حنيفة في مسألة لغوية أو تتيقن من الفراهيدي في مسألة فقهية، فكذلك لا يجب الاحتجاج بما ذكرت لما ذكرت.

والحذر كل الحذر من بث تلك المصطلحات وأخذها من أفواه من أراد النيل من الإسلام وأهله. وكما وصف محمد المكي عن مصطلح النواصب بأنه: "هو مصطلح العدو، لا

يجوز لأحد من المسلمين أن يعيد إنتاج هذا المصطلح مرة أخرى، لأنه آذى السنة كثيرًا."

وأضاف في موضع آخر: "لا يغرنكم إذا سمعتم بالداعية يقول إنه يريد أن يكافح التشيع والنصب. فاعلموا أنه يريد أن يكافح التشيع من جهة ويخدم عليه من جهة أخرى." اهـ.

قلت: وربما يكون الداعي الذي أشار إليه المكي قد خلط عسله بسمه عندما أوهم نفسه بالوسطية، وهو قد ادعى على من ادعى بالنصب. ويكفي توجهه ذلك في خدمة التشيع من حيث يدري أو لا يدري، ويحسب أنه يحسن صنعًا في مقدمة مكافحة التشيع الذي خرّبه بتثبيت مرادهم من النصب ومفهومه.

النواصب والخوارج

حاول مرتضى الزبيدي[194]في تاج العروس أن يصنف النواصب على أنهم خوارج فذهب إلى القول عن النواصب بأنهم: المتدينون ببغضة سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ لأنهم نصبوا له أي عادوه وأظهروا له الخلاف وهم طائفة الخوارج .أهـ

ويُلاحظ في صدر هذا التعريف أنه أخذ منحى من سبقه من المتقدمين بهذا التعريف علمًا أنه من المتأخرين وذلك على قاعدة "ما تكرر تقرر"،

وما يهمنا هنا أنه بعد تفشي هذا الاتهام للسنة حاول الزبيدي وغيره أن يحيلوه إلى جهة الخوارج فكان كالحائر بجمرة نار بين يديه أين يلقيها، وكان الأجدر به وبمن تأثر بهذا الأمر مثله أن يحقق ويجفف منابع مصطلح "النواصب" ويظهر للناس حقيقته ولا يأخذ به من المسلمات حتى بات من بعده وعلى أثره لا يدري أين يضعه وفي أي فلاة.

وهنا نلاحظ أن جمهور اللغوين الذين أشرنا لهم في بداية كتابنا لم يكتفوا بالخطأ الذي اقترفوه وبالقفل الشيعي الذي نقلوه بل زادهم الزبيدي وغيره بتصنيفات للنواصب على أنهم مثلًا من الخوارج وقد سبقه المقريزي[195] بهذا التصنيف أيضًا[196]وهذه التصنيفات التي ما أنزل الله بها من سلطان نرى أنها قد زادت الأمر تعقيدًا، ورقعت مصطلح النواصب الوهمي.

ثم نعرج إلى مؤرخ بارز ألا وهو الذهبي الذي قال: من تعرض للإمام علي بذم فهو ناصبي يعزر، فإن كفره فهو خارجي مارق بل سبيلنا أن نستغفر للكل ونحبهم ونكف عما شجر بينهم.[197] كيف نوفق بين كلامه؟ وما ذهب إليه أستاذه ابن تيمية حيث قال: أما شيعة علي الذين شايعوه بعد التحكيم وشيعة معاوية التي شايعته بعد التحكيم، فكان بينهما من التقابل وتلاعن بعضهم وتكافر بعضهم ما كان.[198]..!؟ وبالنتيجة لو ذهبنا إلى ما قرره الذهبي وما ذكره ابن تيمية فسنجد أن هذا الأمر ينطبق على معظم صحابة النبي من الرعيل الأول ناهيك عن زوجاته، فإنهم وحاشاهم أن لم يكونوا خوارج مارقين فهم على الأقل نواصب لأنهم تعرضوا لعلي، ويدخل ضمن حلقة التعرض هذه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وزد عليهم العديد من أمهات المؤمنين وبضمنهم الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر هذا كله لأنهم تعرضوا لعلي ...!؟ ولم نسمع من

---

194 هو السَّيِّدُ مُرتَضَى الزَّبيديُّ أبو الفَيض مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد بنُ مُحَمَّد بن عَبد الرَّزَّاقِ الحُسَينيُّ الزَّبيديُّ أبو الفَيضِ المُلَقَّبُ بالمُرتَضى، اللُّغَويُّ، النَّحويُّ، الحَنَفيُّ مذهبًا، الأشعَريُّ عقيدةً (1145 – 1205 هـ).

195 أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، مؤرخ ولد وتوفي في القاهرة (764 ـ 845هـ)

196 المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار / المقريزي

197 سير أعلام النبلاء ج7/ص370

198 مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (436/4)

الذهبي أو غيره ما حكم الذي قاتل وكفر وتعرض إلى هؤلاء أصحاب الصحبة العلياء وأمهات المؤمنين الطاهرات، وكأن علي هو النبي ...!؟

هل رأيتم كيف تسلل إلينا التشيع الخفي، ليس لأنه خاص بعلي وإنما استخدم الشيعة هذه النظريات وسار على نهجها الذهبي وغيره دون تمحيص لهذه اللوثات وتنقيتها فكانت تسللها في العائلة السنية كتسلل السارق الملثم لبيتها في الليل المعتم.

الإلصاق "ولا غير الإلصاق" بدأ من بعض كُتّاب التأريخ وفقهائه وانتهى بمن تأثر بهم حول نسبة النواصب للخوارج أو اعتبارهم الخوارج أنفسهم وهذا القول نجده مثلًا عند ناصر العقل حيث يقول: من قال فلان ناصبي، والناصبة هم الخوارج، فإذا أطلق كلمة ناصبي على غير الخوارج فهو رافضي أو عنده نزعة تشيع. [199]

ووقع هذا الامتداد على مشايخ يُعتدّ بآرائهم ويؤخذ بمنهجهم ومنهم: الشيخ صالح الفوزان عندما سئل عن الفرق بين الخوارج والنواصب فأجاب: أن الخوارج هم الذين خرجوا على علي ﷺ وقاتلوه، أما النواصب فهم الذين غالوا بعلي واعتبروا أن خلافة أبي بكر وعثمان باطلة بل من يقول فيهم من هو الله. أهـ، وبذلك اعتبرهم الفوزان أن المقصود بالنواصب هم الشيعة [200]،وربما أرادوا بهذا القول أو آمنوا به الدفاع عن أهل السنة، ورد ما تفوه به الشيعة من هذا الاتهام إليهم أو إلى الخوارج وباطل أعمالهم حتى تدخل بدر العواد وبدأ على نهج الذهبي يصنف النواصب لصنفين وهما:

ـ نواصب مكفرة لعلي ﷺ وهم الخوارج وأصل نشأتهم دينية.
ـ نواصب غير مكفرة له، وأصل نشأتهم سياسية، وهؤلاء هم الأسبق وجودًا. [201]

ونشاهد هنا الهروب إلى الأمام واتساع رقعة الغور في مصطلح النواصب بدل تجفيف منابعه وإثبات تفاهته، وذلك من خلال هذه التفصيلات التي لا تغني ولا تسمن من جوع وأين أصل كل هذا ومن أين بدأ، وأين ينتهي ...!؟

والمشكلة هنا أيضًا أنها ظلت تتوارث عند البعض حتى وصلت إلى أزمنتنا ويا ليتها توقفت عند العواد والذهبي بل تعدت الى غيرهم، حتى إننا نلاحظ أن بدر العواد وغيره يخلطون خلطًا عجيبًا بين النواصب والخوارج حتى إذا لم يجد تهمة على النواصب ارجع الأمر للخوارج، ومثال ذلك تكفيرهم لعلي بقاؤه في فرقة الخوارج وهو متوهم أو يوهم أنه يتحدث عن النواصب بل صنّف من تلقاء نفسه أن الخوارج هم فرقة من فرق

---

199 التعليق على شرح السنة للبربهاري / ناصر العقل
200 انظر على اليوتيوب من فتاوي الدرس الأربعين الفرق بين الخوارج والنواصب ـ قناة عبد الله السلفي
201 انظر النصب والنواصب / بدر بن ناصر بن محمد العواد

النواصب وهو ما يذهب إليه أيضًا محمد عبد الغفار حيث يقول: إن الخوارج لهم عدة أسماء ومنها النواصب[202]، والاختلاف بين الاثنين :أن الأول يقول عنهم أنهم فرقة من الخوارج والثاني يذهب إلى أنه اسم من أسمائهم، وكل ذلك بغير هدى ولا دليل منير.

ويزيد من أمر النواصب حيرة بل وضياعًا في تيْه القول وشَتَات الأصل، ما جاء في كتاب شرح لامية ابن تيمية لمؤلفه عمر العيد إذ يقول: هناك طائفة تسمى طائفة النواصب، وهي إحدى طوائف البدع، وأصيبت في معتقدها بعدم التوفيق في أصحاب رسول الله، وهؤلاء لم يكفروا الصحابة، وإنما فسقوهم، وسموا نواصب لأنهم يتدينون ببغض علي بن أبي طالب، ونحن نتبرأ من معتقد الخوارج، ومن معتقد النواصب الذين ناصبوا لـ علي بن أبي طالب العداوة.

وهنا عدنا إلى المربع الأول، إذ لم نجد القول الفصل في هذا، بل زاد الأمر تلبيسًا وتعقيدًا، خاصة وأن هناك من يقول: "النواصب جماعة ظهرت في بدايات العصر الإسلامي، وكانت تفسق علي بن أبي طالب وتشكك في أفضليته، مما اعتُبر مناصبة للعداء. مع ملاحظة أن فرقة النواصب تختلف عن فرقة الخوارج، فالنواصب والخوارج اشتركوا في مناصبة علي العداء، ولكن النواصب يفسقون عليًا، أما الخوارج فيكفرون عليًا. وكذلك فإن النواصب يقبلون عثمان، أما الخوارج فيكفرونه. وهذا ما أكده أبو الحسن الأشعري بقوله: «أجمعت الخوارج على كفر علي»". انتهى كلامهم.

يقول بدر العواد: لا توجد علاقة في الأصل ما بين لفظ (النصب) ولفظ (الخروج) من جهة مدلولهما الأولي، لأن النصب مرتبط بالموقف من شخص بذاته وهو علي رضي الله عنه، وأما الخروج فهو متعلق بمبدأ، وهو الثورة على الحاكم الفاسق أو الكافر أيا كان، لكن لما أصبح علي يمثل هذا الحاكم في نظر بعض أتباعه وانحرفوا عنه وعادوه دخلوا في مفهوم النصب حينئذ، ومن ثم يمكن القول بأن العلاقة بين النواصب والخوارج علاقة عموم وخصوص مطلق، بمعنى أن كل خارجي ناصبي، وليس كل ناصبي خارجيًّا، فالخوارج إذن من جملة أفراد النواصب لا كلهم.[203]

ولا أعرف لصالح من يتم تأصيل مصطلح النواصب وربطه أو نفيه عن الخوارج، بل والسير فيه وكأنه من المسلمات ونريد أن نجد له مخرجات، فالخوارج هم فرقة معروفة من حمراء الكوفة، ولها ارتباط استخباراتي وتواصلي مع البصرة ومصر ومعروفة مواطنها وقادتها وحروبها، بعكس النواصب الذين لم نعثر عليهم أي مما ذكرنا فكيف نؤصل بمعلوم على مجهول وموثق على تائه ...!

202 كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي / محمد حسن عبد الغفار
203 النصب والنواصب. ص562

لتلخيص ما ناقشناه وتوضيح نقاط الاختلاف بين الآراء المذكورة، نوجز ما ذهب إليه هؤلاء العلماء فيما يلي:

ـ النواصب فرقة من الخوارج: هذا ما ذهب إليه الزبيدي والمقريزي.

ـ الخوارج فرقة من فرق النواصب: هذه خلاصة رأي بدر العواد.

ـ للخوارج عدة أسماء منها النواصب: هذا ما ذهب إليه محمد عبد الغفار.

ـ من يتعرض لعلي ناصبي، ومن يكفره خارجي: وهو قول الذهبي.

ـ النواصب هم الخوارج: وهو ما أقره ناصر العقل.

ـ الخوارج من خرج على علي، والنواصب هم الشيعة: وهو ما قال به صالح الفوزان.

أرأيتم مدى التخبط والخلل الذي أوقعونا فيه ...!؟ ومن الملاحظ أن جل من ذكرنا هم من المتأخرين ولم نجد في المتقدمين من قال بأقوالهم هذه أو سار على منهجهم في ذلك. فأقدم من أشار للنواصب والخوارج في حديث واحد هو الذهبي (673هـ - 748هـ) ولو فرضنا أن ظهور الخوارج والنواصب كان في بواكير القرن الأول الهجري لوجدنا أن الفاصل الزمني بينه وبين من ذكرنا هو حوالي سبع قرون بعد بلوغه وكتاباته عنهما فهل يعقل أن الصحابة والتابعين والعلماء والمحدثين وكل رعيل السبعة قرون الأولى من هذه الامة لم يتفوهوا بكلمة وجملة حول هذا الامر، وفاتهم هذه التصنيف أو لم يشيروا إليه أو لم يكتبوا عنه حتى جاء الذهبي بعد سبعة قرون وأشار إلى ما أشار ثم تبعه المقريزي بعد حوالي قرن ثم بعده الزبيدي بقرون، إلى أن وصلنا إلى ذكر من ذكرنا كالعواد وعبد الغفار والعقل والفوزان الذين أدركناهم ..!؟

ولنعلم أن تضارب الأقوال فيما أوردنا لا يدل فقط على سراب وجود النواصب وارتباطهم أو تقاطعهم مع الخوارج، بل يتعدى هذا الأمر إلى أن هذه التصنيفات زادت الباحث تيهاً، وتيقن من خلالها أن ليس لهم حقيقة، بحيث لم يجلب لنا أي أحد من قائليها دليل معتبر أو حادثة واقعة أو سند تاريخي على ما تفضل به بخصوص هذا الارتباط أو عدمه، واتضح أن كل الأمر وما فيه هو عبارة عن اجتهادات شخصية وتخمينات ظنية أورنا أهمها وهي أقرب للوهم منها للحقيقة.

الخــوارج

لقد تميزنا اليوم عن الشيعة بالقرآن والسنة اللذين أعدناهما إلى مفهومهما الحقيقي، بعيدًا عن التشويش الشعوبي، والتفسيرات والتأويلات القائمة على التدليس والتلبيس، والتي عمل ويعمل عليها من أراد هدم الإسلام من الداخل. ولكن ظلت هناك شوائب من تاريخ الإسلام، وملوثات في بواكيره، وخاصةً في القرون الثلاثة الأولى، لا تزال تتنافى مع هذا التمايز. وقد تشربها معظم أهل السنة، حتى إن بعضها غدت من المسلمات لديهم، والمحرمات التي يمتنعون عن الاقتراب منها أو تقبل غيرها، ولو جئتهم بالدليل تلو الدليل، وبالحجة تلو الحجة. وهذا ما نعانيه اليوم من عملية تشذيب وتهذيب للكثير من المفاهيم الخاطئة وإعادتها إلى صوابها، سواء كانت عن الروايات أو الشخصيات أو الوقائع، بالإضافة إلى المصطلحات.

موضوع "الخوارج" هو من ضمن المواضيع التي أشرنا إليها، ويمثّل الصندوق الأسود والقفل الأخطر الذي يتجنب الكثيرون الاقتراب منه. لذلك، نحن اليوم في كتابنا هذا سنغوص فيه، ونستخرج حقائقه، ونستقصي حوادثه، ونضع رواته تحت المجهر، حتى نبين الخيط الأسود من الأبيض من فجر وقائعه. ليس دفاعًا عن تلك الفئة ولا هجومًا عليهم، بل سنسلك طريق المحققين والباحثين عنهم، وعن ملابسات ما حدث لهم، ومن أين أتت تلك الاتهامات بحقهم، وهل كانوا فعلًا كما رُوي لنا عن عقائدهم؟ وسنعرج أيضًا على من استغل اسمهم وسوّق لمشاريعه بحججهم، وعن منبتهم ومنتهاهم، بما يتناسب مع العقل والمنطق، وبما صحّ من أخبارهم، بعيدًا عن زيف المزيفين وتزوير المزورين.

إننا لو عدنا إلى تفكيك مبحث فرقة "الخوارج" والغوص فيها، والإحاطة بالأحداث التاريخية التي رافقت نشأتها حتى منتهاها، لقفزت إلى أذهاننا عدة أسئلة لطالما أشغلتنا وحار في إجابتها العديد من الباحثين، ومنها:

ـ من أول من أطلق مصطلح "الخوارج" عليهم ...!؟
ـ كم كان عددهم بالتحديد؟ وكيف كان خروجهم؟ وما ملابسات انشقاقهم عن سلطة الكوفة ...!؟
ـ من كانوا أمراءهم وقبائلهم، وما مواطنهم ...!؟
ـ ما الروايات الضعيفة والموضوعة التي نُسِجَت حولهم؟ وما حقيقة الروايات التي سُرِدَت حول سيرتهم ...!؟
ـ كم كان عدد قتلاهم، والظروف التي تسببت في قتلهم ...!؟
ـ ما معتقداتهم الصحيحة بعيداً عن البهتان والإفك عليهم بما لم يقولوه ...!؟
ـ لمصلحة من تمت إبادتهم، وما الخطر الذي كانوا سيُشكلونه على حكومة الكوفة ...!؟

ـ ما الحكم الشرعي فيما حدث لهم ...!؟
ـ هل كانت عندهم فرق اغتيالات؟ أم استغل الغير اسمهم في أهداف ومشاريع فرق أخرى ...!؟

هذه الأسئلة وغيرها، والتي سنبحث ونستقصي فيها تباعًا، هي الكفيلة بحل لغز تلك الفرقة التي كانت وما زالت تعتبر أحجية استعصى على الكثيرين حلها. وإذا توصلنا إلى حقيقة ما حدث لها، سيكون ذلك طريقًا لتفسير كثير من الوقائع المبهمة التي حدثت في ذلك العصر.

تعريف الخوارج

الخوارج في اللغة جمع خارجٍ، والخارجيُّ اسمٌ مشتقٌّ من الخروج. أما في الاصطلاح، فقد اختلف العلماء في تعريفهم، ومن أشهر هذه التعريفات ما يلي:

أ - هم الذين خرجوا على علي ﵁ وقاتلهم.[204]

ب - كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيًّا، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو على غيرهم من الأئمة في كل زمان ممن تبعهم بإحسان.[205]

ج - قومٌ من أهل الأهواء لهم مقالةٌ مستقلة.[206]

د - هم الذين خرجوا عن الناس، أو عن الدين، أو عن الحق.[207]

هـ - هم حزب سياسيٌّ دينيٌّ قام في وجه السلطة القائمة من أجل الدين كما فهموه. وهم لا يعدُّون أنفسهم خارجين عن الدين، بل خارجين من أجل الدين ومن أجل إقامة شرع الله، متمسكين بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد تشبثوا بهذا المبدأ وتطبيقه حتى أصبح علامةً من علاماتهم، وسعوا إلى إقامة دولة إسلامية تقوم على الدين وأحكامه.[208]

و- هم الذين يُكَفِّرون بالمعاصي، ويخرُجون على أئمَّةِ المُسلِمين وجماعتِهم.[209]

ز- دينهم المعظم مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم[210]

ح - هم الذين لهم سوء فهم للقرآن لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب [211]

---

204 قاله الزبيدي والأشعري، وأضاف ابن حزم أو (كل من شاركهم في آرائهم في أيِّ زمن).
205 قاله الشهرستاني، (479 – 548هـ) في كتابه "الملل والنحل". يذكر عنه الذهبي والسمعاني اتهامه بالإلحاد والتشيع، ويصفه ياقوت بالفيلسوف المتكلم صاحب التصانيف.
206 قال الأزهريّ
207 قاله الزبيدي
208 تعريف الدكتور علي عبد الفتاح المغربي في كتاب: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل ودراسة) وقد أضاف قبله بأنهم هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب.
209 تعريف بعض المعاصرين، وهنا دخلنا في عقائدهم.
210 تعريف ابن تيمية
211 تعريف آخر لابن تيمية، يوضح اختلاط تعريفهم بعقائدهم وصفاتهم.

ط ـ هم الذين إذا خالفت رأيهم سمَّوك كافرًا، واستحلوا دمك.[212]

يُلاحظ أن التعريف الأول يركز على أول ظهور للخوارج، بينما التعاريف الأخرى تُعنى بهم كفرقة مستقلة بعقائد معينة، تجعل كل من اعتقد اعتقادها يدخل في مسماها.

212 تعريف أبو أيوب ميمون بن مهران الجزري الرقي (40 هـ - 117 هـ)، وهو من كبار العلماء والأئمة، كان مؤدبًا لأولاد الخليفة عمر بن عبد العزيز وولاه القضاء.

بداية ظهور مصطلح الخوارج

بالعودة إلى الأسئلة التي طرحناها في مقدمة مبحثنا هذا، نسعى للتعرف على أصحاب السبق في إطلاق مصطلح "الخوارج"، وتحديد أقدم نصٍّ ذكر هذا المصطلح، ومن هو مؤلفه، وفي أي كتاب ورد، ومن هم الذين خُصِّصوا به في بواكير هذا الإطلاق؟

الجواب هنا هو: أن مصطلح الخوارج ظهر لأول مرة في القرن الأول الهجري، وتحديدًا في كتاب "مسائل" أو "سؤالات نافع بن الأزرق" [213] الذي تضمن عدة أسئلة طرحها نافع على عبد الله بن عباس ﵁ ومما ورد في هذا الكتاب:

1- " بينما ابن عباس في المسجد الحرام، وعنده نافع بن الأزرق، وناس من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مورّدين حتى دخل وجلس.. الخ "
2- " فوجهه إلى الخوارج فحاورهم حوارًا رائعًا، بيّن فيه الحق، وساق الحجة بشكل يبهر الألباب، فما كاد ينتهي النقاش حتى.. إلخ"

غير أن هذا الكتاب لا يُعرف على وجه التحديد من أطلق عليه لاحقًا اسم "غريب القرآن في شعر العرب". والأغرب من ذلك أن هذا العنوان أقرب ما يكون لرسالة ماجستير أو كتيبٍ حداثيٍّ منه إلى تسميات ذلك العصر. وعلى أي حال، نجد في هذا الأمر غرابة وانقطاعًا في السند، إذ أن الذي يروي ذلك عن عبد الله بن عباس ﵁ هو الضحاك بن مزاحم الذي لم يلتقِهِ أصلًا. وقد قيل إنه التقى بسعيد بن جبير [214] المولى الذي انشق عن

---

213 نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري. مؤسس فرقة الأزارقة إحدى فرق الخوارج، صحب عبد اللّه بن عباس أول أمره، ثم ثار على عثمان بن عفان، وأيد عليًا بن أبي طالب، اتجه مع جماعته إلى البصرة بعد خلافه مع عبد اللّه بن الزبير وأسس جماعة هناك سميت باسمه وهي فرقة الأزارقة، وأيده فيها عبد اللّه بن الصفار، وعبد اللّه بن إباض التميمي.

214 سعيد بن جبير (46–95 هـ) عينه الحجاج على نفقات الجند حين بعثه مع قائد الجيش عبد الرحمن بن الأشعث الذي توجه إلى قتال رتبيل ملك الترك آنذاك، وغلب على ابن الأشعث طبع الخيانة وخان تلك الامانة وخلع عنه بيعة الحجاج والخلافة الاموية وطعنهما بالظهر وتبعه سعيد بن جبير في ذلك الخلع وتلك الخيانة بل أنه تشارك معه في قتال الدولة الاموية وكان يحض على قتالها وعندما كتب النصر لدولة الخلافة الاموية وجيش الحجاج الجرار في موقعة "دير الجماجم" نجا من القتل ابن جبير، وتوارى عن الحجّاج مدة، ولكن تمكن منه عندما قبض عليه والي مكة وأرسله إليه.

فلما وقف بين يدي الحجاج قال له: يا سعيد، ألم أشركك في أمانتي؟ ألم أستعملك؟ ألم أفعل، ألم أفعل؟ كل ذلك يقول: نعم. حتى ظن من عنده أنه سيخلي سبيله حتى قال له: فما حملك على أن خرجت علي، وخلعت بيعة أمير المؤمنين؟ فقال سعيد: إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك، وعزم علي. فغضب عند ذلك الحجاج غضبا شديدا، وانتفخ حتى سقط أحد طرفي ردائه عن منكبه، وقال له: ويحك، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها، وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى . فقال: ثم قدمت الكوفة واليًا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة، فأخذت بيعتك له ثانية؟ قال: بلى. قال: فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين، وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك...؟ يا حرسي اضرب عنقه. قال: فضربت عنقه. وذلك في سنة أربع وتسعين.

أما رواية أنه دخل على الحجاج وجابهه ومطلعها:
ما اسمك؟ سعيد: سعيد بن جبير.
الحجاج: بل أنت شقي بن كسير.... الخ
فهي رواية من وضع الوضاعين ولا تصح.

الدولة الأموية وخانها وصاحب حديث "رزية الخميس" في صحيح مسلم، وهو بالتالي روى له تلك الروايات وغيرها، ولك أن تتصور حجم كذب الروايات التي تلقفها الضحاك من ذلك الأفاك...!؟
يُلاحظ أنه طوال القرن الأول الهجري، لم يذكر أحد هذا المصطلح باستثناء ما أشرنا إليه. ولم يظهر استخدامه بشكل واسع إلا في القرن الثاني، حيث تداولته أدبيات أصحاب المذهب الحنفي، من مؤسسهم إلى تلاميذهم. لم يكن المقصود به حينذاك أهل النهروان بأحكامهم، بل كانت دلالاته تنصرف إلى خوارج أهل الكوفة، وذلك قبل مؤامرة تحريف المصطلح ووضعه في غير محله والإشارة به إلى غير الفرقة المقصودة.
توالى استعمال المصطلح بعد ذلك، شأنه شأن مصطلحات مثل "البغاة" و"النواصب" وغيرهما، فانحرف تدريجيًا عن معناه الأصلي. وقد صِيغَ بعد مرور الأزمنة وتوالي الأمكنة من قِبَل المحرفين لصالح الشعوبية، فخلعوا عنه ربقة الشيعة، وخاصة "حمراء الكوفة" منهم، ليلبسوه لأهل النهروان وينعتوهم به ويُوصلوه عليهم.

وسواء كان ذلك بقصدٍ أو بغير قصدٍ أو جهلٍ، فقد تداوله المؤرخون وبعض العلماء المحسوبين من أهل السنة، تماشيًا مع ذلك الانحراف الذي تحدثنا عنه. هذا ما جعل أمة الإسلام تتلقى المصطلح لاحقًا كأمرٍ مسلَّمٍ به، على أن "أهل النهروان" هم الخوارج، مع أنهم أبعد الناس عنهم وعن عقائدهم. ولا يكاد يُذكر مصطلح الخوارج في أيامنا هذه وما سبقها إلا وتتجه الأذهان والأفهام مباشرةً إلى أهل النهروان. وهذا يُعدُّ من عظيم الأخطاء، وأعظم منه البلاء الذي التبس على الفقهاء في أحكامهم، وعلى المؤرخين في عقائدهم. لقد قصد الرعيل الأول منهم بذلك "حمراء الكوفة" وشراذمتها، بينما جاءت ثلة من المحققين اللاحقين ليتوهموا أن قصد الرعيل الأول هم "أهل النهروان"، مع أنه لم يثبت لدينا أن أيَّ أحدٍ من أهل النهروان قد شارك في الانقلاب على خلافة عثمان (رضي الله عنه) واستشهاده. وهم، كما أشرنا، أبعد ما يكونون عن ذلك البهتان. لقد أُكمل التأليف وتُمت ملامح التوصيف على أن الخوارج هم أهل النهروان، فانصرف الناس وحملة العلم منهم عن الحق والبيان، وتمسكوا بتيهٍ لا يزال عالقًا بالأذهان، بل إن البعض وجُلَّهم لا يريد أن ينفي تلك الشوائب، ولا يصدق بالوثائق. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولو تتبَّعنا حقيقة الخوارج، لوجدنا أنهم قتلة عثمان (رضي الله عنه) بما فعلوه من خروجهم على حاكم زمانهم وخليفة عصرهم. لم يقتصر خروجهم عليه فحسب، بل كانوا السبب المباشر في استشهاده وما حلَّ بالأمة من بعده.

ومن المعلوم أن أول من قاتَلَ الخوارج هم: طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنهم)، حيث قاتلوا الخوارجَ الذين تسببوا في مقتل عثمان في معركة "الزابوقة" بالبصرة. فإن كان الحديث: (تقتلهم أولى الطائفتين بالحق) صحيحًا، فالمراد به من ذكرنا، لأنهم أول من قاتَلَ الخوارج وانتصروا عليهم.

أهـل النـــهروان

لطالما التبسَ مفهوم "أهل النهروان" في السرد التاريخي الإسلامي، حتى توهمَ البعض أنهم هم "الخوارج". هذا الالتباس قد يكون نابعًا من تضليل إعلامي مارسته "حمراء الكوفة " في تلك الحقبة، إن إعادة النظر في خروج هذه الجماعة من الكوفة تكشف لنا جوانب مهمة تُعيد تشكيل فهمنا لهويتهم ودوافعهم الحقيقية.

إن هذا المبحث يسعى إلى تفكيك الروايات التاريخية السائدة، لا سيما تلك المتعلقة بتسمياتهم وخروجهم ومناظرة ابن عباس لهم ونهايتهم وغيرها من المواضيع التي تناولتهم، لبيان التناقضات والملابسات التي أحاطت بهم.

وسنتناولُ الشواهد اللغوية والتاريخية التي ترجّح أن أهل النهروان لم يكونوا بالضرورة هم "الخوارج" بالمعنى الذي استقر في الأذهان، بل كانوا فئةً تسعى للانفصال عن الصراع الدائر، في محاولة لفهم أعمق لدورهم في التاريخ الإسلامي المبكر.

إن تتبع الروايات التي ذكرتهم، تظهر اضطرابًا كبيرًا وتناقضات واضحة، مما يثير الشك حول دقة النقل التاريخي لهذه الأحداث، ويبدو أن العديد من هذه الروايات قد شابها التحريف أو التضخيم، أو ربما كانت من وضع من أرادوا تشويه صورة هذه الجماعة أو توجيه الرأي العام ضدهم.

هذا ما دفع بعض المحققين إلى الاعتقاد بأن قصة أهل النهروان، كما وصلت إلينا، قد تكون أقرب إلى التأليف الموجه من قبل " الإعلام الكوفي" ومن تبعه، منها إلى الواقع التاريخي المجرد، وهو ما يستدعي إعادة قراءة شاملة لأحداث تلك الفترة بوعي نقدي، بعيدًا عن التفسيرات النمطية والمسبقة.

تتعدد الروايات التاريخية التي تتناول أهل النهروان، لكن اللافت للنظر هو اضطرابها وتناقضها الواضح، خاصة فيما يتعلق بأعدادهم، دوافعهم، وحتى حقيقة أماكن تجمعاتهم. هذا التضارب لا يقتصر على التفاصيل الصغيرة، بل يمتد ليشمل جوهر الأحداث نفسها، مما يضع علامات استفهام كبيرة حول مدى موثوقية هذه الروايات ككل. فهل يعقل أن تتضارب شهادات المؤرخين بهذه الدرجة حول أعداد المشاركين في واقعة تاريخية بهذه الأهمية، أو أن تختلط عليهم أماكن تجمعهم ومسارات تحركهم؟ هذا يشير بقوة إلى أن الرواية السائدة لم تكن محايدة أو دقيقة بالكامل.

إن هذه الثغرات في السرد التاريخي قد تكون مؤشرًا على أن القائمين على تدوين هذه الأحداث في المراحل المبكرة لم يكونوا على دراية كافية بتفاصيلها، أو أنهم اعتمدوا

على مصادر غير موثوقة. بل إن هناك احتمالًا قويًا بأن أقلامًا موجهة من قبل متصدري الروافض قد تدخلت في صياغة هذه الروايات، لخدمة أجنداتهم السياسية والعقائدية، وساعدهم في توصيل مآربهم بعض كَتَبَة أهل السنة الذين صدَّقوا برواياتهم أو نقلوا عنها. مما يشير هنا إلى أن هذا التشويه لم يكن عفوياً، بل ربما كان جزءًا من حملة إعلامية أوسع سعت إلى تصنيفها ضمن خانة "الخروج" على الشرعية، لتقويض أي تعاطف محتمل معهم أو مع أهدافهم التي ربما كانت نبيلة في جوهرها.

لقد أسهم هذا التشويه في ترسيخ صورة نمطية لأهل النهروان كمتعصبين متشددين، وساهم في إضعاف أي محاولة لفهم أسباب خروجهم الحقيقية التي قد تكون نابعة من قناعات دينية أو سياسية مختلفة، لا بالضرورة تعني الخروج عن الملة. إن التحيز في نقل المعلومة التاريخية، والتأثر بالتوجهات الفكرية للمدونين الأوائل، قد أثر بشكل كبير على كيفية فهمنا لهذه الحقبة، وجعل من الصعب التمييز بين الحقيقة والخيال، أو بين الدوافع الحقيقية والتأويلات المغرضة.

إن الحالة التي يمثلها ملف "أهل النهروان" تدعو إلى تطبيق منهج نقدي صارم في قراءة التاريخ الإسلامي، وعدم التسليم بالروايات الشائعة لمجرد شيوعها. فكثير من المعلومات التي تشكل فهمنا للأحداث لم تُدوَّن إلا بعد قرون من وقوعها، وغالبًا ما كانت تمر عبر رواة لهم توجهاتهم ومصالحهم. إن تحليل أسانيد الروايات، ومقارنة المتون المختلفة، والبحث عن الأدلة التي تدعم أو تدحض كل منها، يصبح أمرًا بالغ الأهمية لإعادة بناء صورة أقرب للحقيقة.

إن ما حدث مع أهل النهروان، من الصاق اسم "حروراء" بهم، والمبالغة في تصوير مواقفهم، يعكس حجم التحدي الذي يواجه الباحث في سعيه وراء الحقيقة. فليس من المستبعد أن تكون بعض القصص التي وصلت إلينا عنهم قد أُلفت بالكامل، أو على الأقل جرى تضخيمها وتعديلها لتناسب سردًا معينًا يخدم غرضًا بعينه. هذا الأمر لا يخص أهل النهروان وحدهم، بل يشمل العديد من الأحداث والشخصيات التاريخية التي جرى "تنميطها" أو "تشويهها" عبر العصور.

لذلك، فإن هذا المبحث يهدف إلى الوصول لهويتهم الحقيقية، ودوافعهم، والمساهمة في تقديم قراءة أكثر توازنًا ومنطقية لأحداث القرن الأول الهجري. كما يهدف إلى البحث عن الأصوات التي ربما طمستها الروايات الرسمية، ولفهم السياقات المعقدة التي دفعت بأشخاص إلى اتخاذ مواقف جذرية، دون الانجرار وراء الأحكام المسبقة التي فرضتها سرديات تاريخية معينة.

خروج أهل النهروان

بعد المقدمة التي ذكرناها عن "أهل النهروان" نبدأ بسرد الروايات والملابسات التي رافقت خروجهم من الكوفة إلى النهروان حيث نجد أن المؤرخين يذكرون أنهم اجتمعوا بدار عبد الله بن وهب الراسبي،[215] عن عبد الملك بن أبي حرة الحنفي: إن وجوه "الخوارج" اجتمعوا عند عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم، ودعاهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بالحق وإن أمرّ وضرّ، وقال: اخرجوا بنا معشر إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض السواد، وبعض كور الجبل، منكرين لهذه البدع المكروهة.[216]

ثم قام حرقوص بن زهير السعدي فتكلم، وتكلموا جميعًا بذم الدنيا والدعاء إلى رفضها والجد في طلب الحق وإنكار البدع والظلم، وعرضوا رئاستهم على غير واحد منهم فأبوها، وقبلها عبد الله بن وهب الراسبي، فبايعوه وذلك ليلة الجمعة لعشر ليال بقين من شوال سنة سبع وثلاثين، في منزل زيد بن حصين.[217]

واتفقوا بعد ذلك على الخروج من الكوفة إلى بلدة يجتمعون فيها، فأشار بعضهم الى المدائن ولكن الباقي رفض؛ لحصانتها وقوة حمايتها وأخيرًا اتفقوا على جسر النهروان (غربي دجلة بين بغداد وحلوان[218])...!؟ هنا تكمن المشكلة عند بعض المؤرخين والرحالة المتقدمين؛ وهي غياب معرفتهم وتخبطهم بأسماء مدن العراق، فضلًا عن أنهم لا يميزون شرق المعروف منها من غربها. أما حلوان، فهي معروفة بأنها في مصر، مما يزيد الالتباس. ...!؟

وذكر البعض أنهم عند خروجهم قصدوا حروراء وهذ الأمر قد زاد "الطين بلل" كما يقول المثل، فليس هناك قرية أو موضع بظاهر الكوفة بهذا الاسم في العراق بل الأعجب من ذلك أنهم أطلقوا عليهم الحرورية بسبب ذلك الموضع، مما يؤكد الالتباس وعدم الدقة.

215سنأتي على ذكر سيرته بالتفصيل مع بقية قادتهم

216 كتاب انساب الأشراف ـ البلاذري، وانظر هنا أن الراسبي لم يذكر علي بسوء، ولم يتطرق إلى اختلافهم السياسي مع سلطة الكوفة وإنما فقط أرادوا النجاة من خوض الدماء والابتعاد عن الحروب التي خاضها ويخوضها جيش الكوفة، وهذا يذهب بنا إلى القول أن خروج أهل النهروان كان الابتعاد عما أشرنا إليه.

217 كتاب انساب الأشراف ـ البلاذري، وهنا نلاحظ مرة أخرى أن حرقوص بن زهير السعدي لم يذكر علي بسوء ولم يتطرق إلى اختلافهم السياسي مع سلطة الكوفة وإنما فقط أرادوا النجاة من خوض الدماء والابتعاد عن الحروب التي خاضها ويخوضها جيش الكوفة، وهذا يذهب بنا إلى القول أن خروج أهل النهروان كان الابتعاد عما أشرنا إليه.

218 قال أبو زيد: أما حلوان فإنها مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسرّ من رأى أكبر منها، وأكثر ثمارها التين، وهي بقرب الجبل، وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها، وربما يسقط بها الثلج، وأما أعلى جبلها فإن الثلج يسقط به دائما ...!؟ أنظر معجم البلدان ـ ياقوت الحموي. علماً أن النهروان وبغداد وما يحيط بها وامتدادها حتى النهروان هي أرض سهلية ولا يوجد فيها تلة عوضاً عن جبل.

والبعض احتج لإثبات وجود الحرورية ومكانهم الذي أشرنا بحديث معاذة التي سألت فيه عائشة (رضي الله عنها) ما بال الحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ، ولَا تَقْضِي الصَّلَاةَ. فَقالَتْ: أحَرُورِيَّةٌ أنْتِ؟ قُلتُ: لَسْتُ بحَرُورِيَّةٍ، ولَكِنِّي أسْأَلُ. قالَتْ: كانَ يُصِيبُنَا ذلكَ، فَنُؤْمَرُ بقَضَاءِ الصَّوْمِ، ولَا نُؤْمَرُ بقَضَاءِ الصَّلَاةِ.[219] أهـ

وقد التبس هذا الأمر فتصوروا كما شاع في التاريخ الإسلامي أن الحروري سمي بذلك نسبة لقرية أو فلاة أو مكان أو موضع أو كورة "حروراء" بالعراق والتي من المفترض أن تكون قرب الكوفة، ولكن يبدو أن الحروري سمي بذلك نسبة إلى فعله وعمله ومبدأه، وهو التحرر والحرية والتحرير وما شابه.

وكما قد تُفْهَمُ عبارة (أحرورية أنتِ؟)، أن الحروري (متحرر) من الآثار والسنن.[220]

ومما يقال إن أهل النهروان، اعتزلوا وتجمّعوا في قرية حَروراء بالكوفة أو قربها لم نجد لها أثرًا، فنسبهم بعض المؤرخين إليها فسموهم (حرورية). ثم بعد ذلك أصبح اسم (الحَروري) يُطلق عليهم عمومًا.

وكلمة (الحَرورية) بالفتح تأتي لغة بمعنى الحُريّة [221] ولذلك فإن كلمة (حَروري)، قد تكون من معنى الحُريّة والتحرر (الانعتاق وعدم التقيد والالتزام).

فلعل "أهل النهروان" سُمّوا بالحرورية، ربما لأنهم تحرروا من طاعة السلطان واستقالوا من البيعة وخلعوا الطاعة فقال علي عنهم: إن هؤلاء يقولون: لا إمرة.[222]

وكأن الحرورية حرروا أنفسهم (عتقوها) من طاعة الخليفة (الذي يخالفهم)، فخلعوا من أعناقهم بيعته، فالحروري لا طاعة للخليفة عليه (تحرر من طاعة الخليفة) كنفس معنى الخارجي (خرج من طاعة الخليفة أو خرج عليه).

وبهذا يتضح لنا أن المعنى الأصلي الأول لاسم الحرورية، هو فكرة تحررهم (استقلالهم وانعتاقهم) عن سلطة من كان يحكمهم.

لكن بعد زمن وبعد شيوع اسم الحروري بين الناس، فهم العوام أن الحرورية ينتسبون إلى أرض على اسمهم. فبلدة حروراء هذه، قد تكون رمزية مخترعة تمثل نفس فكرة الحرورية وتُعدُّ "حروراء" مصطلحًا ذا دلالات متعددة في التاريخ الإسلامي، فقد تشير إلى "أرض الحرية" أو الأرض التي تحرر فيها الأفراد. كما أنها قد تعني "الصحراء

---

219 الراوي: عائشة أم المؤمنين، أخرجه الشيخان وغيرهما وروى عبد الرزاق عن معمر أنه سأل الزهري عنه فقال: اجتمع الناس عليه.

220 لست بسبائي، ولا حروري، فافتقر الأثر/ مصنف ابن أبي شيبة

221 المغرب في ترتيب المعرب: الحَرورية اسم بمعنى الحرية / انظر تاج العروس: رجلٌ حُرٌّ بَيِنُ الحَرُورِيَّةِ.

222 أنظر أنساب الأشراف.

والبرية"[223] أو البادية، كصحراء الكوفة وظاهرها، مما يوحي بأنها بلاد تَتَسِمُ بطابع الأعراب. ويُحتمل أنها كانت أرضًا حرة خارجة عن نفوذ السلطان، فلا يَطالها حكمه.

يُمكن القول إن أي أرض يتواجد فيها أهل النهروان أصبحت بمثابة "حروراء"، أي الأرض التي تحرروا فيها. وثمة احتمال ضعيف بأنها كانت قرية قائمة بالفعل، وأن اسمها تشابه مصادفة مع اسم الحرورية دون وجود علاقة فعلية بهم.

يُشير هذا الالتباس في أصل الاسم إلى ظاهرة مشابهة نجدها في "تاج العروس"، حيث ذُكر أن الحريري، صاحب المقامات، ينسب أحد أجداده إلى نسج الحرير. وقد أخطأ بعض الباحثين في نسبه إلى قرية "الحريرة" في البصرة. وعلى هذا المنوال، فكما نُسِبَ الحريري خطأً إلى قرية "الحريرة" رغم نسبه الحقيقي لنسج الحرير، فربما نُسِبَ الخارجي "الحروري" خطأً إلى قرية "حروراء"، بينما اسمه يعود إلى "التحرر". قد تكون قرية حروراء هي المستحدثة من اسم الحرورية، وليس العكس.

لذلك، سُمِّيَ الفرد من أهل النهروان بـالحروري (بمعنى: حر عتيق متمرد انفصالي انشقاقي)، لكونه حرًا عتيقًا، متمردًا، انفصاليًا، أو انشقاقيًا، فقد تحرر ونزع يده من طاعة وسلطة سلاطينهم.[224]

إذن، بخروجهم من الكوفة وتحررهم، أصبح أهل النهروان كأنهم من الأعراب أو ممن يتواجدون خارج مناطق نفوذ سلطة الكوفة التي تحرروا منها. إلا أن الناس، بعد ذلك بزمن، ظنوا أن تسمية "الحروري" (الخارجي) جاءت من موضع "حروراء".

وهناك عبارة فريدة تربط اسم الحرورية بفعل حرر[225]، وهذا قد لا يدعم فكرة أن أصل كلمة الحرورية هو المكان (حروراء). فالفعل "حرر" في هذه العبارة قد يدل على أنه أصل تسمية الحرورية، وأنها مشتقة من فعل قاموا به، وهو "فعل التحرير". فهم لا يلتزمون ولا يتقيدون بما التزم وتقيد به غيرهم.

تجدر الإشارة إلى روايتين لم يسلط الرواة والباحثون عليهما الضوء الكافي. أولاهما تفيد بأن الحروري يفترض أن يخرج من قرية حروراء في زمن عليرضي الله عنه.

غير أن الرواية الثانية تذكر أن كلمة "حروري" استُخدمت في زمن الخليفة عمر رضي الله عنه عندما قال: "أحروري؟.[226]

223 وفي المثل: البريِّة حرِّية/ تكملة المعاجم العربية
224 حروري تطعن في السلطان/ أنظر عقلاء المجانين.
225 أول من حرر الحرورية/ أنظر تاريخ خليفة.
226 الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم: فطعن عمر بمخصّرة معه في عمامة الرجل، فألقاها عن رأسه، فإذا برأسه حفافين كأنهما قرنان فقال عمر: أحروري والذي نفس عمر بن الخطاب بيده؟ لو وجدّتك محلوقًا لأنحيت القمل عن رأسك.

ثم في زمن الخليفة عثمانﷺ: وقالوا حروري فسجنه الوليد وكتب بذلك إلى عثمان ﷺ.[227]

يثبت هذا بشكل قاطع أن مصطلح "الحروري" ومشتقاته كان شائع الاستخدام في تلك الأزمنة، وكما يجوز لغويًا استخدام كلمة "الحرية" للدلالة على "الأحرار"[228] فإنه يجوز أيضاً استخدام كلمة "الحرورية" (التي تعني الحرية) للدلالة على "الحروريين". وقد سُمي أهل النهروان بـ "الحرورية" نسبة إلى فعل قاموا به وهو "التّحرّر".

بناءً على ما أوضحناه بالتفصيل سابقًا، فإن بحثنا لم يكشف عن وجود قرية أو موقع يسمى "حروراء" بالقرب من الكوفة، لا في الأزمنة الغابرة ولا في عصرنا الحديث.

هذا يشير إلى أن السياقات والملابسات التي وردت فيها هذه الكلمة كانت إما مقصودة بالمعنى الذي أوضحناه، أو أن أصحاب الأهواء قاموا بوضعها. وقد تبعهم في ذلك من لم يتوصل إلى حقيقة الأمر. هذا يدعم بقوة كفة أهل النهروان، ويشير إلى أن قصصهم التي وصلتنا ربما تكون أقرب إلى ما نسجه أعداؤهم منها إلى الواقع الفعلي لما حدث لهم، خاصة وأن المؤرخين لم يعثروا على موضع اجتماعهم الأصلي.

يتضح من هذا الاضطراب في الروايات أنها صدرت عن وضاعين لم يكونوا أصلاً من العراقيين أو من سكان تلك المناطق. لقد خلطوا الحق بالباطل، وأخذ منهم بعض المؤرخين بعض المعلومات "بحسن نية أو لغايات غير محمودة"، فذكروا ما ذكروه عنهم.

بالانتقال إلى موضوعنا حول انشقاق تلك الجماعة من الكوفة وتوجههم إلى النهروان، يبدو أن الغرض من ذلك كان التوقف عن القتال والنجاة من الفتن والحروب العبثية التي كانت تقودها ميليشيات الكوفة، ولذلك خرجوا وابتعدوا مسيرة يومين عنها في أرض محايدة بعيدة الا وهي "النهروان" ولو كانت لديهم نية أخرى، لتوجهوا للانضمام إلى معاوية ﷺ وجيشه، وهو أقرب إليهم من النهروان. أو كان بإمكانهم الذهاب إلى المدينة المنورة معقل الحزب العثماني آنذاك أو البصرة التي فيها متعاطفين معهم، حيث كانت لديهم حرية التصرف في ذلك. ولكنهم لتجنب الاتهام بالالتحاق بمواضع الشبهات أو الخيانات من وجهة نظر "سلطة الكوفة""، آثروا الابتعاد عن مسرح تلك الأحداث برمتها.

227 المحن – أبو العرب المتوفى: 333هـ: أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة فجعل يدخل في بقرة ثم يخرج منها فرآه جندب فذهب إلى بيته فالتف على سيفه ثم جاء فلما دخل الساحر جوف البقرة ضربها وقال} أفتأتون السحر وأنتم تبصرون (فانذعر الناس وتفرقوا وقالوا حروري فسجنه الوليد وكتب بذلك إلى عثمان بن عفان)

228 المغرب في ترتيب المعرب: يقال لجماعة الأحرار حرية/ أما صاحب تاج العروس فيذهب إلى أن: الحرية من العرب أشرافهم.

مناظرة ابن عباس لهم

ما إن تُذكر "أهل النهروان" في العديد من المصادر، حتى تُذكر معها جزئية مهمة، ألا وهي مناظرة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه. هذه المناظرة، التي حاججهم فيها، تبرز جانبًا مهمًا من الصراعات الفكرية والسياسية والعقائدية، والتي يُعزى أنها جرت بعد خروجهم من الكوفة.
لم تكن تلك المناظرة مجرد حوار عابر، بل سعى واضع الرواية من خلالها إلى البرهنة على أن ابن عباس رضي الله عنه أراد إقامة الحجة والبرهان لإعادة توجيههم إلى الصواب، وتقديم صورة واضحة عن أدلته. وسنوردها هنا كما جاءت عن بعض المصادر:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار - على حدتهم - وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب وأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- معه،[229]

قال: جعل يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتى يخرجوا فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين: أبرد عن الصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله تعالى، وكنت حسن الخلق لا أوذي أحدًا. قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلًا جهيرًا. قال: ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة.

قال: فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، وجوههم معلمة من آثار السجود، عليهم قمص مرحضة، وجوههم مسهمة من السهر.

قال: فدخلت. فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس! ما جاء بك؟ وما هذه الحلة ...!؟

قال: قلت ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْق))
قالوا: فما جاء بك ...؟

قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن عند صهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد،

229 هذا تضليل حتى يقال إن الصحابة كانوا مع علي إذن علي على حق لأن الصحابة كانوا معه، والحقيقة أن بعض القلة القليلة كانت معه على أبعد احتمال.

فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشًا فإن الله تعالى يقول: ((بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ))، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم.

قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنِه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثًا.

قال: وما هنّ ..؟

قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: "إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ"، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل.

قال: قلت وماذا..؟

قالوا: وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم.

قال: قلت وماذا..؟

قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين. فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قال: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ما لا تنكرون [ينقض قولكم] أترجعون؟

قالوا: نعم.

قال: قلت أما قولكم: حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ" ، إلى قوله: "يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ"[230] . وقال في المرأة وزوجها: "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا"[231] أنشدكم الله ،أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها

[230] سورة المائدة

[231] النساء/35.

ربع درهم؟ وفي بضع امرأة. وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم.

قال: أخرجت من هذه..؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ"[232] ، فأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؛ فنظر بعضهم إلى بعض.

قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فكاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان. فقال: اكتب يا علي هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: والله إني لرسول الله حقًا وإن كذبتموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه. أخرجت من هذه...؟
قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة.[233]
ولنضع هذه الرواية تحت المجهر النقدي التاريخي، لنجد أن أول من سطرها في كتبه هو عبد الرزاق الصنعاني (ت 211 هـ). وقد قال عنه ابن حبان رحمه الله: "إذا حدث من حفظه، فعلى تشيع فيه". ويذكر عنه العجلي رحمه الله بأنه "كان يتشيع". أما ابن

---

[232] الأحزاب / 6

233 هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في (المصنف، باب ذكر رفع السلام 157/10 رقم 18678) ومن طريقه – بنفس اللفظ تقريبًا –أخرجه أبو نعيم في (الحلية 318/1)، وأخرجه البيهقي في(السنن الكبرى 179/8)، وابن عبد البر القرطبي في (جامع بيان العلم وفضله 2 / 103 طبعة المنيرية)، ويعقوب بن سفيان البسوي في (المعرفة والتاريخ 522/1)، والحاكم في (المستدرك 150/2–152)، وأخرج بعضه الإمام أحمد في(المسند 5/1،67/342 رقم 3187، طبعة شاكر) كلهم أخرجوه من طريق عكرمة بن عمار ثنا أبو زميل الحنفي ثنا ابن عباس به، ولكل منهم لفظ مختلف وزيادات أثبتنا منها ما كان فيه زيادة معنى.
وهذا الأثر نسبه الهيثمي في (مجمع الزوائد) إلى الطبراني وأحمد في المسند، وقال: رجالهما رجال الصحيح، وأشار إليه الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية 7 / 282)، وابن الأثير في (الكامل) وابن العماد الحنبلي في (الشذرات)، وذكر غيرهم سياقات أخر لهذه القصة ولكنها عن غير ابن عباس من غير هذا الطريق، وإنما مقصودنا رواية ابن عباس فقط.. وقال أحمد شاكر في تعليقه على (المسند 5 / 7 6 رقم 3187): إسناده صحيح. اهـ

عدي رحمه الله، فقد قال عنه: "كتبوا عنه، ولم يروا بحديثه بأسًا، إلا أنهم نسبوه إلى التشيع".

وهنا نستدرك من هذه البداية أمرين جوهريين: الأول هو أن الزمن الذي يفصل بين ما سطره الصنعاني وهذه الحادثة حوالي قرنين من الزمن، ولم يروها غيره قبله، أو بالأحرى لم يصلنا أنه سطَّرها في كتاب غيره. ولك أن تتصور أن رجلًا ما في الوقت الحاضر يسرد حادثة بتفاصيلها وآياتها وبيناتها حدثت قبل 200 عام. فكم من الخطأ والدس قد يكون فيها؟

والأمر الثاني الذي نلاحظه - وهنا يكمن الخطر - هو أن الذين أعادوا تدويرها في القرن الرابع هما: النسائي وتلميذه الطبراني. أما النسائي، فقد ذكر عنه جماعة من أهل العلم بأنه كان يميل إلى التشيع، وإلى هذا القول ذهب ابن خلكان وابن تيمية والذهبي. حيث يذكر الأخير عنه في سير أعلام النبلاء "تشيع، إلا أنه قليل" ا.هـ. وهنا لا بد من الإشارة إلى وقائع مخالفة أهل الشام له ونفورهم من النسائي؛ بسبب ذلك الميل وتأليفه كتابًا في فضائل علي رضي الله عنه وطعنه بمعاوية رضي الله عنه. أما الطبراني، فإنه بحكم مصاحبته له ولأصحاب الصنعاني، كان قد أخذ وكتب عنهم هذه الواقعة.

ومن أهم الدروس المستفادة هنا أننا نشاهد بكل وضوح كيف بدأ الصنعاني بسرد هذه الحادثة، لتتدحرج ككرة الثلج الصغيرة من أعلى القمة. ونكتشف بمرور الأزمنة أنها أثناء انحدارها، وبمساعدة من زادها انحدارًا، أصبحت في نهاية المطاف كرة عظيمة استقرت في وادي المشهورات. والأدهى من ذلك أن بعض المؤرخين الذين يُقال فيهم أنهم من أهل السنة أسهموا، بتعمد أو بدون قصد، في استقرارها، حتى وصلنا إلى القرن الخامس لنجد أن هذه الحادثة تُروى على يد البيهقي وابن عبد البر والحاكم، وزاد عليهم الأصبهاني الذي هو تلميذ الطبراني.

فهل رأيتم كيف ابتدأ الأمر بصبغة شيعية، وبمرور الأزمنة انتقل إلى بعض متصدري السنة الذين كان فيهم ما فيهم من التأثرات الشيعية، ثم في غفلة من الزمن انتقل للمحققين من أهل السنة حتى أصبحنا نأخذ بتلك الروايات على محمل الصحة؟ وإذا ما حاجج الشيعة أي سني، جاؤوا بكتب قومنا وأشاروا إلى أنها موجودة في مصادرنا.
وهذا الأمر لا ينطبق على موضوعنا فحسب، بل يتعدى إلى جل الحوادث والوقائع التاريخية المروية التي أصلها أقلام شيعية، وتم نقلها بالتدرج ووضعها في الكتب السنية عبر المراحل التي ذكرناها أنفًا.

وموضوعنا هذا هو خير مثال وشاهد على ما ذكرنا، خاصة وأننا نجد أنه في القرن السادس تلقف هذه الحادثة ابن عساكر وابن الجوزي، فكرراها على مسامعنا، وتبعهم بعد ذلك ابن تيمية وابن القيم والذهبي وغيرهم، لنجد أنفسنا أمام رواية أصبحت من

المسلمات، بالرغم من أنها بدأت بما يمكن اعتباره كذبة الصنعاني الأسطورية التي تجنبت ذكرها الصحاح والمسانيد المعتمدة. ونرى اليوم مع الأسف العديد من المنابر المحسوبة على أهل السنة ودعاتها مثل سعيد الكملي وسليمان الرحيلي وغيرهم يعيدون تكرار تلك الواقعة، وهم يقتفون بذلك أثر القصاصين.

ولنعد إلى علل متن هذه الرواية، فنجد أنه جاء فيها: "قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلًا جهيرًا. قال: قلت: ما تعيبون عليَّ؟ لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)[234]."

هنا يطرح تساؤل حول مناسبة ذلك؟ وما وجه الاستشهاد به؟ ونحن نعلم أن الزهد ولبس ما تيسر من اللباس ممدوح أكثر مما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنه.

وجاء فيها أيضًا: "عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وختنِه "أي زوج ابنته"."

نلاحظ هنا كثرة تكرار صلة قرابة علي رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكأن واضع هذه الرواية يريد غلبة صلة الرحم على صلة الدين. ومن هذه الإشارات نستدل على سمة التشيع الواضحة من خلال ما ذهب إليه ذلك الواضع.

وورد فيها: "وأول من آمن به".

وهذه سقطة أخرى من السقطات، حيث إن أول من آمن به من الرجال هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وجاء فيها: "وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه".
وهذا تضليل آخر، فكما هو معلوم أنه لم يكن مع علي رضي الله عنه أصحاب للنبي صلى الله عليه وسلم أكثر عددًا من أصحاب الجمل وأصحاب معاوية رضي الله عنه، بل الأرجح أن عدد الصحابة في صفوف أهل النهروان كان أكبر مما كان مع علي رضي الله عنه.

وورد في الرواية أيضًا: "عليهم نزل الوحي، وليس فيكم منهم أحد".

---

[234] الآية رقم 32 من سورة الأعراف

في الواقع، لم ينزل الوحي عليهم، بل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كان مع أهل النهروان، كما ذكرنا، العديد من الصحابة وقادتهم وقرائهم، ومنهم: عبد الله بن وهب الراسبي، وعمير بن الحارث السلمي الأنصاري، وهرم بن عمرو الأنصاري، والخِرّيت بن راشد السامي الناجي، وزيد بن حصن (أو حصين) الطائي، وشجرة بن أوفى السلمي، وفروة بن نوفل الأشجعي وغيرهم. وهذا يخالف تمامًا ما نُسب لابن عباس من أنه قال: "وليس فيكم منهم أحد".

وجاء فيها أيضًا: "أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)، فما شأن الرجال والحكم".

وهنا نرد بأنه لو كان ما ذهبوا إليه فيما ادعوا عليهم صحيحًا، لما ولّوا عليهم قادة وقراء يرشدونهم. فهم بهذا نقضوا مبدأهم في عدم تحكيم الرجال بتقليدهم لقادتهم.

وجاء في تلك الرواية: "وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم". قال ابن عباس رضي الله عنه: "وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم. وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم".

وهنا تكمن الطامة الكبرى؛ فقد جعل واضع هذه الرواية السبي والغنيمة مقدمين على القتال، مع أن المنطق والشرع والعقل يقول: إن القتال أعظم شأنًا مما ذُكر، وكل ما ذكروه دونه ويبطله. وكما هو معلوم، فإن الخوض في الدماء له ما له من العواقب الوخيمة والمحرمات العظيمة التي يهون تحتها السبي والغنيمة.

وورد فيها أنهم قالوا: "محا نفسه من أمير المؤمنين. فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين."انظروا كيف يصورونهم على أنهم متشددون، فلا يأخذون الأمور بأوسطها وألطفها، فالخيار عندهم إما الكفر وإما الإيمان...! وكان يمكن أن يكون علي رضي الله عنه رجلًا من عامة المسلمين أو كبرائهم دون ذكر "أمير الكافرين".

ـ وأخيرًا ذكر فيها أنه رجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلال.

تُعدّ مسألة الأعداد التي رجعت من الخوارج بعد مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما من النقاط التي تتسم بتضارب كبير في الروايات التاريخية، مما يثير الشكوك حول دقة بعض هذه التقديرات ويشير إلى احتمال الوضع والكذب فيها، هذا التباين يعكس بدوره عدم وجود إحصاء دقيق وموثوق به منذ البداية، وتأثر الرواة بدوافع مختلفة.

دعونا هنا نفصّل هذه الروايات مع ذكر مصادرها:

ـ الروايات التي تذكر أعدادًا كبيرة (عشرون ألفًا فما فوق):

تُعتبر هذه الأرقام هي الأعلى، وغالبًا ما تُساق في سياق تضخيم تأثير مناظرة ابن عباس ونجاحه الكبير في إقناع الخوارج بالعودة. يذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" أن ابن عباس قال: "فخرجت منهم ثمانية آلاف، ورجع منهم عشرون ألفًا". ولكن هذا النص تحديدًا يختلف عما هو شائع بأن العشرين ألفًا هم من رجع. الرواية الشائعة هي أن ابن عباس قال: "فرجعت منهم ألفان، وخرج الباقون فقتلوا"، أو "فخرج منهم أربعة آلاف وقتلوا، ورجع منهم ألفان"[235].

ومن الملاحظ القول بأن عشرين ألفًا رجعوا منهم هو عدد مبالغ فيه للغاية إذا ما قورن بأقصى تقديرات عددهم الإجمالي قبل مصرعهم (التي تتراوح بين ألف ونيف إلى 12 ألفًا كحد أقصى للتقديرات الأكثر شيوعًا). هذا التناقض يلفت الانتباه إلى إمكانية وجود المغالاة.

ـ الروايات التي تذكر أرقام تقريبية متوسطة (بضعة عشر ألفًا):

يذكر ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" عند شرحه لحديث الخوارج، أن بعض الروايات قدّرت عددهم (الذين خرجوا أصلاً أو الذين رجعوا) بـ "بضعة عشر ألفًا"، وقد يستند هذا إلى بعض الأقوال العامة غير المحددة بدقة في المصادر المبكرة.

ـ الروايات التي تذكر أعدادًا أقل (ألفان أو أقل):

و هذه هي الرواية الأكثر شيوعًا وتكرارًا كما ذكرها عبد الرزاق الصنعاني والنسائي والطبراني بالإضافة إلى أبن سعد.
ومع أن هذا العدد يتناسب بشكل أفضل مع تقديرات من بقي من الخوارج ، لكنه لا يزال يخضع للنقد في سياق التحليل التاريخي.

[235] أنظر مصنف عبد الرزاق الصنعاني، وسنن النسائي، والطبراني، ومسند أحمد بن حنبل.

ـ أرقام أخرى أقل:
بعض الروايات لا تحدد عددًا معينًا للراجعين، بل تكتفي بالقول إن "جماعة" أو "كثيرًا منهم" رجعوا.

إن هذا التباين الشاسع في أعداد الراجعين، من ألفين إلى عشرين ألفًا، هو مؤشر قوي على غياب الدقة التاريخية والوضع في الروايات. والأسباب المحتملة لذلك تشمل:

ـ المبالغة في الفضل: قد يكون الرواة، أو من وضع الرواية، بالغوا في عدد الراجعين لتعظيم شأن مناظرة ابن عباس وإبراز قوة حجته وتأثيرها الكبير على الخوارج. وهذا شائع في الروايات التي تهدف إلى إبراز فضائل معينة أو انتصار فكري.

ـ النقل بالمعنى والتقدير: في غياب أرقام دقيقة، والرواة قدّروا العدد بناءً على انطباعات أو توقعات، وليس على إحصاء حقيقي.

ـ الدوافع المذهبية: هناك دوافع لدى بعض الرواة (خاصة من يُعرف عنهم الميل للتشيع) لتقديم رواية معينة تخدم غرضًا عقائديًا أو سياسيًا، مثل تضخيم عدد الراجعين لإظهار قدرة علي بن أبي طالب أو أهل بيته (ممثلاً بابن عباس) على التأثير.

ـ التداخل بين الأعداد الكلية والراجعة: قد يحدث خلط بين العدد الكلي للخوارج قبل المناظرة، أو عدد من خرجوا للحرب، وعدد من رجعوا بالفعل.

إن حقيقة أن الصحاح والمساند المعتمدة (مثل الصحيحين) لم تذكر هذه الرواية بتفاصيلها أو بأرقام ثابتة تدعم هذا التضارب، يعزز من فكرة أن الرواية، خاصة بأرقامها المبالغ فيها، دخلها الوضع والتدليس في مراحل متأخرة من التدوين، وانتشرت عبر قصاصين أو رواة اهتموا بالسرد أكثر من التدقيق.

عدد أهل النـهروان

نستكمل هنا جانبًا آخر من التساؤلات المتعلقة بحادثة النهروان، وتحديدًا ما يخص عدد من وُصفوا بـ"الخوارج". إن محاولة تحديد العدد الفعلي لهذه الفئة من أصعب المهمات التاريخية، فبمجرد البحث في المصادر المختلفة، تتكشف شبكة معقدة من التناقضات والتضارب في الأرقام التي أوردها المتقدمون، والتي اعتمد عليها المتأخرون بدورهم.

من الملاحظ عند محاولة استعراض أي حادثة تاريخية، خاصة تلك التي سعى البعض لتشويه مقصدها أو تصويرها بصورة معينة، أن الأدلة غالبًا ما تكون مبتورة أو مشوهة. من أهم أركان أي قصة تاريخية هو عدد المشاركين فيها، ناهيك عن الأدلة الأخرى مثل قادتها، أماكنها، وتطابق روايات شهودها.

وبعد أن ذكرنا في المبحث السابق عدد المفترضين الذين رجعوا من "أهل النهروان" بعد مناظرة ابن عباس، وبينا زيف تلك الرواية، نأتي هنا لنسلط الضوء على ما يهمنا في المجمل، وهو العدد الفعلي لأهل النهروان الذين لُقبوا بـ"الخوارج". فبمجرد البحث عن حقيقة عددهم وعتادهم، نجد تناقضًا وتشتتًا واضحًا أيضًا في الروايات. بل يصل الأمر إلى حد التخيل بأن كل راوٍ قد نسج عددًا خاصًا به من خياله، مما لا يدع مجالًا للشك أن هذا العدد لم يُحصَ بدقة. فإذا كان هذا حال من شهد الحادثة أو نقلها في عصر قريب منها، فكيف بمن يرويها بعد قرون، لا سيما إن كان يعتمد على روايات كذابين أو وضاعين أو أولئك الذين يروون بالمعنى لا اللفظ.

أقوال المتقدمين في عدد أهل النهروان ومصادرها:
تباينت أقوال المتقدمين حول عدد الخوارج في النهروان بشكل كبير، مما يعكس عدم وجود إحصاء دقيق أو موثوق به منذ البداية. يمكن رصد هذه الأقوال من خلال عدد من المصادر التاريخية:
في البداية نشير إلى كتاب "غريب القرآن في شعر العرب" المنسوب لعبد الله بن عباس ﵄، الذي يفترض أنه سبق هؤلاء، حيث يذكر أن عشرين ألفًا منهم انسحبوا عائدين إلى علي بن أبي طالب ﵁،

ـ ابن جرير الطبري (ت 310 هـ):
في تاريخه "تاريخ الرسل والملوك"، يذكر الطبري عدة روايات حول أعداد الخوارج. ففي رواية عن أبي مخنف، ذكر أن عدد الذين قتلوا في النهروان كان أربعة آلاف، وأنه لم ينجُ منهم إلا نحو عشرة (أو ثمانية). وفي موضع آخر، يذكر رواية مفادها أن عددهم كان ستة آلاف. هذه الأرقام المتضاربة داخل نفس المصدر تشير إلى عدم اليقين.

ـ الإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ):
في "المسند"، أورد الإمام أحمد حديثًا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال فيه: "قال: قتل من الخوارج يوم النهروان أربعة آلاف." هذا يشير إلى رواية شائعة في عصره.

ـ ابن سعد (ت 230 هـ):
في "الطبقات الكبرى"، يذكر ابن سعد أن عددهم كان أربعة آلاف. وقد يكون هذا العدد هو الأكثر شيوعًا في الروايات المبكرة.

ـ الواقدي (ت 207 هـ):
رغم أن روايات الواقدي محل نقد عند بعض المحدثين، إلا أنه يُذكر في بعض السياقات التاريخية. يُروى عنه أن عددهم كان ثمانية آلاف.[236]

ـ المسعودي (ت 346 هـ):
في "مروج الذهب"، يذكر المسعودي أرقامًا متفاوتة أيضًا، ما بين أربعة آلاف إلى ثمانية آلاف، بل ويشير إلى روايات تبالغ في العدد.

ـ ابن كثير (ت 774 هـ):
في "البداية والنهاية"، يستعرض ابن كثير عدة روايات عن عدد الخوارج، فيذكر أنهم كانوا اثني عشر ألفًا عند خروجهم، ثم تناقصوا. ويذكر كذلك رواية أربعة آلاف الذين قُتلوا.

[236] ابن الأثير في "الكامل في التاريخ" نقلاً عن الواقدي، ولكن من الصعب تتبع ذلك في مصادر الواقدي المباشرة المتوفرة.

استمداد المتأخرين من أقوال المتقدمين: تحليل التكرار والتضارب:

من المثير للانتباه أن بعض المتصدرين من أهل السنة[237] يروون أن هذه الاعداد وغيرها من الجزئيات التاريخية لهذه الواقعة من خلال ما تم تقريره من قبل رواة ومؤرخي الشيعة أو تأثرًا منهم ببعض سردياتهم. ثم يتولون تسطير ذلك في كتبهم أو مقالاتهم أو أقوالهم وكأنهم يكملون مهمة من أشرنا لهم،

واستكمالاً لأقوال المتقدمين الذين أشرنا لهم نأتي إلى ما ذكره المتأخرين لنجد أن العديد منهم يعتمدون على هذه الروايات المتضاربة الانفة الذكر ويفتون ويفتنون بها دون تمحيص، بل ويكررون تلك الأرقام المختلفة من مشارب متفرقة، ومن أولئك نجد أن:

علي جمعة (مفتي مصر السابق):
يقول إن عددهم نحو ستة آلاف. هذا الرقم يمكن تتبعه إلى بعض روايات الطبري والمتقدمين. علي جمعة، وغيره من المعاصرين، يستمدون هذه الأرقام من المصادر التاريخية الكبرى التي ذكرناها، والتي بدورها تضمنت هذه التناقضات. هو يختار رقمًا من بين الأرقام المتداولة.

علي الصلابي (الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين):
يذهب الصلابي إلى أن عددهم كان أربعة آلاف، ولم يَبْقَ منهم من قاتل سوى ألف واحد. هذا الرقم (أربعة آلاف) يتفق مع روايات الإمام أحمد وابن سعد وبعض روايات الطبري والمسعودي، والتي يبدو أنها الأكثر شيوعًا في النقل. أما الجزء المتعلق بمن بقي منهم (ألف واحد)، فهو تفصيل موجود في بعض الروايات التاريخية التي تصف سير المعركة وعدد القتلى والناجين.

راغب السرجاني (مؤرخ وباحث إسلامي):
بعد أن يسرد ما يسرد عنهم، نراه يضل في الروايات المضطربة حول عددهم، فيذكر أن بعض الروايات قدرتهم ببضعة عشر ألفًا، بينما حددتهم رواية أخرى باثني عشر ألفًا، وثالثة بثمانية آلاف، ورابعة بأربعة عشر ألفًا. هذا التعدد في الأرقام التي يوردها السرجاني يعكس بصدق حالة التضارب الموجودة في المصادر الأصلية التي يعتمد عليها. هو في الواقع يجمع بين الروايات المختلفة التي وردت عن المتقدمين دون ترجيح حاسم، مما يؤكد أن القضية كانت مبهمة في الأساس.

---

[237] ولا نقول علماءهم لأن العلماء ما كانوا لينطقوا إلا بعد التثبت والتحقيق.

تُظهر مراجعة أقوال المتقدمين والمتأخرين حول عدد "أهل النهروان" الذين يسمونهم بالخوارج تباينًا واسعًا وتضاربًا في الأرقام. هذا التضارب ليس وليد العصر الحديث، بل هو متأصل في الروايات التاريخية المبكرة نفسها. الأرقام تتراوح من بضعة آلاف (أربعة أو ستة آلاف) إلى ثمانية آلاف، وحتى بضعة عشر ألفًا (اثني عشر أو أربعة عشر ألفًا).

يُعزى هذا التباين إلى عدة أسباب أهمها:

ـ غياب الإحصاء الدقيق: لم تكن هناك آليات دقيقة لإحصاء الأعداد في تلك الحقبة.
ـ الرواية بالمعنى: قد تكون بعض الأرقام تقريبية أو ناتجة عن الرواية بالمعنى، حيث يذكر الراوي رقمًا يعتقد أنه قريب من الواقع.
ـ الدوافع السياسية أو المذهبية: قد يكون هناك دافع لتقليل أو تضخيم العدد لأغراض معينة في سياق الصراع.

الخلط بين أعداد من خرجوا أولًا ومن قاتل فعلًا: قد تكون بعض الأرقام تشير إلى العدد الكلي لمن انضم إليهم في بداية الأمر، بينما تشير أرقام أخرى إلى من بقي منهم إلى مصرعهم.

ختامًا، لا توجد إحصائيات ثابتة أو مقاربة لبعضها، بل هناك تباين شاسع في الأرقام التي ذُكرت، يبتدئ من ألف ونيف وينتهي إلى ما فوق العشرين ألفًا. هذه الفجوة الهائلة في التقديرات تثير تساؤلات جدية حول الأعداد الحقيقية التي شاركت في هذه الواقعة التاريخية المحورية. إن الاعتماد على هذه الروايات المتضاربة دون نقد وتمحيص يجعل الوصول إلى حقيقة ثابتة أمرًا عسيرًا للغاية، ويؤكد على ضرورة التعامل بحذر شديد مع الأرقام التاريخية غير المدعومة بأدلة قاطعة. هذا التضارب ليس مجرد تفصيل هامشي، بل هو انعكاس لغياب التوثيق الدقيق وتأثير العوامل المختلفة كالرواية بالمعنى أو الدوافع غير العلمية. لذا، يظل العدد الفعلي لأهل النهروان لغزًا تاريخيًا يستدعي مزيدًا من البحث والتدقيق النقدي.

قادة أهل النهروان

في سياق استكمال مبحثنا حول جماعة "أهل النهروان"، نسلط الضوء في هذا الجزء على أبرز القادة الذين ارتبطت أسماؤهم بهذه الحركة التاريخية. وإدراكًا للتصنيفات المتعددة التي أُطلقت عليهم، ومنها لقب "الخوارج" الذي حظي بجدل واسع حول دلالاته، فإننا نلتزم في هذه الدراسة بمنهجية أكاديمية قائمة على عرض الروايات التاريخية الواردة عن المؤرخين الأوائل. يهدف هذا العرض إلى تقديم تحليل موضوعي للشخصيات القيادية التي ورد ذكرها في سياق أحداث النهروان، مع الإشارة إلى كيفية دمج رواياتهم ضمن السرديات التاريخية الأوسع. وعلى هذا الأساس، سنقوم بذكر أبرز هؤلاء القادة وتحليل ما ورد عنهم، وهم تحديدًا:

ـ عبد الله بن وهب الراسبي
ـ حرقوص بن زهير السعدي

عبد الله بن وهب الراسبي

هو عبد الله بن وهب الراسبي. لو تتبعنا التسلسل الزمني لذكر هذا الرجل، سنجد أن اسمه ظهر للمرة الأولى في المدونات التاريخية في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ[238] في ثلاث مواضع: أهمها أنه ذكر أن الخوارج عقدوا للراسبي الرئاسة فقال: "وما أنا و الرأي الفطير، والكلام القضيب" ثم أورد في موضعين آخرين بعض حكمه حيث قال: "ازدحام الجواب مضلة للصواب، وليس الرأي بالارتحال، ولا الحزم بالاقتضاب، فلا تدعونك السلامة من خطأ موبق، أو غنيمة نلتها من صواب نادر، إلى معاودته، والتماس الأرباح من قبله إن الرأي ليس بنهبى، وخمير الرأي خير من فطيره. ورب شيء غابّه خير من طريه، وتأخيره خير من تقديمه".

ثم لو تتبعنا بقية ما ذكره المؤرخون عنه لوجدنا أن:

ـ الطبري (ت 310هـ): يذكره في كتاب "تاريخ الرسل والملوك" وذلك في سياق الحديث عن أخبار بعض المعارك التي خاضها المسلمون في بلاد فارس. يذكر أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أرسل، في عام 16 من الهجرة، بالمدد لقائد الجيوش الإسلامية على الجبهة الفارسية، سعد بن أبي وقاص، وذلك قُبيل فتحه لمدينة ماسباذان،

238 أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ بْنِ مَحْبُوب بْنِ فَزَارَةَ اللّيْثِيٌّ الكنَانيٌّ البَصْرِيٌّ المعروفُ بالجَاحِظِ (159–255 هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العَباسي، وَلدَ في البصرةَ وتوفي فَيها.

وأن عمرًا أمر سعدًا بأن يعيّن عبد الله بن وهب الراسبي على قيادة أحد أجنحة الجيش أثناء المعركة.

ـ المطهر بن طاهر المقدسي (ت 355هـ): يذكره في كتابه "البدء والتاريخ" ومن أشهرها أنهم كانوا يعترضون المسافرين ويسألونهم عن رأيهم فيما وقع من فتن، فلما مر عليهم والي المدائن عبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته، وفهموا من كلامه أنه يخطئهم في الخروج على علي بن أبي طالب "قتلوه وبقروا بطن امرأته" كل ذلك أجبر الخليفة الرابع على قتال الخوارج، لتقع معركة النهروان في 38هـ، وهي المعركة التي شهدت مقتل عبد الله بن وهب الراسبي.

ـ ابن حزم (ت 456هـ): يصرح في كتابه "جمهرة أنساب العرب" بأن عبد الله بن وهب الراسبي هو "أول مَن قدم الخوارج على أنفسهم يوم النهروان وسموه بالخلافة، وكان من خيار التابعين، فقتل يومئذ"، كما أنه يعود مرة أخرى للحديث عن المسألة بشكل أكثر وضوحًا في كتابه المشهور "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، فيقول: "لم يقع اختيارهم (أي الخوارج) إلا على عبد الله بن وهب الراسبي، أعرابي بوال على عقبيه، لا سابقة له ولا صحبة ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط، فمَن أضلّ ممّن هذه سيرته واختياره".

ـ ابن الأثير (ت. 630هـ): يذكر في كتابه "الكامل في التاريخ"، نص الخطبة التي ألقاها الراسبي على الخوارج في منزله، بعد أن يسرد موقفهم المعارض لعلي ابن أبي طالب فيقول إن ابن وهب خطب فيهم "فزهدهم في الدنيا وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة"، وإنهم بعد أن فارقوا معسكر العراق تباحثوا في أمر الزعامة والرياسة فعرضوا الخلافة على كل من زيد بن حصين الطائي وحرقوص بن زهير، فلما رفضا، عرضوا الأمر على عبد الله بن وهب الراسبي، فقبل، وقال: "هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقًا من الموت".

ـ شمس الدين الذهبي (ت. 748هـ): ينوه في كتابه "ميزان الاعتدال" أن عبد الله بن وهب قد أدرك الجاهلية.

ـ ابن كثير (ت. 774هـ): يذكر في كتابه "البداية والنهاية" قائلًا: "وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود، وكان يقال له: ذو البينات".

ـ ابن حجر العسقلاني (ت. 852هـ): يؤكد في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلاني، والذي جاء فيه: أن لعبد الله إدراك، ما قد يشير إلى أنه قابل النبي أو أنه أسلم في حياته.

عودةً لمبحثنا عن عبد الله بن وهب الراسبي، واستخلاصًا لما وجدناه من أقوال المؤرخين والكتاب عنه في التقرير السابق، نجد أن أقدم هذه المصادر هو الجاحظ الذي دوَّن ما كتب بعد حوالي قرنين من وقوع الأحداث. إن تباعد الفترة الزمنية بين الحدث وتدوينه يثير تساؤلات حول دقة النقل، وما قد يطرأ على الروايات من تغيرات وملابسات أو إضافات ليست منها. ونحن نلاحظ اليوم أن الأخبار الحادثة يختلف عليها شهودها ورواتها وحتى القنوات الإخبارية الناقلة لها، فكيف الحال بعد انصراف السنين الطوال عن مثل هذه الشخصيات وهذه الوقائع...؟

وقد ركن الجاحظ في سرده لمن اعتبرهم "خوارج" وعقدوا للراسبي الزعامة، ولكنه لم يحدد ما إذا كان يقصد بـ"الخوارج" حمراء الكوفة أم أهل النهروان. في الوقت الذي يورد فيه حِكَمًا وأقوالًا مأثورة عن الرجل. ثم نجد الطبري، وكما ذكرنا سابقًا، يذكر في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" رواية تستدعي التوقف عندها، وذلك في سياق الحديث عن أخبار بعض المعارك التي خاضها المسلمون في بلاد فارس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل في عام 16 للهجرة بالإمدادات لقائد الجيوش الإسلامية على الجبهة الفارسية، سعد بن أبي وقاص، وذلك قبيل فتحه لمدينة "ماسْبذان"، وأن عمرًا أمر سعدًا بأن يعيّن عبد الله بن وهب الراسبي على قيادة أحد أجنحة الجيش أثناء المعركة.[239] أهـ

ولا بد لنا هنا من وقفة. لماذا تستمر الكتابات التي وصفت بالشعوبية في النيل من سيرة القادة الذين استعان بهم عمر رضي الله عنه، وخاصة من كان لهم دور في فتح العراق وفارس؟ ومنهم الراسبي وحرقوص بن زهير السعدي وزياد بن عبيد الثقفي وغيرهم.

ولا نعرف ما الذي دعا ابن حزم الظاهري، وهو من الفقهاء المرموقين، لأن يصب جام غضبه في كتابه "جمهرة أنساب العرب" بعد أربعة قرون على وفاة الراسبي. فقد بدأ بإسقاط حصانة الصحبة عنه، حتى لو جعله من خيار التابعين، ثم يناقض قوله السابق ويورد في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" قائلًا: "لم يقع اختيارهم إلا على عبد الله بن وهب الراسبي، أعرابيًا بوالًا على عقبيه، لا سابقة له ولا صحبة ولا فقه، ولا شهد الله له بخير قط، فمن أضل ممن هذه سيرته واختياره"....!؟

239 من المعروف عن عمر بن. الخطاب رضي الله عنه أنه كان لا يعين في مثل هذه المناصب وما فوقها إلا الصحابة.

ونعود لموضوعنا، فنجد ابن الأثير (ت. 630هـ) يذكر في كتابه "الكامل في التاريخ" نص الخطبة التي ألقاها الراسبي على من معه، بعد أن يسرد موقفهم المعارض لعلي بن أبي طالب. فيقول إن ابن وهب خطب فيهم: "فزهدهم في الدنيا وأمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كِوَر الجبال أو إلى بعض هذه المدائن مُنكرين لهذه البدع المضلة". وإنهم بعد أن فارقوا معسكر العراق تباحثوا في أمر الزعامة والرياسة، فعرضوا الخلافة على كل من زيد بن حصين الطائي وحرقوص بن زهير، فلما رفضا، عرضوا الأمر على عبد الله بن وهب الراسبي، فقبل، وقال: "هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقًا من الموت". انتهى.

إن هذه الخطبة تشير إلى أن من اتهموا بـ"الخوارج" والخروج هم في الحقيقة عباد وزهاد الكوفة الذين ارتحلوا إلى النهروان اتقاء شر الظلم والمظالم، وفتنة وحروب حمراء الكوفة. وسنورد روايات في سياقات قادمة تدل على كثرة ذكرهم لله وعبادتهم وتقواهم وورعهم، وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبي الذي يورد ابن كثير عنه في كتابه "البداية والنهاية" بأنه "قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود، وكان يقال له: ذو البينات". أهـ

وقيل إنه كان عجيبًا في كثرة العبادة حتى لُقِّب بـ"ذي الثفنات" لكثرة سجوده، وصار في يديه وركبتيه ثفنات كثفنات البعير.

وعودًا على بدء، فإن عبد الله بن وهب الراسبي قد عده من الصحابة ابن حجر العسقلاني والزركلي في الأعلام، أما الذهبي فقد أكد أنه أدرك الجاهلية.

وهنا تتضح الصورة بأن هذا القائد عبد الله بن وهب الراسبي هو صحابي فاتح عابد، كان له السبق الكبير في فتح العراق، ومن ثم كان له الأثر الواضح في الاعتكاف والنزوح من دسائس قادة ميليشيات الكوفة الذين اتضح له ولغيره مؤامراتهم على المسلمين.

وبعيدًا عن غلو الإباضية، فقد أصابته الأقلام التزويرية و"الشعوبية"، لأغراض قد ذكرناها وسنذكر بعضها لاحقًا، وتم تشويه صورته على يد من كان سببًا في استشهاده. وكان الراسبي قد قضى نحبه يوم النهروان، وذكر البلاذري ذلك قائلًا: "واختصم هانئ بن خطاب وزيد بن خصفة التميمي في قتل عبد الله بن وهب الراسبي، فادّعى كل واحد منهما قتله"[240]

240 كتاب أنساب الأشراف – البلاذري

حرقوص بن زهير السعدي

عندما شرعنا في تتبع الأثر الأول لزعيم من القادة الذين ارتبط اسمهم بقيادة "أهل النهروان"، وجدنا أنفسنا أمام شبكة معقدة من الروايات المتضاربة والأسماء المتناثرة. كان من بين هذه الشخصيات المحورية التي أشارت إليها الأحاديث والسرديات التاريخية، اسم "حرقوص بن زهير السعدي". لم يقتصر الأمر على مجرد الإشارة، بل امتد ليشمل نعت هذا الرجل بألقاب متعددة ومتباينة: فتارة يوصف بـ "ذو الخويصرة"، وتارة أخرى بـ "ذو الثدية"، وأحيانًا يشار إليه بـ "المخدج". لم تتوقف التعقيدات عند هذا الحد، بل تجاوزت ذلك إلى خلط واضح بينه وبين شخصيات أخرى مثل حرقوص العنبري أو البجلي أو العرني، وغيرها من الألقاب التي أُلصقت به، أو أشارت إليه بشكل غامض، أو حتى جافته تمامًا. بعض الروايات ذهبت أبعد من ذلك، مزاعمة أنه ينحدر من نسل هؤلاء أو من جنس من ذكرنا، مما يزيد من تعقيد الصورة. إن أول ما سنبدأ به في هذا المبحث المهم هو تبيان الملابسات والتعليقات التي نجمت عن الأحاديث الثلاثة التي وردت بشأنه. [241] التي كانت تدور حول موضوعنا. وحتى نفرق بينها، عنونَّاها بهذه العناوين:

ـ حديث " اتق الله "
ـ حديث " أنها لقسمة ما أريد بها وجه الله "
ـ حديث "يا رسول الله، اعدل "

وقد سلطنا الضوء على الشروحات التي رافقتها، والروايات التي ألحقت بها، وسنفك خيوط غزلها المتشابكة، ونضعها تحت المجهر، حتى يتضح لكم ما نسجوه، ولتوضيح حقيقة ما قرروه، فنقول وبالله التوفيق:

حديث "اتق اللَّهِ":

روى أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ، وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ فَقَالَ: يَا

241 أوردنا هذه الأحاديث الثلاثة لورودها في أمهات الصحاح والمساند وكل ما وردت من أحاديث أخرى تخص هذا الموضوع غير هذه الأحاديث الثلاثة فهي أما تشبهها أو مشابهة لها أو أنها ملحقة بها ولذلك وحتى لا نتشعب بهذا الأمر تشعب غير محمود ينحرف عن مقصد مبحثنا آلينا أن تكون هي سنام ما نحققه ونتحقق منه.

رَسُولَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟ قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ فَقَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ[242] هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، وَأَظُنُّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ.[243]

وأعقب ابن حجر في فتح الباري على شرح هذا الحديث بقوله (أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟) وَفِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ فَقَالَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ كَمَا تَقَدَّمَ صَرِيحًا فِي عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ اسْمُهُ نافع وَرَجَّحَهُ السُّهَيْلِيُّ، وَقِيلَ اسْمُهُ حُرْقُوص بْنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِيُّ.[244]

في التعقيب على الرجل الذي قال: "يا رسول الله، اتقِ الله"

ـ ابن حجر يقول: إنه "ذو الخويصرة التميمي"
ـ ابن حجر يذهب إلى أن أبا داود يصرح بأنه "ذو الثدية"، ورجحه السهيلي.
ـ ابن حجر يصرح دون أن يجزم، بأنه قيل: إن اسمه حرقوص بن زهير السعدي[245]

وهنا نلاحظ في بداية مبحثنا، تخبطًا واضحًا في تحديد هوية هذا الرجل من ابن حجر نفسه، فما بالك ببقية آراء غيره ..؟ وتفرعات نسبته إلى فلان أو فلان. وما هذا إلا بداية القطر الذي سنراه ينهمر.

ولنكمل تعقيبنا على ما ذكرنا فنجد أنه:
ـ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ اسْمُهُ نَافِعٌ
ـ رجح السهيلي أن اسمه نافع

242 معنى: ضئضئ أي أصل الشيء وجنسه، قال النووي: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء. وقال المبرد: قوله (صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ) من ضئضئ هذا أي من جنس هذا، أهـ، رواية الكشميهني بضادين مهملتين، فأما بالضاد المعجمة فالمراد به النسل والعقب، وفي رواية سعيد بن مرزوق في أحاديث الأنبياء أنه من ضئضئ هذا أو من عقب هذا.
والسؤال الذي يطرح نفسه هو أنه كيف يمكن بهذه المدة القصيرة ما بين هذا الرجل وما بين حادثة أهل النهروان أن ينجب جيشًا كاملا يكون له وقع ما سيحدث في الحديث ...!؟ وهنا حاول أو لوى عنق هذا الحديث ابن كثير حيث ذكر: وليس المراد به أنه يخرج من صلبه ونسله، لأن الخوارج الذين ذكرنا لم يكونوا من سلالة هذا، بل ولا أعلم أحدًا منهم من نسله، وإنما المراد (من ضئضئ هذا) أي من شكله وعلى صفته فعلا وقولا ، والله أعلم" ...!؟
243 متفق عليه. وهنا إشارة لابد من المرور عليها وهي أن ثمود لم يقتل أحد ولم يدخلوا معركة حتى يشبههم النبي بقتله إياهم كقتل ثمود ...!؟ إذ من المعروف أن قوم ثمود نزلت عليهم صاعقةً من السماء، وقيل إنها صيحة، أو نارٌ من السماء، ورجفت بهم الأرض، وأهلكهم الله جميعًا.
244 كتاب فتح الباري بشرح البخاري – ط السلفية ـ ابن حجر العسقلاني
245 فتح الباري بشرح البخاري

ولو تتبعنا تأريخ هؤلاء حسب وفياتهم نجد أن:

- أبو داود (275 هـ)
- السهيلي (581 هـ)
- ابن حجر العسقلاني (852هـ)

وابن حجر العسقلاني هنا هو الوحيد الذي ينقل، على مقتضى هذا الحديث وشروحاته، أنه قيل إن الرجل الذي اعترض على النبيﷺ بقوله "اتق الله" هو حرقوص بن زهير السعدي. تصوروا أن رجلاً يأتي بعد ثمانية قرون ليحدد هذا الرجل بأنه حرقوص بن زهير السعدي، ولا أعرف بالتحديد من أين استمد هذه المعلومة. بينما لاحظنا أن أبو داود والسهيلي اللذان سبقاه وغيرهما يذهبان إلى غير هذه الشخصية.

حديث " إنَّهَا لَقِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بهَا وجْهُ اللَّهِ":

قَسَمَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قِسْمَةً كَبَعْضِ ما كانَ يَقْسِمُ، فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: واللَّهِ إنَّهَا لَقِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بهَا وجْهُ اللَّهِ،
قُلتُ: أمَّا أنَا لَأَقُولَنَّ للنبيِّ ﷺ، فأتَيْتُهُ وهو في أصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ، فَشَقَّ ذلكَ علَى النبيِّ ﷺ وتَغَيَّرَ وجْهُهُ وغَضِبَ، حتَّى ودِدْتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أخْبَرْتُهُ، ثُمَّ قالَ: قدْ أُوذِيَ مُوسَى بأَكْثَرَ مِن ذلكَ فَصَبَرَ.[246]

وأورد ابن حجر في كتابه فتح الباري: أنه حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا أَعْطَى الْأَقْرَعَ مِائَةً مِنْ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُرِيدَ بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ.

وأضاف بشرحه فقال: قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ مَنْصُورٍ: (فَقَالَ رَجُلٌ) فِي رِوَايَةِ الْأَعْمَشِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَفِي رِوَايَةِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّهُ مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَفِيهِ تَعَقُّبٌ عَلَى مُغْلَطَاي حَيْثُ قَالَ: لَمْ أَرَ أَحَدًا قَالَ: إِنَّهُ مِنَ الْأَنْصَارِ

246 حديث صحيح أخرجه البخاري

إِلَّا مَا وَقَعَ هُنَا وَجَزَمَ بِأَنَّهُ حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِيُّ، وَتَبِعَهُ ابن الْمُلَقِّنِ وَأَخْطَأَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ قِصَّةَ حُرْقُوصٍ غَيْرُ هَذِهِ كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.[247]

في التعقيب على الرجل الذي قال: "ما أُرِيدَ بهَا وجْهُ اللَّهِ":

ـ قال الأعمش: إنه رجل من الأنصار.
ـ قال السهيلي: إن الواقدي قال: هو حرقوص بن زهير السعدي، بسند...!؟[248] ثم نرى أن الواقدي يُنقَل عنه أنه قال: هو معتب بن قشير من بني عمرو بن عوف.
ـ قال مغلطاي، وتبعه ابن الملقن: "لم أر أحدًا قال إنه من الأنصار"، وجزما بأنه حرقوص بن زهير السعدي.
ـ ابن حجر: ينفي أن يكون حرقوص في هذه الحادثة.
ـ الإسفراييني: يقول إنه ذو الثدية[249]
ـ الزبيدي ينقل عن الطبري بأنه كان له صحبة، ثم يعود ليقول: إن حرقوص بن زهير السعدي هو ذو الخويصرة التميمي، وأنه رأس الخوارج وقتل يوم النهروان معهم.[250]

وبعيدًا عن التشعبات في الأسماء التي أُطلقت على هذا الرجل، وتحديدًا من ربطه بـحرقوص بن زهير السعدي الذي قال "يا رسول الله، اعدل" فلنُبرز هنا أبرز الأقوال:

ـ السهيلي قال: أن الواقدي قَالَ: هُوَ حُرْقُوصُ بن زهير السّعدي من سند ...!؟

ـ مغلطاي وتبعه ابن الملقن قالا: لَمْ أَرَ أَحَدًا قَالَ إِنَّهُ مِنَ الأنصار، وجزما بِأَنَّهُ حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِيُّ

ـ ابن حجر: ينفي أن يكون حرقوص في هذه الحادثة.

ـ الزبيدي ينقل عن الطبري بأنه كان له صحبة، ثم يعود ليقول إن حرقوص بن زهير السعدي هو ذو الخويصرة التميمي وأنه رأس الخوارج وقتل يوم النهروان معهم.

---

247 فتح الباري بشرح البخاري
248 الروض الأنف ـ السهيلي، وهنا قد خلط السهيلي ما بين حديث " اتق اللّه" وحديث "إنها لقسمة ما أريد بها وجه اللّه" وحديث " يا رسول اللّه أعدل" ونص ما أورده وَأَمّا حَدِيثُ التّمِيمِيّ الّذِي قَالَ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ أَعْطَى الْمُؤَلّفَةَ قُلُوبَهُمْ: لَمْ أَرَك عَدَلْت، فَغَضِبَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، ثُمّ قَالَ: إذَا لَمْ يَكُنْ الْعَدْلُ عِنْدِي، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ؟ وَقَالَ أَيْضًا: إنّي أَرَى قِسْمَةً مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللّه، فَقَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَيَأْمَنُنِي اللّهُ فِي السّمَاءِ، وَلَا تَأْمَنُونِي، أَوْ كَمَا قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَالرّجُلُ هُوَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، كَذَلِكَ جاء ذكره فى الحديث.
وَيُذْكَرُ عَنْ الْوَاقِدِيّ أَنّهُ قَالَ: هُوَ حُرْقُوصُ بن زهير السّعدى من سند ...؟
249 التبصير في الدين ـ أبو المظفر الأسفراييني
250 تاج العروس من جواهر القاموس ـ مرتضى الزبيدي.

ولو تتبعنا تأريخ هؤلاء حسب وفياتهم نجد أن:

ـ الواقدي (207 هـ)

ـ السهيلي (581 هـ)

ـ مغلطاي (762هـ)

ـ ابن الملقن (804هـ)

ـ ابن حجر العسقلاني (852هـ)

ـ الزَّبيدي (1205هـ)

إذن، نجد هنا أن أول من قال بهذا الربط هو الواقدي. وقد جاء بعده السهيلي بحوالي أكثر من ثلاثة قرون لينقل قول الواقدي، ثم بعد قرنين يأتي مغلطاي ليجزم بأن ذلك الرجل هو حرقوص. وهكذا توالى النقل وتبنى بقية من ذكرناهم ما صرح به الواقدي.

ذو الخويصرة

حديث "يا رسول الله، اعدل":

ورد من حديث عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أنه قال حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَالضَّحَّاكِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا، فَقَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ[251] رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ. قَالَ: وَيْلَكَ، مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: لَا، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ حِينَ قَاتَلَهُمْ، فَالْتُمِسَ فِي الْقَتْلَى فَأُتِيَ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ النَّبِيُّ ﷺ.[252]

قال ابن الملقن: وأما التميمي الذي قال له: اعدل. فهو ذو الخويصرة كما ذكره في الحديث، كما نبه عليه السهيلي، وهو غير ذي الخويصرة الذي بال في المسجد وقال: اللهم ارحمني ومحمدًا. [253] وأضاف في موضع آخر: ويذكر عن ابن سعد كاتب الواقدي: أنه حرقوص بن زهير السعدي من سعد تميم.[254]

ثم أضاف في موضع آخر، وكان لحرقوص هذا مشاهد كثيرة محمودة في حرب العراق مع الفرس أيام عمر، ثم كان خارجيًّا، ولقد قال ﷺ فيه: "إنه سيكون من ضئضئ هذا قوم تحتقرون صلاتكم إلى صلاتهم" وذكر صفة الخوارج.[255]

251 ابن حجر العسقلاني: شكك في اعتبار "ذو الخويصرة" صحابيًا، وقال إن هناك "وقفة" في إدراجه ضمن الصحابة، لأن الصحابي من لقي النبي مؤمنًا به ومات على الإيمان، بينما ذو الخويصرة أظهر نفاقًا وخرج على الإسلام لاحقًا. أما ابن تيمية: رأى أنه كان منافقًا، مستندًا إلى موقفه من النبي وقرآنيًا إلى آية: "ومنهم من يلمزك في الصدقات" (التوبة: 58) وذهب ابن الجوزي: وصفه بأنه "أول الخوارج وأقبحهم حالا".

252 صحيح البخاري - الطبعة السلطانية. ونقل عن أحمد بن حنبل قوله: ليس شيء عندي في تثبيت خلافة علي أثبت من حديث أبي سعيد الخدري.

253 التوضيح لشرح الجامع الصحيح - ابن الملقن

254 التوضيح لشرح الجامع الصحيح - ابن الملقن، ولم أعثر في كتب ابن سعد على هذا القول.

255 انظر كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح - ابن الملقن، وقد أورد ابن الملقن في كتابه هذا " وقد أخبر – صلى الله عليه وسلم – أنه لا يدخل النار من شهد بدرًا والحديبية حاشا رجلا معروفًا منهم، قيل: هو حرقوص السعدي" ولم أعثر على هذه الزيادة " حاشا رجلا معروفًا منهم" والأحاديث التي وردت هي (إنِّي لأرجو ألاَّ يدخلَ النَّارَ أحدٌ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ممَّن شَهدَ بدرًا، والحديبيةَ، قالت: قلتُ: يا رسولَ اللَّه، أليسَ قد قالَ اللَّهُ: وإن منكم إلاَّ واردُها كانَ على ربِّكَ حتمًا مقضيًّا، قالَ: ألم تسمعيه يقولُ: ثمَّ ننجِّي الَّذينَ اتَّقوا، ونذرُ الظَّالمينَ فيها جثيًّا) أخرجه ابن ماجه وأحمد. والحديث الذي بعده أنَّها سَمِعَت النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ عندَ حَفْصةَ: لا يَدْخُلُ النَّارَ -إنْ شاءَ اللَّهُ- من أصْحاب الشَّجَرَة أحَدٌ، الَّذينَ بايَعُوا تحْتَهَا، قالَتْ: بَلَى يا رَسولَ اللَّه، فانْتَهَرَها، فقالَتْ حَفْصَةُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا} فقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: قدْ قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}. الراوي: أم مبشر الأنصارية، المصدر: صحيح مسلم.

ذو الخويصرة هل هو حرقوص بن زهير السعدي؟

عند تتبع أصول الربط بين ذي الخويصرة وحرقوص بن زهير السعدي، نجد أن ابن الملقن قد نقل عن الواقدي، في رواية ذكرها ابن الطلاع في "أحكامه" ووردت أيضًا في "طبقات" ابن سعد، أن ذا الخويصرة هو ذاته حرقوص بن زهير السعدي. والغريب أن ابن الملقن نفسه يعود ليذكر في موضع آخر من كتابه أن ابن سعد قد أشار إلى أن ذا الخويصرة من "سعد تميم" [256] بناءً على ذلك، استنتج ابن الملقن أن التميمي الذي خاطبه النبي ﷺ بقوله: "اعدل"، هو ذو الخويصرة. ومما يثير الاستغراب أن أساس هذا الربط، الذي يوحد هاتين الشخصيتين، ينبع من روايات الواقدي [257]...!؟ وقد أكد السهيلي هذا الزعم أيضًا، مستشهدًا بقول الواقدي: "هو حرقوص بن زهير السعدي من سند."..!؟

تتواصل هذه السلسلة من النقل غير المؤكد، حيث يعاود ابن عبد البر ذكر هذا الزعم بقوله: "يقال: إن ذا الخويصرة اسمه حرقوص".[258] وهنا، يبرز استخدام ابن عبد البر لصيغة "يقال"، التي تدل على التمريض والتضعيف. لكن المثير للدهشة أن ابن حجر في "الإصابة" ينقل عن أبي عمر (يقصد ابن عبد البر) بصيغة أكثر حزمًا، فيقول: "زعم أبو عمر أنه ذو الخويصرة التميمي". هذا التفاوت في النقل يمثل تضليلاً واضحًا، فبينما يكتفي ابن عبد البر بصيغة التضعيف "يقال"، يؤكد ابن حجر قوله بصيغة "زعم"، مما يوحي بالقطع واليقين في قوله.

والأعجب في هذا السياق، أن ابن حجر العسقلاني نفسه يذكر في "فتح الباري" أن الثعلبي والواحدي أخرجا في "أسباب النزول" من طريق محمد بن يحيى الذهلي، عن عبد الرزاق، ما نصه: "ابن ذي الخويصرة التميمي، وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج". لكن ابن حجر يختتم هذا النقل بتعليق بالغ الأهمية: "وما أدري من الذي قال: وهو حرقوص إلخ"..!؟"[259]

نكتشف هنا الغموض الواضح في موقف ابن حجر؛ فهو يتأرجح بين الإثبات والنفي في مسألة حرقوص، كما لاحظنا سابقًا. وإن لم يكن هذا قد دُسَّ عليه في كتبه، فالرجل، كما تبين لنا من خلال شواهده، لا يكاد يستقر على رأي ولا يجزم بما يورده في مؤلفاته.

256 لم أعثر في كتب ابن سعد على هذا القول

257 الواقدي (130 – 207 هـ) أشار إلى تشيعه ابن النديم وقال عنه يحيى بن معين: وصفه بأنّه ليس بشيء، وهي من أدنى صيغ التجريح، ووصف الشافعي كتبه بأنها كذب، وأشار أحمد بن حنبل بأنه كذاب، أما البخاري فلم يرو له شيئًا، وما عرف من حديثه فلا يقنع به. وأبو زرعة الرازي أخبر بأن العلماء تركوا حديثه. وللأمانة العلمية هناك من وثّقه ولكن هؤلاء الذين وثقوه لم يكونوا بأي حال من الأحوال بوزن ومكانة الذين ذكرناهم من الذين جرحوه.

258 التمهيد ـ ابن عبد البر

259 أنظر فتح الباري" (292/12).

هذا التردد يتركنا في حيرة دائمة معه، إضافة إلى الحيرة التي تظهر في كتاباته بخصوص هذا الموضوع بالذات.

في السياق نفسه، يذكر الزمخشري أنه "قيل: إن ذا الخويصرة هو حرقوص بن زهير". وعندما يسرد ابن الأثير غنائم هوازن يوم حنين، يروي أن ذا الخويصرة التميمي، الذي هو حرقوص بن زهير، رأس الخوارج، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "اعدل يا رسول الله".

يتضح لنا أن هذا الربط قد تم التسليم به، على الرغم من منشئه المرتبط بالواقدي، كما أشار إلى ذلك ابن الملقن. وقد أورد ابن الأثير هذه الزيادة في الحديث بقوله: "وهو حرقوص بن زهير" دون أن يسبقه أحد بهذا القول.[260] ويختتم الزبيدي هذا الربط في قاموسه قائلاً: "أما ذو الخويصرة التميمي فهو حرقوص بن زهير السعدي".[261] ...!؟

يجدر بنا التنبيه إلى أن ابن حجر ذكر: "أنه قيل في ذي الثدية إنه ذو الخويصرة، وقيل في ذي الخويصرة إنه حرقوص".[262]
وهكذا، نجد أنفسنا ننتقل من "قيل" إلى "قيل" دون أن نعثر على من جزم بهذا الأمر على وجه اليقين، بينما تتبعهم بقية المؤرخين في هذا القول. أما قضية أن ذا الثدية هو ذو الخويصرة، فهذا يتطلب تفصيلاً سنعرضه لاحقًا.

ترتيب من ذكروا أن ذا الخويصرة هو حرقوص بن زهير السعدي حسب وفياتهم:

ـ الواقدي (207 هـ)

ـ ابن سعد (230هـ)

ـ الثعلبي (427 هـ)

ـ ابن عبد البر (463هـ) ينقل ذلك القول بصيغة "يقال"

ـ الواحدي (توفي 468 هـ)

ـ ابن الطلاع (497هـ)

260 أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير.
261 تاج. العروس ـ الزبيدي.
262 الاصابة في تمييز الصحابة.

ـ السهيلي (581 هـ)

ـ الزمخشري (538 هـ)

ـ ابن الأثير (637هـ)

ـ ابن الملقن (804هـ)

ـ ابن حجر العسقلاني (852هـ): عزا هذا القول ونسب هذه الصلة إلى ابن الأثير، وقد أوضحنا بطلان هذا الزعم.

ـ الزَّبيدي (1145 - 1205 هـ)

لقد غفل هؤلاء جميعًا عن إشكال جوهري يجب الإشارة إليه، وهو يتعلق بكيفية ربطهم ذا الخويصرة بحرقوص في الحديث السابق الذي دار بحضور عمر ﵁. فكيف يعقل أن عمر يعين حرقوصًا بعد ذلك ويوليه قيادة الجيوش الفاتحة للأحواز؟! من المعروف أن عمر كان يمنع المرتدين السابقين من قيادة حتى عشرة من الجند، فكيف الحال بمن فعل ما فعله حرقوص مع النبي ﷺ .. !؟

في الواقع، كان لحرقوص مكانة خاصة عند عمر ﵁، ولذلك اختاره من بين الصحابة لنجدة عتبة بن غزوان، فتمكن من فتح الأحواز. ونحن نعلم مدى دقة عمر في اختيار قادته. فكيف يستعين عمر بالجهاد، وهو ذروة سنام الإسلام، برجل يزعمون أن شأنه كذلك وتلك علامته؟ وهل كان سيفعل ذلك عن جهل؟ وهو صاحب الفراسة، خاصة وأنه كان حاضرًا في تلك الواقعة، ويزعمون أنه همَّ بضرب عنق ذي الخويصرة! فكيف بعد كل هذا أمره على تلك الجيوش إن كان حرقوص هو ذا الخويصرة كما يدعون؟! ومن المعروف أن عمر لم يكن يؤمِّر إلا الصحابة، كما ذكر ابن حجر وغيره. هذا الربط لا أساس له من الصحة، لا سيما وأننا نعلم أن أول من نادى به هو الواقدي ومن تبعه بعد ذلك.

بمرورنا على الأحاديث الثلاثة المثبتة، نلاحظ في الحديث الأول الذي عنوناه "اتق الله"، أن ابن حجر العسقلاني هو الوحيد، بناءً على هذا الحديث وشروحاته، الذي ينقل أنه قيل: "إن الرجل الذي اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله 'اتق الله' هو حرقوص بن زهير السعدي".

أما إذا انتقلنا إلى الحديث الثاني عن الرجل الذي قال: "إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله"، فسنجد أن الواقدي (الشيعي المحترق) يتصدر قائمة أقدم من ذهب إلى أن هذا الرجل هو حرقوص بن زهير السعدي من سند ..!؟ كما أشار إلى ذلك السهيلي ولا نعرف بالتحديد من أين أتى الواقدي بهذا السند الذي لم يخبرنا به أصلًا ..!؟

وأخيرًا، بالنظر إلى حديث "يا رسول الله، اعدل"، نكتشف أن الواقدي هو أول من نسب هذا الاعتراض إلى حرقوص بن زهير السعدي. وقد أكد ابن الملقن هذا النقل، مضيفًا أن ابن سعد، تلميذ الواقدي، تبنى هذا القول أيضًا. ومنهما، أخذ من تبعهما هذا الرأي، سواء بالاستشهاد به أو الاعتماد عليه.

وخلاصة القول أن الواقدي كان له الحصة الأكبر في ربط شخصية الصحابي حرقوص بن زهير السعدي بهؤلاء المعترضين في الأحاديث الثلاثة. فقد نسب له هذا القول في حديثين من أصل ثلاثة. وأرى أنه لو أدرك حديث "اتق الله" لذهب بهذا القول عنه أيضًا، كما فعل في الحديثين الآخرين. لكن ابن حجر العسقلاني، بعد ثمانية قرون، أكمل ما لم يدركه الواقدي، بربط لم يسبقه إليه أحد.

ذو الثدية

ذو الثدية هو لقب وصفي يشير إلى شخص كانت لديه علامة جسدية مميزة؛ وهي نتوء في جسده (كتفه أو يده) يشبه الثدي، ويقال إن إحدى عضديه كانت مثل ثدي المرأة. يُشار به إلى أحد القتلى المفترضين في واقعة النهروان، الذي كان مقتله علامة فارقة بين الفريقين.

عند تتبعنا لأصل إطلاق مصطلح "ذو الثدية" أو "ذا الثدية"، ومعرفة من هو أول من أورده بصيغته المشار إليها، نجد أن أقدم من ذكر ذلك هو ابن أبي شيبة الكوفي (ت235 هـ)، أي بعد قرنين تقريبًا من واقعة النهروان. لذلك، سنورد هنا ما جاء به في مصنفه، حيث أخرج هذا اللقب التوصيفي بعينه وليس مجرد وصف[263] ضمن روايته التي سنتحقق منها هنا:

"حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا إسماعيل بن زربي قال: حدثنا ريان بن صبرة الحنفي أنه شهد يوم النهروان قال: وكنت فيمن استخرج ذا الثدية، فبشر به عليًّا قبل أن ينتهي إليه، فانتهينا إليه وهو ساجد فرحًا به"[264]

263 فإن العديد من الأوصاف وردت عنه قبل هذه الروايات ولكن ما يهمنا هو لقب ومصطلح "ذو الثدية" ومن أطلقه بالتحديد.
264 مصنف ابن أبي شيبة.

دعونا نمر بإيجاز على اثنين من رواة هذه الرواية، لنتبين مدى صحتها. نبدأ بإسماعيل بن زربي، وهو كوفي مجهول الحال، كما أشار إلى ذلك ياسر فتحي في كتابه "فضل الرحيم الودود تخريج سنن أبي داود". وقد قال الذهبي عنه: "ذكره أبو حاتم ولم يلينه، وقال أبو الفتح الأزدي: يتكلمون فيه"[265]

أما ريان بن صبرة الحنفي، فقد ذكر الألباني أنه لم يوثقه سوى ابن حبان،[266] بل ذهب محمد المصنعي إلى أبعد من ذلك، حيث ذكر أن ريان بن صبرة الحنفي (مجهول الحال)[267]

من هنا، يتضح لنا منذ البداية أن هؤلاء الرواة إما مجاهيل أو مطعون في عدالتهم/ثقتهم. وبناءً عليه، يتبين لنا أن أول نص ذكر فيه مصطلح "ذا الثدية" كانت الرواية واهية وغير ثابتة، بل هي أقرب إلى الموضوعة منها إلى المقبولة.

ننتقل بعد ذلك، بالتسلسل الزمني، إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل، حيث نجده يروي عن أبيه روايتين: الأولى يظهر فيها الأعمش وهو مدلس[268] أما الثانية فيبدو سندها صحيحًا، لكننا لم نتحقق منها بعد.[269]

ثم تناول هذا المصطلح ابن أبي عاصم (ت287هـ)، والنسائي الذي نقل رواية ابن حنبل المذكورة، بنفس رواية الأعمش. أما الطبراني، فيورد حديثًا فيه "ذو الثدية" عن عائشة، يرويه عمرو بن عبد الغفار وهو متروك الحديث. بعد ذلك، يستشهد بهذا المصطلح الحاكم (ت405هـ) في مستدركه، فيورد ما نصه:

عنْ مَسروقٍ، قالَ: قالَتْ عائشةُ 1: إنّي رأيتُني على تَلٍّ، وحَوْلي بَقَرٌ تُنحَرُ. فقلْتُ لها: لئنْ صدَقَتْ رُؤياكِ لتكونَنَّ حولَكِ مَلْحَمةٌ، قالتْ: أعوذُ باللهِ مِن شَرِّكَ، وبئْسَ ما قُلْتَ، فقُلْتُ لها: فلعَلَّهُ إنْ كانَ أمرًا [سَيَسُوؤُكِ] فقالتْ: واللهِ لأَنْ أخِرَّ مِن السَّماءِ أحَبُّ إليَّ مِن أنْ أفعَلَ ذلكَ، فلمّا كانَ بعْدُ، ذُكِرَ عندَها أنَّ عليًّا ﵁ قتَلَ ذا الثُّدَيَّةِ، فقالتْ لي: إذا أنتَ قدِمْتَ الكُوفةَ فاكتُبْ لي ناسًا ممَّن شَهِدَ ذلك ممَّن تعرِفُ مِن أهلِ البلدِ، فلمّا قدِمْتُ وجدْتُ

---

265 ولا عليكم بابن حبان عندما ذكر إسماعيل بن زربي في الثقات فأن يشذ عن القوم بتوثيق من لا يوثقه أحد كما رأينا هنا وزاد على ذلك بأن جعل ريان بن صبرة الحنفي أيضًا في ثقاته بالرغم أن أحدًا لم يوافقه في ذلك.

266 كتاب إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ـ ناصر الدين الألباني

267 انظر كتاب مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب التهذيب ـ محمد المصنعي، وجاء في كتاب بغية الطلب فى تاريخ حلب لـ [كمال الدين ابن العديم] ـ قرأت بخط أبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي جرادة في حاشية كتبها في بعض الأجزاء: ريّان بن صبره الحنفي له ذكر في الغارات على أهل الشام.

268 كما أشار إلى ذلك ابن حجر، قال الذهبي: الأعمش ما نقموا عليه إلا التدليس، وهو عند البعض على إمامته وفضله إلا أنه عند أهل الحديث في عداد من اشتهر بالتدليس. والكثيرون من أهل الحديث لا يقبلون رواية المدلس.

269 وهي مذكورة في كتاب "الجامع لعلوم الإمام احمد" حققه وأخرجه جملة من المحققين في عصرنا الحالي فيما جمعوه بمجمله عن أبو بكر الخلال (ت 311هـ) ولم يدرك الخلال أحمد بل أدرك تلاميذه. والعلة هنا أن هذه الرواية وغيرها قد ذكرت دون مسند الامام أحمد وهي خارجه ولذلك كان عليها ما عليها من عدم تثبت.

النّاسَ أشياعًا، فكتبْتُ لها مِن كُلِّ سَبْعَ عَشْرةَ ممَّن شَهِدَ ذلكَ، قالَ: فأتيتُها بشَهادتِهِمْ، فقالَتْ: لعَنَ اللهُ عمرًا بنَ العاصِ؛ فإنَّه زَعَمَ لي أنَّه قتَلَهُ بمِصْرَ.[270]

تصوروا معي أن حاكمًا، أثناء إيراده لحديث لم يسبقه إليه أحد، دسّ فيه طعنًا في الصحابي الجليل المؤمن عمرو بن العاص، وسبّه على لسان أم المؤمنين عائشة. والأدهى من ذلك أنه يزعم أن هذه الرواية صحيحة على شرط الشيخين!

وهذه من الأماني المريضة والحقائق التي يقلبونها لتكون عويصة، ومحاولتهم أن يصوروا للآخرين أن انصار عثمان رضي الله عنه كان فيهم الشقاق والنفاق، فيزعمون إن مراون قتل طلحة، وأن عائشة قالت: "اقتلوا نعثلاً" (تقصد عثمان) "فقد كفر". وتارة يدّعون أن عائشة لعنت عمرو بن العاص. لكن الحقيقة أن الشقاق والنفاق كانا موجودين، ولا يزالان، في جيش الكوفة وسلطتها التي انقسمت إلى فرق متعددة: كالباطنية والسبئية والخارجية والناصبية والبغاة والإباضية، وغيرهم. في المقابل، نجد جيش أم المؤمنين ومن معها، بالإضافة إلى معاوية ومن معه، وهم جميعًا من يطلق عليهم "العثمانيون"، لم يشهدوا أي شقاق على الإطلاق، بل كانوا على قلب رجل واحد. ولم تخرج منهم أي فرقة ضالة، وكأن الله أنزل عليهم سكينته، ووصفهم بالرحمة فيما بينهم، أشداء على الكفار.
وبعد هذا، يأتي من يقول لك إنه يجب علينا أن نعتني بالسند ونحدد صحة الحديث من ضعفه من خلاله، في حين أنهم أهملوا المتن. والصواب يقتضي دراسة المتن وبيان علله قبل الانتقال إلى السند.

ثم توالى على ذكر "ذو الثدية" كل من: ابن القيم، وابن كثير، وابن الملقن، والهيثمي، وانتقل الأمر إلى المتأخرين منهم كالألباني وشعيب الأرناؤوط. وهكذا انتشر هذا الذكر في الأدبيات الإسلامية، وأصبح معروفًا لدى متصدري وكتاب التاريخ ومدوني الروايات، على الرغم من أننا لاحظنا أن منبعه كان من أحاديث ملفقة، وروايات زائفة، ورواة كذبة مطعون في عدالتهم، فضلاً عن عدم صحة هذه الروايات أصلاً.

علاوة على ذلك، لم نعثر على أي حديث معتبر في الصحاح أو يتمتع بالصحة يذكر "ذو الثدية". والأحاديث التي أوردت نعته لم يروها محدثون، بل هم أقرب إلى المؤرخين منهم إلى المحدثين، كما أشرنا سابقًا. وإن كان قد رواها محدثون، فهم من طبقة المتأخرين بإسناد ضعيف ولفظ مختل.

ثم إنهم بعد أن فشلوا في إثبات ما ادعوه، عمدوا إلى إطلاق عنوان يتضمن لفظ "ذو الثدية" على روايات لا تصفه ولا علاقة لها به في متنها. ومن أمثلة ذلك عنوان "حديث

270 الراوي: مسروق • الحاكم، المستدرك على الصحيحين (6913) • صحيح على شرط الشيخين.

أن عليًا سجد حين وجد ذا الثدية في الخوارج"، الذي رواه أحمد، وقال عنه الألباني إنه حديث حسن. لقد خصوا هذا الحديث بهذا العنوان، على الرغم من أن نص الحديث لا يتضمن لفظ "ذا الثدية" مطلقًا. ربما توهم الألباني فربط تلقائيًا بين المخدج وذي الثدية.

وإليكم نص هذا الحديث الذي يورده الألباني ويعلق عليه، وهو عن طارق بن زياد قال:
"سار علي إلى النهروان، فقتل الخوارج، فقال: اطلبوا؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سيجيء قوم يتكلمون بكلمة الحق لا يجاوز حلوقهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم أن فيهم رجل أسود مخدج اليد، في يده شعرات سود. إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس.
قال: ثم إنا وجدنا المخدج، فقال: فخررنا سجودًا، وخرّ علي ساجدًا معنا."

ثم يعقب الألباني على هذا الحديث بقوله: وهذا إسناد ضعيف، فإن طارق بن زياد مجهول كما في "التقريب" ولم يوثقه غير ابن حبان. لكنه لم يتفرد بموضع الشاهد منه، فقد أخرجه ابن أبى شيبة والبيهقى عن محمد بن قيس عن رجل يقال له: أبو موسى يعني مالك بن الحارث قال: "كنت مع علي فلما قال: اطلبوه - يعنى: المخدج - فلم يجدوه، فجعل يعرق جبينه ويقول: والله ما كذبت، ولا كذبت، فاستخرجوه من ساقية، فسجد" وهذا ضعيف أيضًا فإن مالك هذا لم يوثقه غير ابن حبان أيضًا. وتابعه أيضًا ريان بن صبرة الحنفى: "يأنه شهد يوم النهروان، قال: "وكنت فيمن استخرج ذا الثدية، فبشر به عليًا" كذا" قبل أن ننتهي إليه، فانتهينا إليه وهو ساجد فرحًا به "أخرجه ابن أبى شيبة، ويضيف الألباني وريان هذا لم يوثقه غير ابن حبان، ثم يقول ولكن الحديث قوى بهذه الطرق الثلاثة، والله أعلم.[271] انتهى كلام الألباني.

وهنا يبلغ العجب منتهاه، ونتساءل كيف يمكن للألباني أن يصنف هذا الحديث بالحسن، بعد أن أقرّ بتهالك طرقه وترقيعها؟! ويزعم أن هذا الحديث قد قَويَ بهذه الطرق الثلاث ..؟ وهل مجرد شهرة حديث لا أصل له، أو كثرة الكلام عنه، تمنحه قوة أو صحة..؟ ولنا في أحاديث المهدي عبرة، فإنه رغم شهرتها لم تثبت صحتها البتة، وقد نُقل عن الدكتور بشار عواد معروف بعد أن أنكر صحتها ورد على من أراد اثبات خلاف ذلك قوله فيها: "آتوني بها وأنا جزارها".

271 إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - ناصر الدين الألباني

ذو الثدية، هل هو حرقوص بن زهير السعدي؟

تتناول هذه المقالة قضية تحديد هوية الشخصية المعروفة بـ "ذي الثدية"، وهل هو حرقوص بن زهير السعدي؟ تباينت آراء المؤرخين والمحدثين حول هذا الأمر، ويمكن تقسيمها إلى فريقين رئيسيين: فريق يذهب إلى أن "ذا الثدية" هو حرقوص بن زهير، وفريق آخر ينقض هذه الصلة أو يرى أن "ذا الثدية" هو "ذو الخويصرة".

يؤكد عدد من الأعلام أن "ذا الثدية" هو حرقوص بن زهير:

- ابن عبد البر: روى عن محمد بن كعب القرظي قوله: "حرقوص بن زهير هو ذو الثدية، وهو الذي قال للنبي ﷺ: ما عدلتَ."[272]
- الزمخشري: أشار في "ربيع الأبرار ونصوص الأخيار" إلى أنه "قيل ذو الثدية هو حرقوص بن زهير" [273] وقد وافقه على ذلك الذهبي في "المقدمة ذات النقاب في الألقاب" حيث أشار في ترجمة "ذي الثدية" بأنه حرقوص..[274]
- ابن الملقن: ذكر في "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" أن "المعروف أن ذا الثدية اسمه حرقوص وهو الذي حمل على علي ليقتله فقتله."
- الزبيدي: أوضح في "تاج العروس" أن "ذو الثدية، كسمية: لقب حرقوص بن زهير، كبير الخوارج، وهو المقتول بالنهروان."
- محمد رضا: أكد في مؤلفاته أن: "ذو الثدية: لقب حرقوص بن زهير كبير الخوارج المقتول بالنهروان."
- محمد الأمين الهرري: قال: "وقيل: المعروف أن ذا الثدية اسمه حرقوص وهو الذي حمل على علي رضي الله عنه ليقتله فقتله علي رضي الله عنه".

272 التمهيد - ابن عبد البر، هذا يرويه ابن عبد البر بسند منقطع فإن ما بين محمد بنِ كعب القُرظيِّ وما بين ابن عبد حسب وفاتهما حوالي ثلاثة قرون ونصف، فكيف يذكر هذا الأمر ابن عبد البر في التمهيد دونَ سندً بل يقفز بقوله روي عن محمد بنِ كعب القُرظيِّ ..!؟ ينظر ايضًا في: غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال 2/ 545، والمستفاد من مبهمات المتن والإسناد لأبيَ زرَعة العًراقي 2/ 1292.

273 ربيع الأبرار ونصوص الأخيار - الزمخشري، وهنا نلاحظ أن الزمخشري مرة يقول قيل أن ذو الخويصرة هو حرقوص بن زهير وتارة يذكر في كتابه قيل أن ذو الثدية هو حرقوص بن زهير ومن هذا الأمر يتبين لنا كيف أن هؤلاء المؤرخين قد تاهوا وتيهوا من بعدهم بهذه الأقوال.

274 كتاب المقدمة ذات النقاب في الألقاب - شمس الدين الذهبي

القائلون بأن ذا الثدية هو ذو الخويصرة:

ينقض بعض الباحثين الصلة بين "ذي الثدية" و"ذي الخويصرة". فالملاحظ أن بعض المصادر تثبت هذه الصلة في موضع، ثم تنفيها في موضع آخر أو يقترح هويات بديلة. ومن الأمثلة البارزة على ذلك ابن الملقن؛ فبالرغم من نقله لروايات تثبت أن "ذا الثدية" هو حرقوص، نجده في مواضع أخرى ينفي هذه الصلة، ثم يورد ما يشير إلى أن "ذا الخويصرة" قيل إن لقبه "ذو الثدية".

روايات وأقوال أخرى حول "ذي الثدية":

توجد روايات أخرى تقدم أوصافًا وهوية مختلفة لـ "ذي الثدية"، منها:

ـ عن نافع بن مسلمة الأخنسي، قال: "كان ذو الثدية رجلًا من عرنة من بجيلة، وكان أسود شديد السواد، له ريح منتنة، معروف في العسكر، وكان يرافقنا قبل ذلك وينازلنا وننازله.[275]

ـ ورد في "الحاوي" للماوردي رواية تقول: "وقُتل من أصحاب علي تسعة، وقال: اطلبوا لي ذا الثدية. فرأوه قتيلًا بينهم، فكبر علي وقال: الحمد لله الذي صدق وعد رسوله إذ قال لي: تقاتلك الفئة الباغية فيهم ذو الثدية.[276]

ـ وفي سياق مختلف، جاء في "البداية والنهاية" لابن كثير: "وقد يمكن أن يكون ذو الثدية من الجن، بل هو من الشياطين؛ إما شياطين الإنس، أو شياطين الجن. إن صح هذا السياق..!؟ [277]

يبدو أن الباحث الذي يتعمق في هذه الارتباطات يجد نفسه في متاهة بلا نهاية. فقد لاحظنا تضاربًا واضحًا في الأقوال؛ فمرة يقال إن "ذا الثدية" هو حرقوص بن زهير السعدي، وتارة يقال إنه "ذو الخويصرة"، وأحيانًا يوصف بأنه رجل من عرنة شديد السواد وله ريح منتنة. ثم نجد من ينفي هذه الصلات والارتباطات تمامًا.

علاوة على ذلك، تزعم بعض الروايات أن "ذا الثدية" قتل تسعة من أصحاب علي، بينما تشير أصح الروايات إلى أن اثنين فقط من جيش علي قتلا في واقعة النهروان.

275 موسوعة مواقف السلف ـ المغرواي عن الهيثم بن عدي في كتابه في الخوارج
276 الحاوي ـ الماوردي، ولم نعثر على مثل هذا الحديث والظاهر أنه من وضع الماوردي.

فكيف يعقل أن يكون "ذو الثدية" قد قتل تسعة وحده؟! والأغرب من ذلك هو ما ذكره البعض بأن "ذا الثدية" من الجن، بل ذهبوا إلى أنه من الشياطين.

هذا الالتباس في الروايات يعود إلى بدايات الأمر؛ فابن أبي شيبة كان أول من أطلق لقب "ذو الثدية" الوصفي. ثم بعد حوالي أربعة قرون، نجد ابن عبد البر يدعي بسند منقطع أن "ذا الثدية" هو حرقوص بن زهير السعدي. ومن المثير للاستغراب أن الزمخشري والذهبي وابن الملقن والزبيدي قد اتبعوا هذا القول دون تدقيق. ولم يفطن ابن الملقن لهذه التباينات إلا في أحد أقواله، بعد حوالي ثمانية قرون من واقعة النهروان، لينفي تلك الصلة. وفي خضم هذا كله، نلاحظ أن الماوردي يذهب، بعد حوالي أربعة قرون من واقعة أهل النهروان، إلى أن المقتول في تلك الواقعة هو "ذو الثدية"، مما يزيد من التشويش حول هذه الشخصية التاريخية.

إن هذه الروايات المضطربة والأقوال المتضاربة تؤكد أن شخصية "ذي الثدية" كانت في الأساس شخصية وهمية، اختُلقت في بداياتها بتبريرات ساذجة لا تستند إلى أساس. لم نجد لهذه الشخصية أي أرضية ثابتة يمكن التثبت منها، مما يعني أن الروايات المتعلقة بها لا يمكن أن تكون صحيحة.

يُرجح أن هذه التبريرات والتقولات لم تكن مجرد أخطاء تاريخية، بل كانت تُصاغ وتُروج، في كثير من الأحيان، لصالح علي ﵁ ومؤيديه. وذلك لاعتبارات سياسية وعقائدية عميقة لدى شيعته، بهدف تعزيز موقفهم وإضفاء الشرعية على أفعالهم خلال تلك الفترة العصيبة، وتثبيت رؤيتهم للأحداث.

المخدج

المُخدَّج: هو لقب يُطلق على الشخص الذي وُلد ناقص الخلقة، وتحديدًا من كانت يده غير مكتملة. وقد أشارت بعض الروايات إلى أنه كان أحد القتلى المفترضين في واقعة النهروان. يُذكر أن مقتله اعتُبر علامةً فارقةً ودليلًا فاصلًا بين أهل الحق وأهل الباطل، وذلك حسب ما ورد في بعض الأحاديث والروايات التي سنتناولها،

جاء في صحيح مسلم أنه حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ[278]، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ[279]، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ ﵁ ، الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﵁: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: يَخْرُجُ قَوْمٌ مِن أُمَّتي يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، ليْسَ قِراءَتُكُمْ إلى قِراءَتِهِمْ بشَيءٍ، وَلا صَلاتُكُمْ إلى صَلاتِهِمْ بشَيءٍ، وَلا صِيامُكُمْ إلى صِيامِهِمْ بشَيءٍ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ يَحْسِبُونَ أنَّهُ لهمْ وَهو عليهم، لا تُجاوِزُ صَلاتُهُمْ تَراقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإسْلامِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لو يَعْلَمُ الجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ ما قُضِيَ لهمْ على لِسانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، لاتَّكَلُوا عَنِ العَمَلِ، وَآيَةُ ذلكَ أنَّ فيهم رَجُلًا له عَضُدٌ، وَليْسَ له ذِراعٌ، على رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عليه شَعَراتٌ بِيضٌ، فَتَذْهَبُونَ إلى مُعاوِيَةَ وَأَهْلِ الشّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلاءِ يَخْلُفُونَكُمْ في ذَرارِيِّكُمْ وَأَمْوالِكُمْ؟! واللَّهِ، إنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكونُوا هَؤُلاءِ القَوْمَ؛ فإنَّهُمْ قدْ سَفَكُوا الدَّمَ الحَرامَ، وَأَغارُوا في سَرْحِ النّاسِ، فَسِيرُوا على اسْمِ اللَّهِ. قالَ سَلَمَةُ بنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا، حتّى قالَ: مَرَرْنا على قَنْطَرَةٍ، فَلَمّا التَقَيْنا، وعلى الخَوارِجِ يَومَئذٍ عبدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ الرّاسِبِيُّ، فَقالَ لهمْ: أَلْقُوا الرِّماحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِن جُفُونِها؛ فإنِّي أَخافُ أَنْ يُناشِدُوكُمْ كما ناشَدُوكُمْ يَومَ حَرُوراءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا برِماحِهِمْ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النّاسُ برِماحِهِمْ، قالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ، وَما أُصِيبَ مِنَ النّاسِ يَومَئذٍ إلّا رَجُلانِ، فَقالَ عَلِيٌّ ﵁: الْتَمِسُوا فِيهِمُ المُخْدَجَ، فالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقامَ عَلِيٌّ ﵁ بنَفْسِهِ حتّى أَتى ناسًا قدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ، قالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ ممّا يَلِي الأرْضَ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ قالَ: صَدَقَ اللَّهُ، وَبَلَّغَ رَسولُهُ، قالَ: فَقامَ إلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمانِيُّ، فَقالَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَللَّهَ الذي لا إلَهَ إلّا هُوَ، لَسَمِعْتَ هذا الحَدِيثَ

---

278 هو عبد الرزاق الصنعاني (126 – 211هـ) من الموالي الفرس، وثقه البعض إلا أننا نرجح تشيعه، فقد ذهب يحيى بن معين إلى أنه مغالٍ شيعي، وقال عنه العباس بن عبد العظيم "أنه كذاب والواقدي أصدق منه". كما أن أبو حاتم قال في تهذيب التهذيب: يكتبً حديثه، ولا يحتج به، وفي " إكمال التهذيب الكمال" قال أبو داود: كان عبد الرزاق يعرض بمعاوية، أخذ التشيع من جعفر، وجاء في تهذيب التهذيب أيضًا قال العجلي: ثقة يتشيع. وكذا قال البزار، وأشار الشيخ طه الدليمي إلى تشيعه المعروف الذي لا ينكره أحد وذهب إلى أن روايات الصنعاني شاركت في صناعة التشيع، وتكوين ثقافة سنية هجينة تقبل الوجود التشيعي في ديارهم وصفوفهم ومصادرهم. أهـ

279 قال عنه ابن حجر: صدوق له أوهام، أكثر من روى عنه عطاء بن أبي رباح – سعيد بن جبير ـ أبو الزبير المكي، وضعوا بين قوسين سعيد بن جبير.

مِن رَسولِ اللهِ ﷺ؟ فَقالَ: إيْ، واللَّهِ الذي لا إلَهَ إلّا هُوَ، حتّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلاثًا، وَهو يَحْلِفُ له.[280]

يطرح متن هذا الحديث تساؤلات مهمة حول دلالاته. فهل من المنطقي أن يقاتل علي رضي الله عنه بجيشه ويُقتل منهم من يُقتل، وهو لا يدري إن كانوا على الحق أم الباطل، ثم ينتظر ظهور علامة "المخدج" بعد مقتلهم ليتأكد من ذلك..؟ وهل يعقل أن يكون الأمر بهذه الضبابية والغموض إلى حد أن معرفة استحقاقهم للقتل تأتي بعد وقوع القتل..؟ وما الفائدة المرجوة حينئذٍ..؟

كما أن الرواية تثير التساؤل حول مصير دماء الموارين لو لم يُعثر على المخدج بعد مقتلهم. ولماذا لم يبين الحديث ما ينبغي فعله في تلك الحال..؟ وهل يعني ذلك أن دماءهم لا قيمة لها..؟

إن هذه الاستفهامات وغيرها تُظهر مدى الضعف في مرويات الكوفة التي سعت لتبرير سفك دماء أهل النهروان، بهدف إثبات أحقية علي رضي الله عنه وكون خصومه على باطل ويستحقون القتل.

نتساءل هنا: لماذا علي رضي الله عنه دون سائر الصحابة رضي الله عنهم «تحيط به هذه العلامات المحددة وهؤلاء الرجال الذين تُنسب لهم علامات خاصة» مثل "عمار تقتله الفئة الباغية"، و "حرقوص"، و "ذو الخويصرة"، و "ذو الثدية"، و"المخدج"، والتي تُستخدم كدلائل على أن الحق معه؟ على النقيض، لا نجد مثل هذه الأحاديث في سير قادة آخرين خاضوا حروبًا أكبر منه، وعلى الرغم من كونهم صحابة كخالد بن الوليد، وأبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص وغيرهم. فلم نقع على حديث يشير إلى أن مقتل أحد رجالهم أو قتله لهم يعتبر علامة على أنهم على حق. بل لم نجد حتى في حرب أمنا عائشة وطلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم حديثًا، ولو كان مكذوبًا، يفيد بذلك.

ألا يشير هذا إلى أن تلك الأحاديث قد صيغت في سياقات معينة، ربما داخل أوساط شيعية أو شعوبية، بهدف تمرير روايات تخدم أجندات معينة وتُرسخ كذبًا مُعينًا، خاصة وأن أحد رواة هذا الحديث هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني (المعروف بتشيعه)؟[281]

280 أخرجه مسلم في صحيحه
281 سبقت ترجمته

حديث المُخدَّج في سنن أبي داود:

ورد في سنن أبي داود عن أبي مريم قوله: "إن كان ذلك المُخدَّجُ لمَعَنا يومئذٍ في المسجد، نُجالسُه بالليل والنهار، وكان فقيرًا، ورأيته مع المساكين يشهد طعام علي (عليه السلام)[282] مع الناس، وقد كَسَوْتهُ بُرْنُسًا لي. قال أبو مريم: وكان المُخدَّجُ يُسمَّى نافعًا ذا الثُّديَّة، وكان في يده مثل ثَدْي المرأة، على رأسِه حَلَمة مثل حلمةِ الثَّدْي، عليه شُعيراتٌ مثل سِبالةِ السِّنَّور.."[283] قال أبو داود: عقب أبو داود على ذلك بقوله: "هو عند الناس اسمه حرقوص."

لم يشر أبو داود إلى الهوية الكاملة للراوي "أبي مريم"، مما صعّب تحديد من هو بالتحديد. وبالبحث، عُثر عليه في كتاب "غوامض الأسماء المُبهمة" لابن بشكوال، حيث جاء نص الرواية كالتالي: "قال حَدَّثني شَبَّابَةُ بْنُ سَوَّارٍ[284] قَالَ حَدَّثَنِي نُعَيْمُ بْنُ حَكِيمٍ[285] قَالَ قَالَ أَبُو مَرْيَمَ الْحَنَفِيُّ[286] كَانَ الْمُخدَّجُ يُقَالُ لَهُ نَافِعٌ ذُو الثُّدَيَّةِ، وَكَانَ ضَاوِيًا صَغِيرًا، وَكَانَ فِي عَضُدِهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ وَحَلَمَةٌ كَحَلَمَةِ الْمَرْأَةِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ كَأَنَّهَا سَبَلَةُ سنور.[287]

هنا، يصرح ابن بشكوال بلقب "الحنفي" لأبي مريم، وهو ما لم يرد عند أبي داود وغيره ممن اكتفوا بذكر "أبي مريم" دون لقب. هذا يثير تساؤلات حول مصدر هذا اللقب الذي أورده ابن بشكوال دون أن يسبقه إليه أحد في هذا الحديث. هل كان أبو مريم هذا موجودًا قبل أن يلقبه ابن بشكوال؟ وهل الراوي الذي ورد عند أبي داود وغيره هو أبو مريم الثقفي المدائني، أم أبو مريم الحنفي الكوفي، أم هو شخص ثالث لا علاقة له بالاثنين...!؟

يزداد الأمر تعقيدًا مع تصريح ابن حبان: "الذي يظهر لي أن النسائي وهم في قوله: إن أبا مريم الحنفي يسمى قيسًا، والصواب أن الذي يسمى قيسًا هو أبو مريم الثقفي، وأما أبو مريم الحنفي فاسمه إياس كما قال ابن المديني، وأبو أحمد، وابن ماكولا. وأما أبو مريم الكوفي فهذا ثالث لا تعلُّق له بهما، إلا لكونه يروي عن علي أيضًا.[288]

---

282 يُرجى الانتباه للفظ (عليه السلام)؛ فهو من الألفاظ الشيعية.

283 الراوي: قيس الثقفي أبو مريم • الألباني، ضعيف أبي داود (4770) • إسناده ضعيف

284 أبو عمرو شبابة بن سوار الفزاري أحد رواة الحديث النبوي. قال أبو حاتم: صدوق، ولا يحتج به، وعن أحمد بن حنبل قال: "تركته للإرجاء"، وقال علي بن المديني: «صدوق إلا أنه يرى الإرجاء، ولا ينكر لمن سمع ألوفا أن يجيء بخبر غريب». كان على مذهب المرجئة. قيل أنه توفي 206 هـ.

285 أبو زكريا نعيم بن حكيم المدائني ذكره ابن حبان في " الثقات "،وقال النسائي ليس بالقوي قال الأزدي فيما ذكره أبو الفرج: أحاديثه مناكير توفي في سنة 148 هـ.

286 أبو مريم الحنفي واسمه إياس بن ضبيح بن المحرش بن عبد عمرو، ولي قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين في زمن عمر بن الخطاب. توفي بين (81 هـ) و(100هـ)، رتبته عند ابن حجر مجهول وعند الذهبي ثقة.

287 كتاب: غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة المؤلف: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي

288 أاظر تهذيب التهذيب. وضع تحت يروي عن علي 0 خط.

تُثار هنا تساؤلات منهجية: لماذا أضاف ابن بشكوال لقب "الحنفي" للراوي "أبي مريم"؟ هل نُقل إليه هذا اللقب بشكل موثوق؟ وكيف استدرك ابن بشكوال ذلك بما لم يدركه غيره قبله، مع العلم أنه كتب مصنفه بعد منتصف القرن السادس الهجري؟ هذا يقودنا إلى التساؤل عما إذا كان هذا التحديد بمثابة إقحام في السند.

من المعروف أن اختلاط الكنى والألقاب والأسماء كان أداةً استُغلت في سياق المحاولات التي تهدف إلى تزييف الروايات، بهدف إيصال رسالة بأن منبت الحديث عن ثقات. وقد استغل هؤلاء المشابهة في الأسماء والكنى، فأضافوا وحذفوا ما يدعم سرديتهم.

ولنعد لسنن أبي داود ـ حدَّثنا محمدُ بنُ عُبيدٍ، حدَّثنا حمادُ بنُ زيد[289]، عن جميل بن مرة[290]، حدَّثنا أبو الوضيء[291]، قال: قال عليٌّ: اطلُبُوا المُخدَجَ، فذكرَ الحديث، فاستخرجوه من تحتِ القتلى في طينٍ، قال أبو الوضيء: فكأني أنظُرُ إليه حَبَشِيٌّ عليه قُرَيطِقٌ[292] له، إحدى يَدَيه مثل ثَدي المرأة، عليها شُعَيراتٌ مثلُ شُعيراتِ التي تكون على ذَنَبِ اليَرْبُوع.[293]

على الرغم من العلل التي تشوب هذا الحديث، وتصحيح أبي داود له في سننه، وكما أوضحنا هذه العلل في تراجم رواته، فإننا نرى أن أوصاف من وجدوا صاحب العلامة الفارقة قد تعددت وتضاربت. توجد عدة أحاديث في هذا الشأن لا يمكن حصرها. فكما رأينا، وُصِفَ في هذه الرواية بأنه حبشيٌّ عليه قريطق له، إحدى يديه مثل ثدي المرأة، وعليها شعيرات مثل شعيرات ذنب اليربوع. وتارة يصفونه بأنه شديد السواد وله ريح منتنة، ومرة أخرى يعودون ليقولوا إن عضديه مثل ثدي المرأة. ولم يكتفوا بذلك، بل ذهب البعض إلى أنه كان على رأس عضده مثل حلمة الثدي، وعليه شعرات بيض، ولكم أن تتخيلوا شكل هذه الشخصية لو رُسِمَتْ حسب ما وصفت به..! لاشك أنها ستكون شخصية أقرب للخرافية منها إلى الواقعية.

ونختم تلك الروايات بما ذكره ابن تيمية أنه جاءت رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ[294]: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ». وَهَؤُلَاءِ ظَهَرُوا

289 أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم مولى مولى جرير بن حازم إمام أهل البصرة في السُنة، كان يُلقب بالأزرق، توفي (179 هـ)، قال ابن حبان: «كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين ممن كان يقرأ حديثه كله حفظا، وهو أعمى» قال ابن حجر: «حماد بن زيد... ثقة ثبت فقيه، قيل إنه كان ضريراً ولعله طرأ عليه؛ لأنه صح أنه كان يكتب»

290 يقول عنه يحيى بن معين قال: جميل بن مرة ثقة، وقال عبد الرحمن بن خراش عنه في إكمال تهذيب الكمال: في حديثه نكرة، توفي في 130هـ

291 عباد بن نسيب وقيل اسمه عبد الله بن نسيب أأو الوضيء القيسي، يقول عنه يحيى بن معين: ثقة. وذكره العقيلي وأبو العرب في جملة الضعفاء، وقال الساجي: ليس حديثه بالقوي لكنه يكتب، روى له أبو داود، والنسائي في " مسند علي "، ذكر البخاري في التاريخ الكبير أنه كان من فرسان علي 0 وعلى شرطته الخميس.

292 القريطق هو القباء، وهو نوع من اللباس

293 سنن أبي داود

294 لم أعثر على صحيح البخاري بأنه أورد هذا الحديث ووجدته عند مسلم بهذا اللفظ "تمْرُقُ مارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، يَقْتُلُها أوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بالحَقِّ".

بَعْدَ مَوْتِهِ بِبِضْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ، لَمَّا افْتَرَقَ الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَتِ الْفِئَةُ بَيْنَ عَسْكَرِ عَلِيٍّ، وَعَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ، وَقَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَصْحَابُهُ، وَهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ، وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى قَتَلُوا عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَهِيَ الطَّائِفَةُ الْبَاغِيَةُ، وَكَانَ عَلِيٌّ قَدْ أَخْبَرَهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَبِعَلَامَتِهِمْ فَطَلَبُوا هَذَا الْمُخَدَّجَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، حَتَّى قَامَ عَلِيٌّ - بِنَفْسِهِ - فَفَتَّشَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ مَقْتُولًا فَسَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ.[295]

إن كلام ابن تيمية هذا كانت له أوجه بعيدة، ولا نعرف مناسبة وروده منه، خاصة عندما ذكر مقتل عمار بن ياسر، واتهم معاوية ومن معه بأنهم الطائفة الباغية. وكما أوردنا في فصل "الفئة الباغية" من كتابنا هذا، فإنهم بعيدون كل البعد عن هذا الاتهام. وما يهمنا هنا هو "المخدج"، وكيف بيَّنا ونبين أن المتصدرين من أهل السنة سلموا وتتابعوا على ذكره.

نجد أن اسم "المخدج" كانت أول إشارة إليه مما ورد عن مسلم، ثم نرى بعد قرون أن أبا داود يصرح باسمه في سننه، ثم عرج عليه ابن تيمية وغيره، ليصبح لقب "المخدج" ذائعًا شائعًا دون سند واضح. وقد قالوا عنه مرة إنه نافع، وتارة إنه ذو الثدية كما صرح بذلك السهانفوري، بينما نجد أبا داود يذهب إلى أنه حرقوص ..!؟[296]

بل الأدهى من ذلك أن هنالك رواية تقول" كُنّا عائدينَ إلى الكُوفةِ مع عليٍّ، فذكَرَ حديثَ المُخدَجِ، قال عليٌّ فواللهِ ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ. ثلاثًا، ثمَّ قال عليٌّ: أما إنَّ خَليلي أخبَرَني بثلاثةِ إخوةٍ مِن الجِنِّ، هذا أكبَرُهم، والثاني له جَمعٌ كَثيرٌ، والثالِثُ فيه ضَعفٌ...!؟[297]

وهنا نلاحظ أن اسم "المخدج" لم يخرج صراحة ابتداء إلا عند مسلم، متزامن مع أبي داود في حوالي منتصف القرن الثالث دون ذكر خبره بمن سبقهما، والأول علته كما نوهنا الصنعاني، والثاني أبو مريم،
ونعود لقاعدة التسلسل الزمني التي تخبرنا أن هذا الاسم تم اختراعه في الزمن الذي ذكرناه، ومما زاد الطين بلة أنه يشير إلى أنه حرقوص الذي لم تعرف عليه أي عاهة في جسده، فضلًا عن يديه، ويأتينا السهانفوري في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ليصرح بأنهم قالوا عنه: أنه نافع أو ذا الثدية وتضارب هذه الأسماء مع تأخر ظهور اسم المخدج حتى عزوه كما ذكرنا إلى أنه من الجن، كل ذلك يأتينا بما لا يقبل الشك أن هذه من وضع الوضاعين وأقاصيص المتشيعين حتى تبقى دوامة عدم الوقوع على حقيقة واقعة النهروان غائمة وحقيقة مواجهة تلك الشخوص مبهمة. وعندما يأتي الذي

295 كتاب الجواب الصحيح - ابن تيمية
296 سنن أبي داود - أبو داود
297 الراوي: علي بن أبي طالب أنظر ابن كثير في البداية والنهاية، وكذلك أخرجه عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند"، والحاكم مطولا، كلاهما بلفظه.

يريد أن يقرأ هذا الموضوع يجد أسلاكه شائكة ومتاهاته متعددة فيأخذ منها ما أظهروه ويترسخ في ذهنه ما دونوه فيدلي حتى لو كان "سنياً" بما قرروه، ويبث ما وضعوه، فيقلد بذلك الإخباريين من الشيعة، ويتجنب المحققين من أهل السنة، وهكذا، تكون كلمتهم قد تمت، وطغى تلوثهم، ووقعت علينا طامتهم.

تعدد الحراقيص في روايات مختلفة:

كلما تتبعنا روايات الأحاديث والروايات التي تتناول هذا الموضوع، زاد اتساعُها وتشعبُها حتى إن بعض المؤرخين قالوا بأن هناك أكثر من "حرقوص بن زهير" وألقابهم تختلف. ومما أوردوا في ذلك:

ـ حرقوص بن زُهَيْر البَجلِيّ العرني الْمَعْرُوف بذي الثدية،

كان من أَمْرِ الْخَوَارِجِ أَنَّهُمْ لَمَّا خَرَجُوا إِلَى النَّهْرَوَانِ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ: أَحَدُهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، وَالْآخَرُ حَرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ الْبَجَلِيُّ الْعُرَنِيُّ الْمَعْرُوفُ بِذِي الثُّدَيَّةِ. وَرَأَوْا فِي طَرِيقِهِمْ حَالَ خُرُوجِهِمْ إِلَى النَّهْرَوَانِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ، فَسَأَلُوهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ. فَقَالُوا لَهُ: حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ عَنْ أَبِيكَ... الخ،.[298]

ـ واستمر الْبَاقُونَ على ضلالهم وَخَرجُوا إِلَى النهروان وأمروا عَلَيْهِم رجلَيْنِ مِنْهُم أَحدهمَا عبد الله بن وهب الراسي وَالثَّانِي حرقوص بن زُهَيْر البَجلِيّ وَكَانَ يلقب بِذِي الثدية وَرَأوا فِي طريقهم حَال خُرُوجهمْ إِلَى النهروان عبد الله بن خباب بن الْأَرَت ..[299]

ـ وروى غيره أن ذا الخويصرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم في وقت قسم الغنيمة المذكورة: لم تعدل، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميّة، لا يجاوز إيمانهم تراقيهم ". فكان كما قاله ﷺ فإنه خرج من ذي الخويصرة المذكور حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية، وهو أوّل من بويع من الخوارج بالإمامة ..[300]

ـ ويومئذ قَالَ ذُو الْخوَيْصِرَة من تَمِيم لم تعدل هَذِه الْقِسْمَة وَلَا أُرِيد بهَا وَجه اللَّهِ فَقَالَ ـ ﷺ ـ: " سيخرج من ضئضىء هَذَا الرجل قوم يخرجُون من الدّين كَمَا يخرج السهْم من

298 كتاب الفرق بين الفرق ـ عبد القاهر البغدادي
299 كتاب التبصير في الدين ـ الأسفراييني أبو المظفر.
300 كتاب المختصر في أخبار البشر ـ أبو الفداء

الرَّمية لَا يُجَاوز إِيمَانهم تراقيهم " فَخرج مِنْهُ حرقوص بن زُهَيْر البَجلِيّ الْمَعْرُوف بِذِي الثدية أول من بُويِعَ من الْخَوَارِج بِالْإِمَامَةِ.[301]

ـ وأورد ابن حجر في ترجمة "حرقوص العنبري" قائلًا: له إدراك، وشهد فتح تستر مع أبي موسى الأشعريّ، وهو غير حرقوص بن زهير السعديّ. وجزم ابن أبي داود بعد تخريج قصته بأنه ذو الثديّة، وقد قيل في ذي الثديّة: إنه ذو الخويصرة، وقيل في ذي الخويصرة إنه حرقوص.[302]

وكل ذلك يدل على تخبط المتأخرين في تحديد عشيرة تلك الشخصية أو الاتفاق على لقبها، وكلٌّ منهم يُدلي بدلوه في بئر كان ماؤها غائرًا، دون أن تُثبت صحة نسبتها تلك بسند معتبر أو انتساب متسلسل صحيح. واللافت للنظر، كما أشرنا، أنهم بعد قرون صاروا يسطرون هذه الأمور، مما يرجح أن هذه الألقاب وتلك الأنساب إن دلت على شيء فإنما تدل على وهم وايهام واضعيها وناشريها. وهذا يؤكد أن صناعة هذه الشخصية وإضفاء تلك الصفات عليها ليس له أساس من الصحة، وأنها مجرد أحاديث ملفقة وروايات غير موثقة.

---

301 تاريخ ابن الوردي الجد زين الدين.

302 كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني

تداخل هوية
(حرقوص ـ ذو الخويصرة ـ ذو الثدية ـ المخدج)
عند المحدثين والرواة

لم يقتصر الاختلاف في تسمية وصفة هؤلاء الأربعة على تعدد آراء المؤرخين فحسب، بل إن المحقق في شخصية واحدة منهم يجد نفسه أمام عدة أقوال متضاربة، مما يزيد الأمر حيرة، ويجعله غير مقبول عقلاً ولا نقلاً. ومثال على ذلك ما لاحظناه في تخبط ابن حجر العسقلاني[303] عند تحديده للرجل الذي اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم في حديث "اتق الله".

ثم يأتينا حديث المعترض الذي قال: "ما أُريدَ بها وجهُ اللَّهِ". نجد أن الأعمش يقول عنه: إنه رجل من الأنصار. بينما ينقل السهيلي أن الواقدي قال: "هو حرقوص بن زهير السعدي من سند"؟ ثم ينقل عنه في موضع آخر أنه معتب بن قشير من بني عمرو بن عوف؟ أما مغلطاي وابن الملقن فيذهبان إلى قول الواقدي الأول بأنه حرقوص. لكن ابن حجر يعارضهما في كون حرقوص هو المعني في هذه الحادثة. ثم نجد الإسفراييني يقول إنه ذو الثدية.[304] وفي نهاية المطاف، ينقل الزبيدي عن الطبري أن له صحبة، ثم يعود ليقول: إن حرقوص بن زهير السعدي هو نفسه ذو الخويصرة التميمي، وإنه كان رأس الخوارج وقُتل يوم النهروان معهم..؟

ونرى في الوقت نفسه أن ابن عبد البر ينقل عمن زعم أن ذا الخويصرة هو حرقوص. وابن حجر يؤكد أن ابن عبد البر قال ذلك، غير أن ابن عبد البر لم يجزم بهذا القول بل اكتفى بقوله: "إنه قيل"؟

وقد أفردنا ذلك في مقدمة مبحثنا، وفي نهايته ما بين الزمخشري وابن الأثير وغيرهما. نجد أن تعدد الروايات وتضاربها، سواء بالنفي أو الإثبات أو تضاربها ببعضها، لم يُفْضِ إلى نتيجة جازمة أو دليل على صحة أقوالهم. وخاصة أننا نجد أن مصدر تلك الأقوال وتفرعاتها واجتهاداتهم يعود في الأساس إلى الواقدي، كما ذكر ابن الملقن، وإلى روايات الأعمش وأبي مريم وغيرهم. وهؤلاء المصادر يتسمون إما بالتشيع، أو بضعف الرواية، أو بأسمائهم المبهمة المجهولة، مما لا يدع مجالاً للشك في أن غموض أسمائهم وغياب كناهم لا يدلان إلا على حيرة أكبر وتدليس واضح.

303 فتح الباري بشرح البخاري
304 التبصير في الدين ـ أبو المظفر الأسفراييني

إن محاولة ربط هذه الشخصيات وكأنها شخص واحد، أو تداخلها في هوية واحدة، قد بيّنا إشكالياته. فقد أدخلوا هذه الألقاب والأسماء بعضها في بعض، ويأخذون أحدهم ليقولوا عنه: إنه هو نفسه فلان. ثم يتفرعون في خلط هذه الأسماء والألقاب دون نهاية لهذه المتاهات، لنجد أنفسنا وقد ورطونا بهذه التشعبات والإطلاقات لهذه الشخصية التي تجمع بين التشدد الظاهري والانحراف العقائدي. ولا نطيل عليكم، فنحن نعلم يقيناً أنكم قد أصابكم التيه مما ذكرناه، فكيف بنا ونحن الذين أصابتنا المشقة في تحقيق ذلك..؟

والمثير للغرابة أن هؤلاء الأربعة (حرقوص، ذو الخويصرة، ذو الثدية، المخدج) لا يربطهم اسم مشترك ولا قبيلة واحدة؛ فلكل واحد منهم اسم وقبيلة مختلفة عن الآخر. فكيف حدث هذا الخلط؟

وفقًا لما ورد عن أهل الأحاديث والروايات، وبالنظر إلى التفسير المنطقي، نلاحظ أن النبي ﷺ لم يدعُ على من آذاه أذية تتجاوز وتفوق أذية من اعترض على قسمته. فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ أنَّها قالَتْ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ؟ قالَ: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ ما لَقِيتُ، وكانَ أشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابن عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ علَى وجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلَّا وأنا بقَرْنِ الثَّعالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذا أنا بسَحابَةٍ قدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ، فَنادانِي فقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، فَنادانِي مَلَكُ الجِبالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، فقالَ ذلكَ فِيما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخْشَبَيْنِ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا[305]
وهذا يتماشى مع سجيته الكريمة، فهو المبعوث رحمة للعالمين. وفي الوقت نفسه، نجد في أحاديث أخرى أن النبي ﷺ يقول: "يخرج من نسله أو من شبهه كذا وكذا...". ولو سلمنا بما قاله النبي ﷺ فما ذنب الأجيال اللاحقة التي يكون فيها ما كان بسبب جريرة جدهم ..؟! وكيف نوفق بين هذا وقوله تعالى (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[306]..!؟

305 حديث (أطبق عليهم الأخشبين) حديث متفقٌ عليه؛ أي أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما، فعن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها: (أنّها قالَتْ للنّبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّمَ: هلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أشَدّ من يَومِ أُحُدٍ؟ قالَ: لقَدْ لَقيتُ من قَوْمك ما لَقيتُ، وكانَ أشَدّ ما لَقيتُ منهم يَومَ العَقَبَة، إذْ عَرَضْتُ نَفْسي علَى ابنِ عبد ياليلَ بنَ عبد كُلالٍ، فَلَمْ يُجبْني إلى مَا أرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ علَى وَجْهي، فَلَمْ أسْتَفقْ إلا وأنا بقَرْنِ الثّعالَب، فَرَفَعْتُ رَأْسي، فَإذا أنا بسَحابَة قَدْ أظَلّتْني، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جبْريلُ، فَناداني فقالَ: إنّ اللّهَ قدْ سَمعَ قَوْلَ قَومكَ لَكَ، وما رَدّوا عَلَيْكَ، وقدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجبال لتَأْمُرَهُ بما شئْتَ فيهم، فَنادَاني مَلَكُ الجبَالِ فَسَلّمَ عَلَيّ، ثُمّ قالَ: يا مُحَمّدُ، فقالَ ذلكَ فيما شئْتَ، إنْ شئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأَخْشَبَين، فقَالَ النّبيٌّ ﷺ : بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرجَ اللّهُ منَ أصْلابهِمْ مَن يَعْبُدُ اللّهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا)

306 سورة فاطر الآية 18

ثم إن النبي ﷺ لم يأذن بقتل أناس مع أن ظاهرهم الإسلام ويدعون الإيمان، وهو يقول: **"لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأقلتنهم قَتْلَ عَادٍ أو ثَمُودَ"**. ومن المعلوم أن ثمود لم يهلكوا على يد جند الرسل، بل بظاهرة ربانية...!؟

ولا نعرف بالتحديد من الذي اعترض؟ هل هي قصص متفرقة أم أنها قصة واحدة؟ والظاهر أنها قصة واحدة وردت إلينا في روايات متعددة لا حصر لها، ومنها ما يتعلق بغنائم هوازن بعد معركة حنين وغيرها،

ثم من هو الرجل الذي وُجد مقتولًا كعلامة فارقة؟ هل هو المخدج، أم ذو الثدية، أم ذو الخويصرة، أم حرقوص، أم أنهم شخص واحد؟ إن هذا التعدد في الروايات والأسماء لا يدل على شهرة الحادثة بقدر ما يضعفها، ويضعف من مصداقيتها، على الرغم من ورودها في كتب الصحاح والسنن. ذلك لأن متونها تضعنا في حيرة من تحديد شخصياتها ووقائعها بدقة، خاصة بعد ربطها بعلي وجيشه.

نلاحظ أن الأحاديث الثلاثة المعنونة بـ: "يا رسول الله، اتقِ الله" و "ما أريد بها وجه الله" و "يا رسول الله، اعدل" [307] هي الأساس الذي ارتبطت به الشخصيات الأربع المذكورة. ويبدو أن التحليلات والتفاسير أو الروايات المرتبطة بها هي التي أدت إلى خلط هذه الشخصيات بعضها ببعض؛ حتى ليُخيل إلينا أن هناك تأثيرًا غامضًا من قبل أصحاب هذه الروايات والتعيينات، يسعى باستمرار لحجب معرفة الرجل بعينه الذي وقعت له الحادثة في الأحاديث الثلاثة الرئيسية، فضلاً عن بقية الأحاديث الفرعية المتشابهة التي لم نوردها هنا نظرًا لتشابهها مع هذه الأحاديث.

يتجلى في هذه الحادثة، وتحديدًا في حديث "يا رسول الله، اعدل"، ظهور عمر بن الخطاب وهو يريد أن يضرب عنق الرجل. ويتبعه في حديث "اتق الله" خالد بن الوليد بنفس الرغبة. فهل كان دورهما يقتصر على كونهما سيافين تحت يد النبي ﷺ؟ أم أن أحدهما كان سيصبح خليفة رسول الله، والآخر شهدت الأمصار بفتوحاته العظيمة؟ ونلاحظ أيضًا أن عليًّا يهدي، بينما خالد يعترض باعتراض غير محمود على النبي ﷺ.؟ من الذي صورهما بهذه الطريقة؟ وهل الاعتراض على النبي ﷺ من قبل ذلك الرجل في تلك القسمة يستدعي عقوبة ضرب العنق أصلًا..؟

ولو سلمنا بحادثة ما بعد انتهاء النهروان، فسنجد أننا لم نتمكن من تحديد من الذي وقع مقتولًا بين يدي علي رضي الله عنه من بين هؤلاء الأربعة: حرقوص، أم ذو الخويصرة، أم ذو الثدية، أم المخدج، أم شخص آخر..؟

307 هنالك عدة أحاديث وقعت على مثل منوال هذه الأحاديث والوقائع من تقسيم الغنائم أو الهدايا والاعتراض عليها ولكنا هنا أوردنا أهمها وأشهرها، وما تلك الأحاديث والوقائع الا ملحقة بها أو واقعة على نفس مقصدها مع تعدد رواتها وطرقها وزياداتها ونقصانها في متونها.

علاوة على ذلك، فقد وصفوه بصفات متعددة، منها أنه شديد السواد[308] ذو ريح منتنة، مخدج اليد، وفيه ثدي امرأة على رأس عضده مثل حلمة الثدي، وعليه شعرات بيض، إلى آخره من الأوصاف. ولا يتضح لي سبب تركيز تلك الأدبيات والأقوال على هذه الصفات تحديدًا وتشويه خلقة الذين جابهوا عليًّا ..؟

وبالحقيقة تهدف هذه الأوصاف إلى رسم صورة نمطية بأن المعترض كان معيبًا. بينما لو تتبعنا التاريخ الإسلامي، لوجدنا أن من عادى الله ورسوله في بدايات الرسالة وما تلاها، خُلق بعضهم في أحسن تقويم، إلا أن سوء أخلاقهم أبعدهم عن دين الله. وفي الصحابة والتابعين، من كانت به عيوب جسدية وخلقية، ولكنه نافح عن دين الله وجاهد فيه حق جهاده. ومن المعلوم أن العيب ليس في الخِلقة ذاتها، بل في الفعل والعمل.

وقد حشدوا تلك الأسانيد والطرق حتى يخدعوك ويوهموك أنها متواترة، والناس كلها ترويها حتى تمل أنت من التحقيق في أسانيدها ومتونها فتتقبلها، وتؤمن بها وتسقط في الفخ، ووضعوا لكل متن عدة أسانيد وعبئوا الطرق والشواهد والمتابعات حتى تتوه وتضيع فإن ضعفت لهم عشرون طريقًا تجدهم مجهزين لك سبعمائة طريق آخر..!؟ وهنا ليس أمامك إلا التسليم والإذعان لما وضعوه.

308 كون الشخص حبشيًا أو شديد السواد ليس منقصة، فبلال الحبشي ﷺ وغيره خير دليل على ذلك. ولكن يبدو أن كاتب النص يفتقر إلى فهم صحيح أو حسن خلق، فظن أن ذكر هذه الصفة يُعد منقصة.

هل خرج حرقوص لقتل عثمان؟

لم يُعثر في كتاب "الفتنة ووقعة الجمل" لسيف بن عمر[309] على أي سند للرواية التي سنوردها، مع أنه أول من ذكرها، وأقدم سند وجد لهذه الرواية هو ما رواه الطبري في روايتين حول هذا الموضوع وهما:

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ[310]، عَنْ شُعَيْبٍ[311]، عن سيف، عن محمد[312] وطلحة[313] وأبي حارثة وَأَبِي عُثْمَانَ[314]، قَالُوا: لما كَانَ فِي شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر فِي أربع رفاق عَلَى أربعة أمراء: المقلل يقول: ستمائة، والمكثر يقول: ألف عَلَى الرفاق عبد الرَّحْمَن بن عديس البلوى، وكنانه بن بشر التجيبى، وعروه بن شييم الليثى، وابو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وسواد بن رومان الأصبحي، وزرع بن يشكر اليافعى، وسودان ابن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني، وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إِلَى الحرب، وإنما خرجوا كالحجاج، ومعهم ابن السوداء وخرج أهل الْكُوفَة فِي أربع رفاق، وعلى الرفاق زَيْد بن صُوحَانَ العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، أحد بني عَامِر بن صعصعة، وعددهم كعدد أهل مصر، وعليهم جميعا سبعا عَمْرو بن الأصم

---

309 أبي عبد الله سيف بن عمر التميمي (نحو 90 هـ – 180 هـ / 708م – 796م): من قدماء مؤرخي العرب، وفيه الذهبي قال: «كان – سيف – إخباريًا عارفًا». ويعد أحد كبار من دون التاريخ العربي الإسلامي.. ضعفه المحدثون، شأنه شأن الإخباريين، وفي ذلك قال ابن حجر« ضعيف الحديث، عمدة في التاريخ».

310 السرى بن يحيى، قال عنه يحيى بن معين أنه ثقة وكذلك وثقه أحمد.

311 قَالَ ابن عَدي وَشُعَيْبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ هَذَا لَهُ أَحَادِيثُ وَأَخْبَارٌ، وَهو ليس بذلك المعروف ومقدار ما يروي من الحديث وَالأَخْبَار لَيْسَتْ بِالْكَثِيرَة وَفيه بَعْضُ النَّكِرَة لأَنَّ فِي أَخْبَاره وَأَحَاديثه مَا فيه تحَامُلٌ عَلَى السَّلَف، وجاء في ميزان الاعتدال في نقد الرجال ولسان الميزان شعيب بن إبراهيم الكوفى راوية كتب سيف عنه فيه جهالة.

312 هو: محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة، من السابعة، فما فوقها، لم أعرفه، ولم أجد له ترجمة، وله في (التاريخ)، نحو خمس عشرة رواية. هذا ما ترجم له زيادة الفالوجي في كتاب "المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري".

313 طلحة بن الأعلم، أبو الهيثم الحنفي الكوفي. مجهولُ الحال. روى عن: الشعبي. وروى عنه: الثوري، ومروان بن معاوية، وجرير، وسيف بن عمر، وغيرهم. قال أبو حاتم: شيخ . وذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلا. وذكره ابن حبان في «الثقات». قال الإمام أحمد: روى عنه الثوري. قال عبد الله بن الإمام أحمد: كيف حديثه؟ قال: وكم حديثه ..؟ حديثٌ واحد..! ومن هذه حاله، فهو مجهول الحال، وإيراد ابن حبان له في «الثقات» على منهجه في إيراد بعض المجاهيل. أنظر كتاب "تخريج أحاديث وآثار حياة الحيوان للدميري" للمؤلف إبراهيم بن عبد الله المديهش.

314 وهنا نتساءل من هو أبي عثمان .. ؟! هل هو أبو عثمان واسمه ميسرة (ثقة)، أو سالم، أم هو أبو عثمان بن شبة (مقبول)، أو هو أبو عثمان بن شريك (مجهول)، أم هو أبو عثمان النوفلي (ثقة)، أو هو عثمان بن عمر (مجهول)، أم هو أبي عثمان النهدي (ثقة)، أو هو أبو عثمان صاحب الأكفان (مجهول)، أم هو أبو عثمان المقدمي (ثقة)، أو هو أبو عثمان (الغساني) من المجاهيل أو غيرهم ولم نقع على أي منهم بالتحديد من هو أبي عثمان ولذلك لا نستطيع البت في ثقة ذلك الراوي من عدمها بخصوص منبت وبداية أول الرواة لهذه الرواية ولهذا ننفي الجزم بصحتها. وقد أخذت جرحهم وتعديلهم من كتاب المعجم الصغير لرواة الامام ابن جرير الطبري ـ المؤلف: أكرم بن محمد زيادة الفالوجي.

وخرج أهل الْبَصْرَة فِي أربع رفاق، وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدى، وذريح ابن عباد العبدي، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعه القيسى وابن المحرش ابن عبد بن عَمْرو الحنفي وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعا حرقوص ابن زهير السعدي، سوى من تلاحق بهم مِنَ الناس فأما اهل مصر فإنهم كانوا يشتهون عَلِيًّا، وأما أهل الْبَصْرَة فإنهم كَانُوا يشتهون طَلْحَة، وأما أهل الْكُوفَة فإنهم كَانُوا يشتهون الزُّبَيْر، فخرجوا وهم عَلَى الخروج جميع وفي الناس شتى، لا تشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الأخرين، فخرجوا حَتَّى إذا كَانُوا مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثلاث تقدم ناس من أهل الْبَصْرَة فنزلوا ذا خشب، وناس من أهل الْكُوفَة فنزلوا الأعوص، وجاءهم ناس من أهل مصر، وتركوا عامتهم بذي المروة ومشى فِيمَا بين أهل مصر وأهل الْبَصْرَة زياد بن النضر وعبد اللَّه بن الأصم، وقالا: لا تعجلوا وَلا تعجلونا حَتَّى ندخل لكم الْمَدِينَة ونرتاد، فإنه بلغنا أَنَّهُمْ قَدْ عسكروا لنا، فو الله إن كَانَ أهل الْمَدِينَة قَدْ خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد، وإن أمرنا هَذَا لباطل، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الَّذِي بلغنا باطلا لنرجعن إليكم بالخبر.[315]

وعلى الرغم من ضعف هذه الرواية وتهافتها، الذي يُعزى إلى ضعف رواتها وكون بعضهم متهمًا بالوضع، والذين أوردنا ملخصًا لحالهم في الهامش، وهم:

سيف بن عمر: عمدة في الاخبار ولكنه ضعيف الحديث
السري: ثقة
شعيب: فيه جهالة
محمد: مجهول
طلحة: قال عنه أبو حاتم: "شيخ". وذكره البخاري في "التاريخ الكبير" ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. ومع ذلك، وثقه ابن حبان على قاعدته في إيراد بعض المجاهيل. وقد قال عنه عبد الله بن أحمد: "مجهول".
أبو حارثة وأبو عثمان: لم يُعثر على ترجمتهما، ولم يتضح من هما بالتحديد.

ولو جئنا إلى مفصل من مفاصل هذه الرواية ودققنا التحقيق فيه لوجدنا أنه يذكر "فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون عَلِيًّا، وأما أهل الْبَصْرَة فإنهم كَانُوا يشتهون طَلْحَة، وأما أهل الْكُوفَة فإنهم كَانُوا يشتهون الزُّبَيْر فخرجوا وهم عَلَى الخروج جميع وفي الناس شتى، لا تشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الأخرين" وهذا يدع مما لاشك فيه أن أحداث هذه الرواية لم تتم كتابتها الا بعد فترة متأخرة وليس في أيام وقوع هذه الأحداث وشهودها من رواتها ، حيث إن الواضع لها قد أدرك أو وصله بعد ذلك بزمن متباعد إمارة مصعب بن الزبير على الكوفة، ولذلك استنتج أن هوى الكوفة

315 كتاب تاريخ الطبري ـ أبو جعفر ابن جرير الطبري.

مع الزبير بينما من المعلوم أن الكوفة كانت في وقت بداية استشهاد عثمان ناسها يطلبون عليًّا، وهم من أشد الموالين له حتى اتخذها عاصمة لخلافته، ولو كانت خلاف ذلك لذهب إلى أهل مصر الذي يدعي الرواي "أنهم كانوا يشتهون عليًا" ..!؟ وهل من المعقول أن عليًا يذهب لمدينة أهلها يؤيدون ويوالون غريمه "الزبير" ليتخذها مقرًا لحكمه من دون المدن والأمصار .. !؟ ثم هل يعقل أن البصرة كانت تريد طلحة وهي كانت العون لقتل طلحة يوم الجمل ..!؟ والظاهر من واضع هذه التصنيفات أنه خلط الحابل بالنابل فضلًا عن فشله في تعدي عقبة التفسير المنطقي للتأريخ.

ومما يضعف مصداقية هذه الحوادث، ويزيد من سوء توثيقها، ما جاء عن سيف بن عمر حيث ذكر: "(فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليا، ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، وقال كل فريق منهم: إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم ثم كررنا حتى نبغتهم)[316]
وهنا يتضح التناقض الصارخ الذي يرقى إلى مستوى التزييف، وعدم واقعية هذه الرواية من خلال سؤال جوهري ينسف هذه الرواية من أساسها وهو: كيف يمكننا تصديق أن مؤيدي البصرة يجبرون من يحبون على البيعة، أي: طلحة؟ وهذا التعجب ينطبق بالتالي على الزبير ومحبيه المفترضين من أهل الكوفة.

لا ننسى هنا أن البرزنجي في كتابه "صحيح وضعيف الطبري" قد ضعّف رواية الخروج هذه التي أوردها الطبري. وقد اتضح في النهاية أن بعض أسماء الرواة المذكورة غير موثوق بها. والعجيب أن هذه الرواية، على الرغم من علاتها التي ذكرناها، تم تناقلها ونسخها كما هي عن سيف بن عمر والطبري دون تحقيق أو تدقيق. وقد اعتمدها ابن عساكر في كتابه "تاريخ دمشق"، وتبعه ابن الجوزي في "المنتظم"، ثم سار على نهجهما الذهبي في "تاريخ الإسلام" و "سير أعلام النبلاء"، مرورًا بالنويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب"، وبعده ابن كثير في "البداية والنهاية"، وانتهاءً بابن خلدون في تاريخه.

إن من يطلع على هذه الرواية قد يعتقد أن المؤرخين قد أوردوها في كتبهم المذكورة بمجموعها، وكرروها على مر أزمنتهم بعد التحقق من صحتها، مما أكسبها شهرة واسعة. ولكن الحقيقة أنهم قد نقلوها عن عمر بن سيف والطبري بنصها الأصلي دون زيادة أو نقصان. وعندما يعترض أحدهم على هذه الرواية أو يتوقف عندها، قد يواجهه جاهل يؤكد صحتها استنادًا إلى ورودها في مصادر متعددة، كالمصادر المذكورة سابقًا. وهذا يعد من الحجج الملتوية لتعزيز الروايات الموضوعة أصلاً، فما بُني على باطل فهو باطل حتى لو تداولته الألسن. ويذكر الطبري في تاريخه[317] رواية أخرى بنفس

316 كتاب الفتنة ووقعة الجمل ـ سيف بن عمر
317 تاريخ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك

السند، مع اختلاف راويين من رواتها الأوائل؛ فنلاحظ أن "أبا حارثة" و"أبا عثمان" قد غابا عنها، ويُذكر بدلاً عنهما "المهلب" و"عمرو". وهذه الرواية نصها:

كَتَبَ إِلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب[318] وعمرو، قالوا: بينا الناس من أهل البصرة وذمتهم على ذلك وقع بين الهرمزان وبين غالب وكليب في حدود الأرضين اختلاف وادعاء، فحضر ذلك سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا، فحالا بينه وبينهما، فكفر الهرمزان أيضا ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد، فكثف جنده وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليب ببغي الهرمزان وظلمه وكفره إلى عتبة بْن غزوان، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بأمره، وأمدهم عمر بحرقوص بْن زهير السعدي، وكانت له صحبه من رسول الله ﷺ وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه فنهد الهرمزان بمن معه وسلمى وحرملة وغالب وكليب، حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز أرسلوا إلى الهرمزان: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، فقال: اعبروا إلينا، فعبروا من فوق الجسر، فاقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق الأهواز، حتى هزم الهرمزان ووجه نحو رامهرمز، فأخذ على قنطرة أربك بقرية الشغر حتى حل برامهرمز، وافتتح حرقوص سوق الأهواز، فأقام بها ونزل الجبل، واتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر، ووضع الجزية، وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر، ووفد وفدا بذلك، فحمد الله، ودعا له بالثبات والزيادة وقال الأسود بْن سريع في ذلك- وكانت له صحبة:

لعمرك ما أضاع بنو أبينا ... ولكن حافظوا فيمن يطيـــع

أطاعوا ربهم وعصاه قوم ... أضاعوا أمره فيمن يضيع

مجوس لا ينهنهها كتــاب ... فلاقوا كبة فيهـــــا قبوع

وولى الهرمزان على جواد ... سريع الشد يثفنه الجميـــع

وخلى سرة الأهواز كرها ... غداة الجسر إذ نجم الربيع

---

318 أبو سعيد المُهَلّب بن أبي صفرة بن سراق بن صبح العتكي الأزدي قال أبو عمر: هو ثقة. وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسمرة بن جندب، وابن عمر، والبراء بن عازب . وكان المهلب من أشجعَ الناس، وحَمَى البصرة من الخوارج بعد أن جلا عنها أهلها، ثم أصبح والي من ولاة الأمويين على خراسان، استعمله الحجاج عاملا على خراسان عام (78هـ) وقام بفتوحات واسعة في بلاد ما وراء النهر فقد قاد المهلب حملة استولى من خلالها على إقليم الصغد وغزا خوارزم وافتتح جرجان وطبرستان بذلك فرض سيطرة الدولة الأموية على أراض كثيرة فيما وراء النهر وكان لها أكبر الأثر في إثراء الحضارة الإسلامية، وقد برز في تلك المناطق علماء ومفكرون أمثال الخوارزمي والبخاري. توفي المهلب غازيا بمرو الروذ في ذي الحجة سنة (82 هـ). وولي خراسان بعده ابنه يزيد بن المهلب.

وقال حرقوص:

غلبنا الهرمزان على بلاد　　لهـــــا في كل ناحية ذخائر

سواء برهم والبحر فيها　　إذا صارت نواجبها بواكـــر

لها بحـــر يعج بجانبيه　　جعافر لا يزال لها زواخر[319]

ثم أضاف[320] قالوا: لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز، وافتتح حرقوص بْن زهير سوق الأهواز، أقام بها، وبعث جزء بْن معاوية في أثره بأمر عمر إلى سرق، وقد كان عهد إليه فيه: إن فتح اللَّه عليهم أن يتبعه جزءا، ويكون وجهه إلى سرق فخرج جزء في أثر الهرمزان، والهرمزان متوجه إلى رامهرمز هاربًا، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشغر، وأعجزه بها الهرمزان، فمال جزء إلى دورق من قرية الشغر، وهي شاغرة برجلها- ودورق مدينة سرق فيها قوم لا يطيقون منعها- فأخذها صافية، وكتب إلى عمر بذلك وإلى عتبة، وبدعائه من هرب إلى الجزاء والمنعة، وإجابتهم إلى ذلك. فكتب عمر إلى جزء بْن معاوية وإلى حرقوص بْن زهير بلزوم ما غلبا عليه، وبالمقام حتى يأتيهما أمره، وكتب إليه مع عتبة بذلك، ففعلا واستأذن جزء في عمران بلاده عمر، فأذن له، فشق الأنهار، وعمر الموات، ولما نزل الهرمزان رامهرمز وضاقت عليه الأهواز والمسلمون حلال فيها فيما بين يديه، طلب الصلح، وراسل حرقوصا وجزءا في ذلك، فكتب فيه حرقوص إلى عمر، فكتب إليه عمر وإلى عتبة، يأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها على رامهرمز وتستر والسوس وجندي سابور، والبنيان ومهرجانقذق، فأجابهم إلى ذلك، فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم، وأقام الهرمزان على صلحة يجبى إليهم ويمنعونه، وإن غاوره أكراد فارس أعانوه وذبوا عنه.

ثم أضاف الطبري بعدها وبلغ عمرَ: أنّ حُرقوصًا نزل جبل الأهواز، والناس يختلفون إليه، والجبل كنود يشقّ على مَن رامه، فكتب إليه: بلغني: أنك نزلت منزلًا كنودًا لا تؤتى فيه إلّا على مشقّة، فأسهل ولا تشقّ على مسلم ولا معاهد، وقم في أمرك على رجْل تدرك الآخرة وتصفُ لك الدنيا، ولا تدركنّك فترة ولا عجلة، فتكدر دنياك، وتذهب آخرتك. ثمّ إن حرقوصًا تحررّ يوم صفِّين وبقي على ذلك، وشهد النِّهروان مع الحَرُوريّة[321]

319 قال محمد طاهر البرزنجي اسناده ضعيف ـ كتاب صحيح وضعيف البخاري

320 بنفس السند السابق

321 كتاب تاريخ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك. قال محمد طاهر البرزنجي اسناد هذه الرواية ضعيف ـ انظر كتاب صحيح وضعيف البخاري.

والذين نجدهم في سند هذه الرواية هم:

سيف بن عمر: عُمدة في الأخبار، ضعيف الحديث.
السري: ثقة
شعيب: فيه جهالة
محمد: مجهول
طلحة: قال أبو حاتم: شيخ، وذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ولم يورد فيه جرحًا ولا تعديلًا. وقد وثقه ابن حبان، إلا أن عبد الله بن أحمد قال عنه: مجهول.
المهلب: ثقة
عمرو: لم نعثر على ترجمته، ومن هو بالتحديد؟ ولو تتبعنا السند لكلا الروايتين، لوجدنا أن السند الأول للرواية (التي تفيد بأن حرقوص كان أمير فرق أهل البصرة عند خروجهم نحو المدينة) يشبه سند الرواية الثانية في رواتها حتى يصلا إلى أبي حارثة وأبي عثمان، ثم يفترقان. لم نعثر على ترجمة الأول، بينما الثاني، وهو أبو عثمان، فقد أوردنا ما فيه من التباسات في ترجمته.

ثم نجد أن الرواية الثانية، التي تليها (تتحدث عن حرقوص أنه كان صحابيًا وفتح الأهواز وهزم الهرمزان) مطابقة في رواتها للرواية الأولى كما أشرنا، وتفترق عند المهلب وعمرو. فأما الأول، فقد بينا ترجمته وأنه ثقة، وهذا يُسجل للرواية الثانية تفوقًا. وأما الثاني، وهو "عمرو"، فلم نعثر على حقيقته لتشابه اسمه وشيوعه في ذلك الوقت، خاصة وأنه ورد منفردًا دون كنية أو لقب يميزه بوضوح.

على الرغم من أن المصدر واحد، وهو تاريخ الطبري، إلا أننا نواجه إشكالية عظيمة تتمثل في الآتي: لو أخذنا بالرواية الأولى التي تشير إلى خروج حرقوص أميرًا لفرق البصرة نحو المدينة، لطعنا في صحبته التي ذكرها الطبري في روايته التالية، حيث أورد فيها: "(وأمدهم عمر بحرقوص بْن زهير السعدي، وكانت له صحبة من رسول الله)". وبالتالي نطعن في عدالة الصحابة. وإن افترضنا أن ضعف الرواية يعود إلى متصدري سندها، وهما أبو حارثة وأبو عثمان المجهولين، فإننا نميل إلى إبطال هذه الرواية بالكامل؛ خاصة وأنه كما ذكر الطبري فيها أن أهل البصرة كانوا يشتهون طلحة، أي يرغبون فيه؛ فكيف تمت المبايعة لعلي في المدينة من قبلهم؟
ثم إن كان هواهم مع طلحة، فكيف شاركوا في قتله في موقعة الجمل نصرة لعلي؟

على الرغم من تضعيف البرزنجي للروايتين، إلا أنني أرى أن الرواية الأولى هي الرواية الأضعف؛ نظرًا لأنها على الأقل تفتقر إلى (المهلب).
بناءً عليه، يمكننا ترجيح أن الرواية الثانية، الخاصة بحرقوص الصحابي الفاتح الأمير، والتي تضم في سندها "المهلب وعمرو"، هي الأرجح والأكثر قبولًا، وأبعد عن

الطعن وأوثق من سابقتها. هذا الترجيح يأتي نظرًا للعلل التي أوضحناها في الرواية الأولى، ولما للثانية من قرب من الحقيقة.

الجملة الأخيرة التي ذكرها الطبري، من أن "حرقوصًا تحرر يوم صفِّين وبقي على ذلك، وشهد النِّهروان مع الحَرُوريّة"، تمثل قفزة وانقطاعًا في تاريخ حرقوص. تبرز هذه القفزة في غيابه عن أحداث المدينة واستشهاد عثمان، ثم فجأة يظهر لنا على مسرح الأحداث بعد صفين، دون أن يحدثنا المصدر عن ملابسات التحاقه بعلي وانشقاقه عنه! وكأنها أُقحمت، أو وضعها واضعها! علاوة على ذلك، فإن هذه العبارة لم يدوِّنها سيف بن عمر في كتبه، ولم يعتمدها أحد بعد الطبري. بينما أخذ ابن الأثير وغيره بعد ثلاثة قرون بمضمونها، حيث أشار إلى صحبة حرقوص وأنه من الصحابة، ثم انشق عن علي ليصبح من الخوارج [322]

وهذا يتوافق مع رؤية الطبري للموضوع، وخاصة فقرة تحول حرقوص إلى خارجي التي اعتمدها الطبري، إذ ذكر في تاريخه: (قال أبو مخنف: عن أبي المغفل، عن عون بن أبي جحيفة، أن عليا لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي، فدخلا عليه فقالا له: لا حكم إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله، فقال له حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إِلَى عدونا نقاتلهم حَتَّى نلقى ربنا) أهـ.

ومن المعلوم هنا أن أبا مخنف[323] متروك الحديث، وهو شيعي مُتحرق، كذاب، تالف، ولا يُعتد به. وعليه، فإن هذه الرواية ساقطة من أساسها، فكيف بمنتهاها..؟

ولم نجد أي إشارة إلى مشاركة حرقوص بن زهير في قتل عثمان، باستثناء ما ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية"، حيث جاء فيه" :فذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة أم المؤمنين فقال: أي أمّاه! ما الذي أتى بك إلى هذا البلد؟ "فقالت: "أي بُنيّ! جئت للإصلاح بين الناس ".فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها. فلما حضرا،

---

322 عند ذكره لحرقوص بْن زهير السعدي حيث قال ذكره الطبري، فقال: إن الهرمزان الفارسي، صاحب خوزستان، كفر ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد، فكثف جمعه، فكتب سلمى ومن معه بذلك إِلَى عتبة بْن غزوان، فكتب عتبة إِلَى عمر بْن الخطاب، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمد المسلمين بحرقوص بْن زهير السعدي، وكانت له صحبة من رَسُول اللَّه ﷺ وأمره عَلَى القتال وعلى ما غلب عليه، فاقتتل المسلمون، والهرمزان، فانهزم الهرمزان، وفتح حرقوص سوق الأهواز، ونزل بهَا، وله أثر كبير في قتال الهرمزان، وبقي حرقوص إِلَى أيام علي، وشهد معه صفين، ثم صار من الخوارج، ومن أشدهم عَلَى علي بْن أَبِي طالب، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين – أنظر كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة – ابن الأثير.

323 هو أبو مخنف لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان الأزدي، وكان راوية أخباريًا صاحب تصانيف، أجمع أئمة الجرح والتعديل من أهل السنة والجماعة على الطعن فيه وأنه متروك الحديث يروي عن المجهولين، عرف أبو مخنف بعدائه للأمويين وهو من كبار فقهاء الشيعة زمن الخليفة المهدي، قال يحيى بن معين: أبو مخنف ليس بشيء وليس بثقة، وقال قال ابن عدي: شيعي محترق، و قال منصور بن عراق: «لوط بن يحيى أَبُو مخنف كَذّاب تَالف» و قال الذهبي: «أَبُو مخنف الكوفي الرافضي الإخباري صاحب هاتيك التصانيف» قال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال الدراقطني: إخباري ضعيف وقد توفي لوط سنة سبع وخمسين ومائة.

قال القعقاع: "إني سألت أم المؤمنين ما الذي أتى بها؟ فقالت: إنما جئت للإصلاح بين الناس." فقالا: "ونحن كذلك." قال: "فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن." قالا: "قتلة عثمان؛ فإن هذا إن تُرك، كان تركًا للقرآن." فقال: "قتلتما قَتَلَةَ من أهل البصرة، وكنتما قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة مما أنتما عليه اليوم. قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم. وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف. فإن تركتموهم، وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأُديل عليكم ما حذَّرتم منه؛ ففرقتم من هذا الأمر أعظم مما تحاولون دفعه وجمعه الآن ".وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الرواية بدون سند معروف، ولم يظهر حرقوص على مسرح الأحداث بعدها إلا ما بعد صفين.

علاوة على ذلك، لم نعثر على أي ذكر لحرقوص في المدينة وقت استشهاد عثمان، بل نشاهد بروز اسمه بعد معركة صفين على أنه قائد من قادة أهل النهروان.

الخلاصة المتعلقة بحرقوص بناءً على ما أوردناه:

وفي ختام مبحثنا عن حرقوص بن زهير السعدي وعلاقته بالأحاديث الثلاثة التالية:

ـ إنَّهَا لَقِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بهَا وجْهُ اللَّهِ
ـ يا رسول الله، اعدل
ـ اتق الله

تبين لنا أن أول من ربط حرقوص بالحديث الأول هو الواقدي. أما ربط الحديث الثاني (يا رسول الله، اعدل) بحرقوص فقد كان على يد تلميذ الواقدي، ابن سعد.

وفيما يتعلق بالحديث الثالث، الذي نصه "اتق الله"، وجدنا أن ابن حجر العسقلاني هو الوحيد، ضمن سياق شرحه للحديث، الذي ينقل القول بأن الرجل الذي اعترض على النبي ﷺ قائلاً "اتق الله" هو (حرقوص بن زهير السعدي)، يُثير الدهشة هنا ابن حجر حين يأتي بعد ثمانية قرون ليحدد أن هذا الرجل هو حرقوص بن زهير السعدي، ودون ذكر مصدره لهذه المعلومة...!؟

بناءً على ما تقدم، فإن علاقة حرقوص بتلك الأحاديث لا تستند إلى أي أساس صحيح، وتُعد قولًا باطلًا. وقد تبين لنا أن أول من ذكر هذا الربط هو الواقدي (الشيعي) وتلميذه. ثم، بعد فترة زمنية مقدارها ثمانية قرون، نجد ابن حجر العسقلاني ينقل، في

سابقة لم يسبقه إليها أحد، أن الحديث الثالث يشير إلى حرقوص. ولو أدرك الواقدي هذا الحديث الثالث، لقال مثل قوله.

ولأن الواقدي كان يُعاود ربط حرقوص بالأحاديث المذكورة، نجده أول من صرح بأن ذا الخويصرة هو حرقوص بن زهير السعدي. ويُلاحظ أن الواقدي اضطلع بالدور الأكبر في هذا الربط، بل يمكن القول إنه مؤسس نظرية هذا الارتباط من جميع جوانبها.

ثم يأتي ابن عبد البر، ليكون أول من ذكر، بسند منقطع بينه وبين الراوي ثلاثة قرون ونصف، ويروي عن ذلك الراوي: أن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير. ولا يفوتنا ذكر مسلم، لنجده يذكر، بعد قرنين ونصف، اسم المخدج نقلاً عن الصنعاني (الشيعي المغالي). ثم يأتي أبو داود في الفترة نفسها، لنجد أنه أول من قال إن المخدج هو حرقوص، بقول لم يُسبق إليه. ولكم أن تتخيلوا تلك القرون المتباعدة، حيث يأتي من يأتي بعد تابعي التابعين ليدلي بدلوه في بئر لم يشرب منه أحد، وذلك بسند غير معلوم ولا متن مفهوم. هكذا يُتهم صحابي فاتح صالح دعا له عمر بن الخطاب بالزيادة والثبات. فيقدح بهِ من يقدح، ونصدق تلك الفرية ونتخذها من المسلمات في مجالسنا ومدارسنا ما بين الاستشهاد والاعتماد.

ثم أكمل أبو مخنف ذلك القدح والتشويه برواية عنه نقلها الطبري، زعم فيها أن حرقوص كان من زعماء الخوارج. وقد تابعهم في هذا البهتان عدد من المؤرخين المنسوبين لأهل السنة، منهم من روى ومنهم من نقل، بل ومن زاد على ذلك؛ فابن الأثير، على سبيل المثال، أورد زيادة في متن الحديث لا أصل لها، وهي: **"وهو حرقوص بن زهير"**، دون أن يسبقه أحد بهذه الزيادة.[324] ويلحق به الزبيدي بعد أكثر من خمسة قرون ليُختتم هذا الربط الذي لا أصل له في قاموسه، حيث يقول: **"وأَمّا ذُو الخُوَيْصِرَةُ (التَّمِيمِيُّ) فَهُوَ حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْر السَّعْدِيُّ"..[325] ..!؟**

وختامًا فقد ذهب البلاذري في أنساب الأشراف إلى أن حنش بن ربيعة[326] هو الذي قتل حرقوص بن زهير السعدي في موقعة النهروان.

وبعيداً عن غلو الإباضية التي زعمت بأن حرقوص مبشَّر بالجنة من قبل النبي ﷺ، وأوّلت بعض أحاديث النبي الصحيحة لصالح ذلك، واستعانت بأحاديث موضوعة لإثبات حجتها. وكل ذلك باطل لا أساس له.

---

324 أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير.

325 تاج. العروس ـ الزبيدي.

326 وهو كراوٍ قد وثقه أبو داود. وقال البخاري: يتكلمون في حديثه، وقال عنه ابن حجر وأخطأ من عده في الصحابة، ثم قال عنه صدوق له أوهام ويرسل، وقد ضعفه النسائي وطائفة، وقواه بعضهم، وذكره العقيلي والساجي، وابن الجارود، وأبو العرب الصقلي في " الضعفاء، وقال ابن حزم في " المحلى " : ساقط مطرح وقال ابن حبان: لا يحتج به "

نختم مبحثنا فنقول إن من يقرأ في أيامنا هذه عن حرقوص بن زهير السعدي، يجد نفسه مضطرًا للتسليم بما وقعت عليه عيناه من سيرته، التي غلفتها الشعوبية بالغموض. ودسّت فيها الأقلام الشيعية الأكاذيب عبر أنفاق مظلمة، تتميز بانقطاعها، وإبهام مقولاتها، وقصد تزييفها. لقد تراكمت هذه الروايات على مر الأزمنة، مغلفة بصدأ من أضافها أو نقلها أو أيدها دون دليل أو كتاب مبين. وقد تبعهم في ذلك بعض المؤرخين المنسوبين لأهل السنة، فنقلوا تلك الروايات بجهل أو بقصد، وأخذوا بما رواه الواقدي وأبو مخنف والصنعاني ومن سار على نهجهم. لكم أن تتصوروا حجم الكارثة التي دسّها علينا أولئك المتهمون في دينهم وصدقهم؛ فكيف لنا أن نسلم بنقلهم وقولهم.

وفي غفلة من تدوين التاريخ وطمس حقائقه، وقع الالتباس على الكثير من المتلقين في تحديد حقيقة هذا الرجل، فخلطوا سيرته بسيرة غيره، كاختلاط الماء بالشجر والعطر بالزهر. وتم التضليل بشأنه وبشأن من معه، عبر حشد من الأسانيد المموهة والمتون المبهمة التي ملأت الشروحات وأصابتها التخمة من التفسيرات، حتى أن ما كرروه عن هذه الشخصية تم تقريره، وما ذهبوا إليه تم التسليم به. ومن أراد الوقوع على الحق، وجد طريقًا وعرة للوصول إليه، تمر بأشواك وفخاخ نصبتها أيادٍ مريبة، قصدت تضييع مقصد القارئ وإهدار حجته. وبالتالي، عندما يحاول الوصول إلى مراده، يظل تائهًا في متاهاتهم وضائعًا في بيدائهم، فتتثقل قواه ويُسلم لهم الأمر على ما قرروه ويُذعن لما ذهبوا إليه.

عبد الرحمن بن مُلْجَم
المرادي

لم تستهدف الأقلام المتشبعة بالكراهية، والمنبثقة من البيئة الكوفية، عمر بن الخطاب ﵁ بالذم والقدح فحسب، بل تجاوزت ذلك لتطال قادته الذين ولّاهم لقيادة جيوشه، أو ولاته الذين كانوا بمنزلة حكام على ولاياته أو قرائه آنذاك. ويأتي كل ذلك في سياق حقدهم الدفين على فتوحاته الواسعة في العراق وفارس والروم.[327]

وسنذكر هنا بعضًا من قادته وولاته وعلمائه من الصحابة وغيرهم، الذين نالوا القسط الأوفر من تلك التشويهات الملفقة، وحصة الأسد من التدليس والتزوير لسيرتهم العطرة، حتى باتت الصورة النمطية السنية، للأسف، تنفر من ذكرهم، وهو ما يخدم أهداف طوائف السوء الذين سعوا إلى طمس فضائلهم واغتيال ذكراهم الحسنة. وأبرز هؤلاء هم:

- معاوية بن أبي سفيان
- عمرو بن العاص
- الزبير بن العوام
- سعد بن أبي وقاص
- زياد بن عبيد الثقفي
- زيد بن حصن الطائي
- عبد الله بن وهب الراسبي
- حرقوص بن زهير السعدي
- عبد الرحمن بن ملجم .. وغيرهم،

وهذا الأخير يُعد من أبرز الشخصيات التي اتهمت لاحقًا بأنها من الخوارج، والتي أُلصقت بها التهمة المعروفة، ألا وهي اغتيال علي بن أبي طالب ﵁. وسنسلّط الضوء عليه، فنقول وبالله التوفيق:

أقدم نص يذكر ابن ملجم يعود إلى القرن الثاني الهجري، وهو على يد أبي يوسف القاضي[328] في كتابه الذي نشك في صحة نسبته اليه وهو "اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى" ونصُّ ما ورد فيه: "حدثنا أبو يوسف عن (رجل) عن أبي جعفر أن الحسن بن علي -رضي الله عنه- قتل ابن ملجم قصاصًا لعلي. وقال أبو يوسف: وكان لعلي أولاد

---

[327] وصدق من قال: لو كان علي بن أبي طالب t رائد تلك الفتوحات، لرأيت الأقلام الشيعية تقدح فيه، والحكايات الشعوبية تذمه ومن معه في تلك الحوادث، وتشوّه سيرتهم في تلك الوقائع.

[328] أبو يوسف القاضي، من أبرز تلاميذ الإمام أبي حنيفة النعمان، ويُعدّ أحد الأئمة المجتهدين في الفقه الحنفي. وُلد في الكوفة عام 113 هـ وتُوفي في بغداد عام 182 هـ.

صغار". تخيلوا، بعد قرن من سكوت المؤرخين وأصحاب الحديث والسير، يأتي نصٌّ مبهمٌ، متقطعٌ في سنده بوجود (رجل)، فمَن هذا الرجل المجهول الذي لا نعرفه ليروي عن طريقه تلك الواقعة؟!

أصحاب الحديث، كالبخاري ومسلم وبقية الكتب المعتبرة والمساند والمصنفات، لم يذكروا ابن ملجم، باستثناء ذكر وحيد لعبد الرزاق الصنعاني (ت 211 هـ) الذي أورد تلك الواقعة في مصنفه، لكنه لم يذكره بالاسم، وإنما جاءت الإشارة إلى رجل قام بهذا الفعل. فمَن هذا الرجل؟!

تبعه بعد ذلك ابن حنبل الذي أورد اسم ابن ملجم صراحة في مسنده عن أبي يحيى قال: "لما ضرب ابن ملجم عليًا الضربة، قال: افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله فقال: "اقتلوه ثم حرقوه".[329]

وصلنا إلى القرن الثالث لنجد ابن سعد[330]، يذكر في "طبقاته" ويصرح باسم (ابن ملجم)، ويذكر أنه كان معه في ذلك الاغتيال رجل آخر هو سيف بن شبيب.

وقد أخذ عن ابن سعد تلميذاه: ابن أبي الدنيا والبلاذري، وتوسعا بعض الشيء في تلك الرواية، حتى إن البلاذري كان أول من ذكر ذلك اللقاء المكي الذي جمع ابن ملجم باللذينِ أرادا اغتيال معاوية وعمرو بن العاص. وتذكر المصادر أنهم كانوا في عمرة، بينما تذكر أخرى أنهم كانوا في الحج. أليس ذلك مثيرًا للتساؤل..؟! فمن هذا الصحفي الذي كان حاضرًا بينهم آنذاك ليروي لنا روايات ذلك الاجتماع بالدقة، وكيف عرف تفاصيله؟ فالمنطق يحتم عليهم أقصى درجات الاحتياط لئلا يطلع أحد على أمرهم خشية ذهاب أعناقهم بسبب ذلك.

ثم نجد أن الطبري والطبراني يكرران على مسامعنا ما ذكره ابن سعد ابتداءً من اجتماع (ابن ملجم) وصاحبيه في مكة، غير أنهما يذكران أن ابن ملجم كان من (أهل مصر)،

---

329 جاء في مسند ابن حنبل، وتاريخ دمشق، والمستدرك على الصحيحين.
(سنده) في مسند أحمد حدثنا عبد الله حدثني أبى ثنا أبو أحمد ثنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبى تحي. (تخريجه) رواه أحمد وفيه عمران بن ظبيان الكوفي وقد ذكروا عنه:
قال عنه أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه
وذكر عنه ابن حجر العسقلاني: ضعيف ورمي بالتشيع، تناقض فيه ابن حبان
وأورد فيه محمد بن إسماعيل البخاري: أنه فيه نظر
يعقوب بن سفيان الفسوي: ثقة يميل إلى التشيع
330 ابن سعد هو محمد بن سعد بن منيع، المؤرخ الشهير وصاحب كتاب "الطبقات الكبرى". وُلد في البصرة سنة 168 هـ، وتُوفي في بغداد سنة 230 هـ. هو مولى للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي. وهذا يعني أنه لم يكن عربيًا بالأصل، بل كان من الطبقة التي حررت وأصبحت موالية لعائلة عربية، في هذه الحالة، موالٍ لفرع من بني هاشم. ومن المعلوم أن الواقدي هو من أهم شيوخ ابن سعد الذي كان كاتبه، وغلامه.

وتبعهما الهيثمي في "مجمع الزوائد". هنا نتساءل: ما الذي يربط بين ابن ملجم وتعاطفه وثأره لأهل النهروان في هذه الروايات المتهافتة؟

ـ إن قلنا بالقرابة، فلا يوجد له أقارب إطلاقًا في العراق، خاصة أن مولده كان بمدينة مأرب في اليمن وأقاربه جميعهم هناك.

ـ وإن قلنا كما رُوِّج عنه من تأثره بالفكر الخارجي، فقد ثبت أن أهل النهروان، الذين وُصِفوا بالخوارج، لم يكن لهم أي امتداد أصلاً في مصر، ولا حتى رجل منهم هناك. كما أن المدة الزمنية القصيرة، التي تقل عن سنتين بين ظهور أهل النهروان والاغتيال المزعوم لعلي -رضي الله عنه-، لم تكن لتسمح آنذاك بالتمدد والتأثير؛ وذلك بسبب بعد المسافة وبطء انتشار الأخبار، فكيف بالفكر واعتناقه؟!

لقد زعم "الحكواتية" في قصتهم أنهم (أي المتآمرين) في ذلك الاجتماع: "ذَكَروا أهْلَ النَّهروانِ، فترحَّموا عليهِمْ، فقالوا: واللهِ ما نَصنَعُ بالبقاءِ بعدَهم شيئًا، إخوانُنا الَّذينَ كانوا دُعاةَ النَّاسِ لعِبادةِ ربِّهم، الَّذينَ كانوا لا يَخافونَ في اللهِ لَومَةَ لائمٍ، فلوْ شَرَيْنا أنفُسَنا، فأتَيْنا أئِمَّةَ الضَّلالةِ، فالتَمَسْنا قتْلَهم، فأَرَحْنا منهمُ البلادَ، وثَأَرْنا بهم إخوانَنا."

وحتى لا تنفضح الكذبة، ولدعم الدافع لهذا الاندفاع من ابن ملجم لقتل علي -رضي الله عنه-، كان لا بد لمُعِدِّ هذا السيناريو أن يغلِّفه بدافع آخر أكثر إقناعًا وأقل تديُّنًا، فأدخلوا امرأة على الخط، وادّعوا أنها فائقة الجمال، وأنه عند دخوله الكوفة رآها فهام بها وأراد الزواج بها، وكانت من شروطها ألا يتزوجها حتى يقتل علي ﵁. وافترضوا لتبرير دافعها أن أباها وأخاها قُتلا مع أهل النهروان، والمعروف أن أولئك أبيدوا ولم يرجع أحد منهم أو من قرابتهم إلى الكوفة، بل الناجون منهم، وهم قلة قليلة، ذهبوا إلى خارج العراق.

وظهور امرأة على المسرح هنا يذكّرنا بما اتُّهم به عمران بن حطان من ولعه بفتاة "خارجية" استطاعت تغيير عقيدته وقناعاته إلى مذهبها، ونسبوا إليه زورًا بيتين من الشعر، هما:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغَ من ذي العرش رِضْوانا

إني لأَذْكُـرُهُ حيـنًا فأحْسَـبُه ... أوفـى البـريّةِ عِنـدَ اللـه مـيزانا

يزعمون أنه يمدح فيها ضربة "ابن ملجم"، مع أن عمران بن حطان لم يذكر اسم ابن ملجم صراحة. وحتى لو ثبت صحة هذا الشعر إليه، فربما كان يقصد به حادثة لرجل آخر في واقعة ما.

يُعَدُ الهجوم على ابن حطان من قبل الأقلام الحوزوية الشيعية ومن اقتفى أثرهم هجومًا لا يستند إلى أساس، وذلك فقط لكونه تلقى علوم الحديث والفقه عن: عائشة أم المؤمنين، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي موسى الأشعري ﷺ. فقد برع في علمه حتى صار محدثًا بارزًا، وقد روى عنه بعض المحدثين الأجلاء، ومنهم الإمام البخاري.

من الجدير بالذكر أن المصادر التاريخية لم تذكر كيفية دخول ابن ملجم إلى الكوفة، وهو بالأساس كان يُقيم في مصر. فهل يُعقل أن يتمكن في سنتين فقط، وهي المدة الفاصلة بين حادثة أهل النهروان ومقتل علي بن أبي طالب ﷺ، أن يجهز نفسه ويرتب رحلته، ويؤمن مسكنه بالكوفة، ويختلط بأهلها، ثم يصل إلى مراده؟ إننا ندرك تمامًا صعوبة مثل هذا الأمر في تلك الأزمنة. إن الأسباب والدوافع التي رافقت هذه القصة المفتراة واهية للغاية، بل هي أوهى من بيت العنكبوت وأعجز من أن تبرر تلك المهمة الانتحارية المزعومة.

وخلاصة القول أنه لم يثبت أن عبد الرحمن بن ملجم قد دخل العراق على الإطلاق. وحتى رواية أنه حارب مع علي ﷺ في صفين وغيرها لم تُتحقق صحتها.

إنني أتساءل لماذا يأخذ مشايخ أهل السنة والمتصدرون للمجالس التاريخية والعلمية الروايات الشعوبية على أنها حقائق مُسَلَّمٌ بها، وينثرونها على عوام أهل السنة والجماعة، بينما يهملون ما ورد عن مصادر موثوقة. على سبيل المثال، ذكر السمعاني في "الأنساب" أن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلى عمرو بن العاص ﷺ قائلًا: "قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقه، فوسع له مكان داره.".

وكذلك ذكر الذهبي في "تاريخ الإسلام" أن عمر ﷺ كتب إلى عمرو بن العاص ﷺ: "قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقه، فوسع له مكان داره".

وعلى نفس المنوال، أورد ذلك الصفدي في "الوافي بالوفيات"، وابن حجر العسقلاني في "لسان الميزان".

بالإضافة إلى أن ابن يونس ذكر في "تاريخ مصر" أن ابن ملجم أدرك عصر الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر ﷺ، وقرأ على معاذ بن جبل رضي الله عنه. وكان من العبّاد الأجلاء الذين شهدوا فتح مصر، واختط فيها دارًا مع الأشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه، وذكر الشيخ صالح آل الشيخ أن عمر ﷺ خاطب عمرًا بن العاص ﷺ قائلًا

عن ابن ملجم حين أرسله إليه: إني مرسل إليك رجلًا آثرتك به على نفسي هو عبد الرحمن بن ملجَم فإذا أتاك بكتابي هذا، فاتخذ له دارًا يقرئ الناس فيها القرآن".. **!؟**

والحقيقة تقول: إن دائرة التزوير الشعوبية بحثت عن شخصية تكون مشتركة بين عمر بن الخطاب وعمروٍ بن العاص رضي الله عنهما وزرع تلك الفرية بهذه الشخصية لعله يأتي بعد ذلك أحد المؤرخين أو تتهيأ الأرضية في قدوم الأزمنة لاتهام عمرو بن العاص بتدبير ذلك الاغتيال المزكى سلفًا من عمر رضي الله عنه.

والسؤال المشروع الذي يراود البعض الآن هو: إذا لم يكن ابن ملجم هو الذي اغتال عليًا رضي الله عنه ، فمن ذا الذي اغتاله؟**!**

والجواب على ذلك هو أن الذي اغتاله هي منظمة "حمراء الكوفة" (هذا إذا سلّمنا بفرضية الاغتيال)، ولم نذهب إلى فرضية إنه قُتل في معركة صفين وهي الفرضية التي تؤيدها بعض كتابات مؤرخي الروم الذين عاصروا تلك الفترة.

سبب مجزرة أهل النهروان ومسيرهم

تكملة لموضوع "أهل النهروان" وبعد شعور أغلب مسلمي العراق، ومنهم أهل الكوفة (باستثناء حمراء الكوفة ومواليها) بعدم جدوى البقاء مع علي ﷺ في حروبه المتناثرة، وإدراكهم بأنه لا يملك من الأمر شيئًا، وأن الحل والعقد كان بيد قادة ميليشيات حمرائها الذين استخدموا بعضهم في تلك الحروب بهدف القضاء على الإسلام وأهله، قرر سوادهم الأعظم، وهم من الصحابة والقراء وأهل الدين، أن يعتزلوا ذلك ويذهبوا إلى النهروان في وسط العراق، التي تبعد مسيرة يومين شرق الكوفة والتي كانت قريبة من المدائن.

وهنا جن جنون أولئك القادة فقرروا شيطنة تلك الفرقة، ليطلقوا عليها اسم "الخوارج" ويتهموهم زورًا بأنهم رفضوا سلطة كل حاكم، وألصقوا بهم أحاديث بعيدة عنهم وصفات لم تتطابق عليهم.

وبدأ التشويه الإعلامي يطالهم، ووصفوا عقائدهم بأوصاف مارقة وبعيدة عن الحق، واتهموهم بتهم جل رواياتها مكذوبة عليهم وطرائقها مضطربة لديهم. واستغلت سبئية الكوفة ذلك الحدث، وأخرجت من بين بواطنها جناحها الاغتيالي ونسبوه إلى تلك الفرقة،[331]. وهنا ظهر لنا أن الدعاية الحمرائية سرى مفعولها وأتت أكلها، فعملت على استغلال كل حدث لصالح اهدافهم،

إذن أصبح لدينا فرقتان:

الأولى: هم "أهل النهروان" الذين أطلقوا عليهم ظلمًا وعدوانًا لقب "الخوارج"، وهم الذين خرجوا من سلطة ميليشيات "حمراء الكوفة".

الثانية: هم الخوارج الحقيقيون من المنافقين الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه، وأغرقوا الإسلام وأهله بالفتن والحروب والمؤامرات والاغتيالات. وكانت عاصمتهم الكوفة، ولهم أوكار في البصرة ومصر، ويستعينون بكل فرقة منحرفة لتحقيق مآربهم الإجرامية.

تكملة لموضوع "مجزرة النهروان": نعرج هنا على الحادثة التي يُزعم أنها كانت سببًا لتلك المجزرة بحق "أهل النهروان". نجد أن بطلها المفترض، عبد الله بن خباب بن الأرت، قد اعترض أهل النهروان طريقه من البصرة إلى الكوفة، وذلك بناءً على كونه

[331] مثلما نشاهدهم اليوم يستغلون المنظمات الاجرامية والمشبوهة لتنفيذ اجنداتهم بالباطن وهم برئيون منها في الظاهر.

أحد ولاة علي ﵁. ولتعظيم مأساة هذه القصة، اختلق القصاصون قصة امتحانه ثم قتل زوجته معه، بالإضافة إلى ثلاث نسوة حاولن الدفاع عنهما.

وهنا نكتشف أن من اعتبرهم القصاصون "قديسين" في الإسلام، وهم: سعيد بن جبير، ومالك بن نويرة، وحجر بن عدي، ويلحقهم عبد الله بن خباب، قد قامت الدنيا من أجلهم ولم تقعد. هؤلاء هم الذين سُلِّط الضوء عليهم للادعاء، عبر مظلوميتهم المفترضة، بأن قادة الفتح وأمراء المؤمنين، ومنهم حكام وولاة بني أمية، كانوا ظالمين. وبذلك تُنسى الفتوحات والإنجازات والخدمات التي قدمها من ذكرناهم، وتُطمس سيرتهم بسبب ما تم تشويهه منها، وفي الوقت نفسه نغفل عن شهداء الإسلام الحقيقيين، وعلى رأسهم شهداء بدر وأحد، وشهيد المحراب عمر بن الخطاب، وشهيد الدار عثمان ﵄، وبقية الشهداء الأكابر وقادة الفتح الأوائل.

ولنفترض، على سبيل تصديق أكذوبة مقتل عبد الله بن خباب على يد أهل النهروان ومجيء علي ﵁، وعند سؤالهم عمن قتله، قالوا: "كلنا شركاء في قتله". وعلى هذا الأساس تمت إبادتهم. نتساءل هنا: أليس في جيش علي، بل معظمه، من قتلة عثمان ﵁ ؟ فلماذا نعتب على سيدتنا أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ﵃عندما أرادوا فقط القصاص من قتلة عثمان ﵁ دون غيرهم، بينما تصدى لهم بالسيف لا بالقول من تصدى، وأوغلوا في دماء الرعيل الأول من الصحابة؟

ثم، في أي شرع نقتل الآلاف من أجل رجل وزوجته؟ أليس رب العزة يقول: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[332]، وقال تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ} [333]؟! وعندما أدرك القصاصون اعتراض البعض وكشف ضعف روايات "حمراء الكوفة"، ادعوا أن أهل النهروان قالوا: "كلنا قتلة وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم". ولا يعرف بالتحديد من قال هذا القول، ولا من الذي خوله لقوله؟ وادعى فسقة الباطنية الذين جاؤوا بالإفك أن أهل النهروان لديهم خطة مفادها أنهم سيغزون الكوفة أثناء انشغال علي ﵁ في أرض الأنبار لتجهيز العودة لقتال معاوية ﵁.

ولكي يضخموا تلك الكذبة ويزيدوها إثارة، ادعوا أن أهل النهروان جاءهم مدد من رفقائهم بالبصرة إلى منطقة النهروان ليدخلوا الكوفة.

نعود للروايات التي تقول أن عليًا ﵁ طلب من أهل النهروان تسليم قتلة عبد الله بن خباب" "وهنا لنا وقفة ونتعجب في الوقت نفسه ونتساءل، هل مطالبة علي ﵁ بدم عبد

[332] النجم: 38

[333] المائدة: 45

الله بن خباب «على حق»[334]، ومطالبة معاوية ﵁ بدم الخليفة عثمان ﵁ «على باطل»[335]... !؟

وكعادة الشيعة في الكذب وتكراره حتى يصدقه الناس، عمدوا إلى خلق قبرٍ ومزارٍ لعبد الله بن خباب، حاله حال قبورهم ومزاراتهم الوهمية التي يقدسونها. وهنا، على أهل السنة أن يتوقفوا ويدركوا أن هذا التزييف وإعادة ترديد هذه الروايات المنحرفة ما هي إلا خدمة للمشروع الشيعي، ليس في أزمنتنا فحسب، وإنما عبر التاريخ. ومع الأسف، وجدت بعض المتصدرين للخطاب السني، بل إن بعضهم يحمل شهادة الدكتوراه في العقيدة، مثل عبد الرزاق البدر، يقرر ويكرر مثل هذه الروايات المتهافتة في إحدى محاضراته على "اليوتيوب" عن عبد الله بن خباب. فالحذرَ الحذرَ من نقل وترويج مثل هذه الأقاصيص والروايات حتى لا نزيد من التلوث الذي أصاب أهلنا، ويتسبب ذلك في انحرافهم عن جادة الصراط المستقيم.

وفي سياق تحليل دماء أهل النهروان، دعونا نكمل هذه الرواية المتهالكة التي تدعي أن الصحابي أبا أيوب الأنصاري ﵁ كان في جيش علي ﵁، وأنه أعطاه الراية ونادى بأن من جاء تحت هذه الراية فهو آمن. ولكن المعلوم أن أبا أيوب الأنصاري ﵁ كان تحت ظلال الدولة الأموية ومن الموالين لها، وفي جيشها، بل إنه توفي على أسوار القسطنطينية تحت إمرة جيش كان يقوده يزيد بن معاوية ﵀.

ولا ننسى هنا أيضًا سرقة قول النبي ﷺ "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"[336] وإسقاطه مع السرقات العديدة على القول المذكور آنفًا مثلما سرقوا قول معاوية في صفين لأصحابه "كفوا حتى يبدأوكم بالقتال" وأسقطوه على قول علي ﵁ وأنه قال لأصحابه يوم النهروان هذا القول.

وعودًا على بدء، ففي معركة النهروان نجد أن الاضطراب في روايات عدد جيش حمراء الكوفة وما يقابله من أهل النهروان دليل على أمرين:

الأول: إما أن المجزرة لم تقع أصلًا، رغم أن جميع الشواهد تقول أنها وقعت.

---

[334] وهو لا تربطه أي صلة قرابة ولو فرضنا أنه عامله فهل يقتل به جيشاً من المسلمين..!؟

[335] كان عثمان الخليفة ومعاوية من عماله فضلا عن قرابته ..!؟

[336] جاء هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم في سياق فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة. عندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحًا، أعلن الأمان لأهلها بعد سنوات طويلة من العداء والحرب. ورد الحديث في صحيح مسلم بلفظ قريب، وفي سنن أبي داود.

أو الافتراض الثاني: هو التعتيم على جريمة يحاول جل رواتها من "الشيعة" إخفاء الحقيقة من خلال تشويههم أو دسهم، وتبعهم بعض رواة "السنة" في نقل هذه الأكاذيب عنهم بقصد أو دون قصد، أو غفلةً عن التحقق من صحتها. ونحن نرجح الأمر الثاني، وعليه نجد أن:

ـ البلاذري: يذهب إلى أن جيش "حمراء الكوفة" كان أربعة عشر ألفًا.

ـ المسعودي: يروي أنهم خمسة وأربعون ألفًا.

ـ أبو مخنف: يذكر أنهم كانوا ثمانية وستون ألفًا ومئتان.

أما أهل النهروان، فنجد أن الروايات المتضاربة تقول مرة إنهم كانوا أربعة آلاف، ورواية تقول إنهم كانوا ألفًا وثمانمائة، وأخرى تذهب إلى أنهم كانوا ألفًا أو أقل.

ولنختار، على سبيل الافتراض، أقل عدد تم ذكره عن جيش "حمراء الكوفة" لنجد أنه أربعة عشر ألفًا، في مقابل أعلى عدد تم ذكره عن أهل النهروان، لنجد أنهم كانوا أربعة آلاف، لنلاحظ أن جيش "حمراء الكوفة" كان أكثر من ثلاثة أضعاف أهل النهروان،

والحقيقة أن أهل النهروان لم يتجاوز عددهم في تلك الواقعة أكثر من ألف ونيف على أصح الروايات، في مقابل جيش "حمراء الكوفة" الذي يزيد عن عشرين ألفًا في متوسط عدد ما تم ذكره في الروايات. ولك أن تتصور التفوق الهائل في العدة والعدد الذي يبلغ عشرين ضعفًا، ودوره الحاسم في تلك الواقعة.

تقول بعض الروايات إن عليًا ﵁ استشار مشورة تحمل في طياتها رسالة تحذيرية، لا نستبعد أن لـ"حمراء الكوفة" دورًا في صياغتها وبثها، مفادها: هل نكمل طريقنا إلى الشام فيقتل الخوارج أهليكم أثناء غيابكم، أم نرجع إلى الخوارج..؟

وهنا مربط الفرس والحجة التي كان ينتظرها المتربصون بأهل النهروان. فارتفعت أصوات "الحمراء" منتهزين هذه الفرصة الذهبية بالقول: "بل نرجع إلى الخوارج" (أي أهل النهروان). ووفقًا للأعداد التي ذكرناها، التقى الفريقان في صفر من عام (37هـ) بـ"النهروان".

ولأول مرة في تاريخ المعارك، هذا إذا افترضنا أن معركة كهذه قد حدثت بالفعل، أن يقوم جيش بالتخلي عن سلاح استراتيجي في ذلك الوقت وهو الرماح، ويلقيه وراء ظهره قبل الدخول في المعركة. والذي صاغ هذه الرواية الغبية حتى يغطي على أمرٍ

سنذكره في نهاية هذا المبحث، عزاها لطلب قائدهم الراسبي منهم حتى "لا يناشدوهم كما ناشدوهم من قبل وقد يستجيبون لهم".

يعني هل يعقل قائدًا مثل الراسبي وأحد أبرز قادة فيالق فتح العراق تحت إمرة سعد بن أبي وقاص ﵁ يقع في هذا الجهل الذي يتجنبه أي جندي مبتدئ، فكيف والحال مع قائد متمرس قضى عمره في معارك مصيرية؟!

وما أوردناه هو نصف حقيقة ما حدث، إذ تشير الدلائل ويقودنا المنطق إلى الحقيقة الكاملة التي تقول: إن جيش "حمراء الكوفة" عندما ذهب إلى تلك الموقعة، رفع أهل النهروان بأيديهم خيوط الحرير للدلالة على سلمية هدفهم في وجه ذلك الجيش، وهم يناشدونهم بالله والرحم. وجلهم من القراء الزاهدين الذين تمنعهم عبادتهم وتقواهم من إراقة الدماء. فجرت مفاوضات استسلام تخلى أهل النهروان بموجبها عن رماحهم وسيوفهم وخيلهم وبقية أسلحتهم، ثم تقدموا كالأسرى المجردين من أسباب القوة، وقادهم جيش "حمراء الكوفة" وهم يحاصرونهم من كل جانب إلى مفازة قريبة.

الصحابة الذين تم قتلهم في مجزرة أهل النهروان

هناك في تلك الفلاة، وبعد أن وثق أهل النهروان بعهد "حمراء الكوفة" الذين لا عهد لهم، قاموا بشد وثاقهم وإعدامهم غدرًا، وارتكبوا أول مجزرة حدثت لطائفة من المسلمين. ويؤرخ أهل السنة بعمومهم ويتحدثون عن الصحابة الذين استشهدوا في معركتي الجمل وصفين، والذين كانوا يقاتلون ضد ميليشيات "حمراء الكوفة"، وينسون، بل يكادون لا يذكرون، ومعظمهم لا يعرفون أن هنالك صحابة استشهدوا في مجزرة "أهل النهروان". فبالإضافة إلى الصحابيين حرقوص بن زهير السعدي وعبد الله بن وهب الراسبي اللذين أوردنا سيرتهما، نذكر لكم اليوم بعض الصحابة من القادة وغيرهم الذين استشهدوا في تلك المجزرة، ومنهم:

ـ عمير بن الحارث السلمي الأنصاري رضي الله عنه

صحابي جليل اتفق ابن الأثير وابن حجر على كونه من السابقين للإسلام، حيث شهدا له بالانضمام لبيعة العقبة والمشاركة في غزوات بدر وأحد، ولد في المدينة المنورة مع الإشارة إلى لقبه "مقرنًا" لشجاعته. بينما تبرز بعض المصادر، مثل البرادي، مشاركته ضمن صفوف أهل النهروان.

ـ هرم بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه

هرم بن عمرو الأنصاري، المعروف أيضًا بهرم بن عبد الله الأنصاري، هو صحابي جليل من الأنصار، شهد أحداثًا مهمة في صدر الإسلام. ذكره المؤرخون مثل البرّادي في "أهل النهروان"، وابن عبد البر وابن الأثير في مصنفاتهم عن الصحابة. ينتمي هرم إلى بني عمرو بن عوف، وقيل أيضًا إلى بني واقف الذين كانوا حلفاء لبني عمرو بن عوف، وهو ما يفسر اختلاف النسب في بعض المصادر. عُرف رضي الله عنه بأنه أحد "البكائين" الذين نزلت فيهم الآية الكريمة "تولوا وأعينهم تفيض من الدمع"[337] ، وذلك لشدة شوقهم للمشاركة في الغزو وعجزهم عن توفير الزاد والراحلة. لا تتوفر معلومات دقيقة حول تاريخ ومكان ولادته أو وفاته بالتقويم الهجري.

ـ الخِرّيت بن راشد السامي الناجي رضي الله عنه

أجمع كبار مؤرخي الصحابة على إدراج الخرّيت بن راشد ضمن قائمة الصحابة، وذلك لكونه التقى بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في وفد من قومه، وأبرز من ذكره كصحابي: ابن عبد البر في "الاستيعاب في معرفة الصحابة"، وابن الأثير في "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، وابن حجر العسقلاني في "الإصابة في تمييز الصحابة".

---

[337] التوبة: 92

شهد الخرِّيت بن راشد معركتي الجمل وصفين إلى جانب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مما يدل على مشاركته الفعالة في الأحداث الكبرى التي أعقبت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن بعد معركة صفين، اختلف الخرِّيت مع سلطة أهل الكوفة وخرج عنهم، ليصبح أحد رموز "أهل النهروان" وزعيمًا لهم. من المصادر التي ذكرت أنه كان مع علي ثم انشق عن حكومته: تاريخ الطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وأنساب الأشراف للبلاذري، انتهى مساره باستشهاده حوالي عام 38 هـ في النهروان ويقال في الاحواز، بعد مطاردة القوات الكوفية له.

ـ زيد بن حصن (أو حصين) الطائي رضي الله عنه

زيد بن حصن (أو حصين) الطائي يُعد من الصحابة عند أبي المؤثر والبرّادي. كما أورده ابن حجر العسقلاني في القسم الأول من "الإصابة"، مستندًا إلى ما ذكره الهيثم بن عدي وابن حبان في "الثقات" من أنه كان عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على حدود الكوفة، معللاً بأن الخلفاء الراشدين لم يكونوا يولّون إلا الصحابة. إلا أنه ذُكر أيضاً ضمن "أهل النهروان" من قبل عدة مؤرخين منهم ابن غيلان، وأبو المؤثر، والبلاذري في "أنساب الأشراف"، والطبري في "تاريخ الرسل والملوك"، والشماخي في "كتاب السير". تشير هذه المصادر إلى دوره في حركة أهل النهروان، والأهم أن العديد من المصادر التاريخية مثل تاريخ الطبري، والمنتظم لابن الجوزي، والبداية والنهاية لابن كثير، تؤكد أنه كان أحد قادتهم الذين قُتلوا في موقعة النهروان.

ـ شجرة بن أوفى السلمي رضي الله عنه

شجرة بن أوفى السلمي هو صحابي جليل ذكره البرّادي والشماخي، اللذان أكدا أنه من الصحابة البدريين، أي الذين شهدوا غزوة بدر الكبرى (2 هـ)، مما يمنحه منزلة رفيعة. كما ذكر هذان المؤرخان أنه شهد معركة النهروان (38 هـ). بالإضافة إليهما، ابن حجر العسقلاني في "الإصابة في تمييز الصحابة" يذكره ضمن الصحابة، وهناك إشارات في المصادر التاريخية العامة التي تتناول القرن الهجري الإسلامي الأول، مثل بعض الروايات في تاريخ الطبري، قد تربط اسمه بأحداث النهروان أو أهلها، وإن لم تركز عليه بشكل تفصيلي. أحياناً يحدث التباس بينه وبين "عبد الله بن شجرة السلمي" (المذكور عند البلاذري والطبري) الذي شهد النهروان أيضاً.

ـ فروة بن نوفل الأشجعي ﵁
فروة بن نوفل الأشجعي شخصية تاريخية أثارت الجدل حول صحبته، فابن حجر اختلف في ذلك ورجح أن الصحبة لأبيه، بينما وثقه الذهبي وأشار إلى احتمال صحبته. أما ابن حبان فقد ذكره في "ثقات التابعين" مع ذكر الرأي القائل بصحبته أيضًا. روى فروة عدة أحاديث عن أبيه وعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها). ويذكر بعض المؤرخين أنه اعتزل الأحداث ومعه خمسمائة فارس متوجهًا إلى شهرزور، ثم إلى النخيلة قرب الكوفة. وقد ادعى البعض أنه خرج على المغيرة بن شعبة وقُتل في شهرزور أو سواد العراق، مستندين إلى مصادر مثل تاريخ الطبري، الكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية. ومع ذلك، الظاهر من سياق الأحداث أنه كان مع أهل النهروان وقُتل معهم هناك،

تؤكد معظم الروايات التاريخية أن جماعة أهل النهروان، بمن فيهم الصحابة الذين كانوا معهم، أُبيدوا عن بكرة أبيهم. تشير أصح الروايات إلى أنه لم ينجُ منهم أحد، بينما ذكرت روايات أقل اعتبارًا نجاة اثنين أو تسعة منهم فقط. في المقابل، لم يُقتل من جيش الكوفة سوى رجلين في أصح الروايات، وهي التي أخرجها مسلم بلفظ: "وما أُصيب من الناس يومئذ إلا رجلان"، وقيل تسعة.
هذا التفاوت الكبير في أعداد القتلى يوحي بأن أهل النهروان لم يخوضوا قتالاً بالأصل، بل استسلموا للسلام قبل أن يُقتلوا غدرًا. فالمنطق يفرض أن جماعة قوامها أكثر من ألف مقاتل لو ألقوا الحجارة لقتلوا عشرات من جيش يتراوح تعداده في المتوسط عشرين ألفاً. ومما يؤكد هذا الاستنتاج إشارات بعض الروايات مثل:

ـ "قُتل بعضهم على بعض"،
ـ "كأنما قيل لهم: موتوا فماتوا"،
ـ "فانجلت الخيل عنهم وهم مكبّون على وجوههم".
ـ وفي رواية البلاذري والطبري: "فما لبثوا أن أُهمدوا في ساعة". هذا يشير إلى أن المجزرة حدثت بسرعة بالغة، ويبقى السؤال حول علم علي ﵁ بتلك المجزرة أو مشاركته فيها. يميل بعض الباحثين إلى ترجيح أنه لم يكن على علم مباشر بما حدث في لحظتها هذا اذا لم نذهب إلى رواية أنه لم يشهدها اصلاً بسبب مقتله قبل ذلك.

وقد تم القضاء على "أهل النهروان" في تلك المجزرة التي وقعت في "شعبان من سنة ثمان وثلاثين للهجرة"[338]، ويبدو أن ذلك كان بسبب الخطر الذي مثلته هذه الجماعة على بعض التوجهات السياسية في الكوفة آنذاك. فقد كانوا من "القراء"، وهم فئة من الصحابة والتابعين اشتهرت بعلمها بالقرآن والسنة، وكان أهل الكوفة يرجعون إليهم لاستقاء تعاليم الدين. يشرح ابن خلدون مكانة "القراء" في صدر الإسلام بقوله: "ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم. وإنما كان ذلك

[338] ورد تاريخ تلك الواقعة في كتاب تاريخ خليفة بن خياط.

مختصًا بالحاملين للقرآن، العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ومحكمه، وسائر دلالته بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم. وكانوا يسمون لذلك القراء أي الذين يقرأون الكتاب، لأن العرب كانوا أمة أمية، فاختص من كان منهم قارئًا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة، وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلمًا، فبُدِّلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء". ويضيف: "القراء أي الذين يقرأون الكتاب وليسوا أميين، لأن الأمية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربًا، فقيل لحملة القرآن يومئذ قراءٌ إشارة إلى هذا. فهم قراءٌ لكتاب الله والسنة المأثورة عن رسول الله، لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه ومن الحديث الذي هو في غالب موارده تفسير له وشرح". اهـ

وبالإضافة إلى مكانتهم كقراء، فإن ما قدموه من جهاد وفتوحات كان أكثر وأكبر من جهاد وفتوحات من كان مع علي رضي الله عنه. ولذلك، كانوا يمثلون ثقلاً اجتماعياً كبيراً في المجتمع الكوفي لما لهم من صحبة وتاريخ جهادي، ورصيد معرفي. وحتى لو افترضنا أن أبا أيوب الأنصاري ﵁ كان مع علي ﵁، فقد ختم حياته جندياً في جيش يزيد بن معاوية، وعليه، فإن الفضل بعد توفيق الله في هذا الجانب يعود لمعاوية ﵁ ويزيد في قيادتهما.

الألقاب التي أُطلِقَت على أهل النهروان وتفنيدها

دأبت بعض الجهات التي عرفت تاريخياً بـ "حُمراء الكوفة" – والتي مثّلت خط المواجهة المتقدّم للدفاع عن فكرٍ معيّن – على التستّر على جرائمها بإغراق خصومها بالاتهامات والأوصاف السلبية. هذه التهم غالباً ما تكون مما يتصف به هؤلاء أنفسهم، بهدف تضييع الحقائق وسط صخب الافتراءات التي يكيلونها لخصومهم. نرى هذا النهج يتكرر في عصرنا الحديث؛ فبعد ما ارتُكب بحق أهل السنة من ممارسات، بدأت دعايتهم الإعلامية بنشر اتهامات مثل: "الوهابية، البعثية، الداعشية، إلخ". وهو النهج ذاته الذي اتُّبع سابقاً مع أهل النهروان، حيث نُسجت لهم مسميات في معاقلهم الدعائية، منها:

الخوارج:
أُطلق عليهم لقب "الخوارج" بدعوى خروجهم على علي بن أبي طالب. الملفت للنظر أن هذا اللقب لم يُطلق على من خرجوا على عثمان بن عفان، مما يكشف عن ازدواجية في المعايير. يؤكد الشهرستاني في "الملل والنحل" أن: (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان).

الحرورية:
يُزعم أن أصل تسمية "الحرورية" يعود إلى مكان اسمه "حروراء" قرب الكوفة، حيث خرج أسلافهم على علي بن أبي طالب. ولكننا، بصفتنا من أهل العراق وسكانه، لم نعثر على أي أثر أو تأكيد لوجود مكان يحمل هذه التسمية، وقد فصّلنا ذلك في فصول سابقة من هذا الكتاب.

الشراة:
قال الأشعري عن سبب تسميتهم بـ "الشراة": (قولُهم: شَرَينا أنفُسَنا في طاعةِ اللهِ، أي: بِعْناها بالجنَّةِ**!**). غير أن أهل النهروان لم يصرحوا بهذا القول، بل نُسب إليهم كاتهام، شأنهم شأن الألقاب والأوصاف الأخرى التي أُلصقت بهم زوراً.

المارقة:
سُمّوا بـ "المارقة" لادعاء انطباق أحاديث المروق الواردة في (الصحيحين) عليهم، كحديث مروق السهم من الرمية. وقد بيّنا في مواضع أخرى بطلان هذه الأحاديث على أهل النهروان.

المحكمة:
أُطلق عليهم لقب "المحكمة" لسببين محتملين: إما لرفضهم تحكيم الحَكَمين، وإما لكثرة ترددهم مقولة: (لا حُكمَ إلَّا للهِ). ومع ذلك، فإن رواية تحكيم الحكمين لم تثبت صحتها. والأدهى من ذلك، كيف يُقال إنهم لا يرضون بأي حاكم أو قائد ويحيلون الأمر لله، بينما سجّل الرواة بعد ذلك العديد من أسماء قادتهم وزعمائهم الذين ذكرناهم في فصول سابقة من هذا الكتاب.

النواصب:
أُطلق عليهم لقب "النواصب" بداعي مبالغتهم في إظهار العداء لعلي بن أبي طالب. إلا أن هذا اتهام زائف، وقد بيّنا ذلك بالتفصيل في مبحث "النواصب" وكيف أن هذا المصطلح استخدمته الشيعة لاتهام كل من انحرف عن نهجهم.

أهل النـهروان:
جاءت هذه التسمية نسبة إلى المنطقة التي استقروا فيها، والتي شهدت المجزرة بحقهم.

المكفرة:
ادُّعي عليهم أنهم يكفّرون بالكبائر ويكفّرون من خالفهم من المسلمين. هذا الاتهام يماثل ما تروّجه الدوائر الشيعية حالياً ضد أهل السنة بوصفهم بـ "التكفيريين". يظهر من هذا التكرار كيف تُعاد صياغة وتكييف هذه النعوت السلبية لتُستخدم عند الحاجة في أي زمان ومكان.

السبئية:
زُعم أن نشأة أهل النهروان تعود إلى الفتنة التي أشعلها عبد الله بن سبأ. هذا الاتهام يشير إلى أن من يرمي به، هو ذاته المتهم بما يدعيه، وكأنما يلقي بأسهمه ثم ينسحب تاركاً التهمة لغيره.

الشاكية:
ادُّعي عليهم أنهم رفضوا التحكيم وقالوا لعلي بن أبي طالب: "شككتَ في أمرك وحكمتَ عدوك من نفسك"، فسموا بذلك بـ "الشكاكية". وهنا نستذكر رواية زعمت أن عبد الله بن وهب الراسبي، أحد قادتهم أثناء القتال قال عن نفسه ومن معه: "ما أدري إلى الجنة أم إلى النار" (أي مصيرهم). إذا صح هذا القول المنسوب لأحد قادتهم، فيُطرح التساؤل: كيف يقبلون هذا الشك من قائدهم بينما يرفضونه من إمامهم...!؟

الإباضية:
وهذه الفرقة لأهميتها ووجودها في أزمنتنا الحاضرة، سنورد فصلًا قادمًا لها في كتابنا هذا مفصل عنها.

العقائد المنسوبة زوراً لأهل النهروان

لقد شهد عصرنا الحالي تمايزاً واضحاً عن الفكر الشيعي، فاستطعنا إعادة فهم القرآن والسنة إلى جوهرهما الأصيل، بعيداً عن التشويش القائم على العصبية الشعوبية، والتفسيرات والتأويلات والتدليسات التي سعت وتسعى لهدم الإسلام من داخله. ومع ذلك، لا تزال هناك شوائب ومفاهيم ملوثة من التاريخ الإسلامي، لا سيما في قرونه الثلاثة الأولى، تقف عائقاً أمام هذا التمايز. وقد تغلغلت هذه المفاهيم في أذهان غالبية أهل السنة، حتى غدا بعضها من المسلمات التي يحظر الاقتراب منها أو قبول أي رأي مخالف، مهما تعددت البراهين والأدلة. وهذا ما نواجهه اليوم من صعوبة في تصحيح العديد من المفاهيم المغلوطة وإعادتها إلى حقيقتها، سواء كانت تتعلق بالروايات، الشخصيات، الوقائع، أو حتى المصطلحات والعقائد.

إذا سلمنا جدلاً بأن علي بن أبي طالب لم يُقتل في صفين، كما ذهبت بعض الروايات، وخاصة ما ذكره بعض المؤرخين غير المسلمين، نجد أن "حُمراء الكوفة" قد حاولت تبرئة نفسها من أفعالها المشينة في معركتي الجمل وصفين. لقد لجأت إلى شن حملة دعائية توهم السذج بأنها على حق، وأنها تدافع عن الدين والقيم من خلال إجهازها على "أهل النهروان" وتصويرهم بـ "كلاب النار" وشرار الخلق. وبذلك، حققت هدفين: الأول هو تبرير أفعالها المذكورة آنفاً، والثاني هو اتهام أهل النهروان بعقائد منحرفة هي في الحقيقة أساس عقائد "حُمراء الكوفة" أنفسهم.

تُظهر العديد من الروايات التاريخية تناقضاً واضحاً بين الاتهامات الموجهة لأهل النهروان وواقع عبادتهم وزهدهم. فقد روى ابن عباس -رضي الله عنه- في وصفهم: "دخلت عليهم فلم أرَ قومًا أشد منهم اجتهادًا، جباههم قرحة من السجود، وأياديهم كأنها نقر الإبل، وعليهم قمص مُرحَّضة، مشمِّرين، مشهمة وجوههم من السهر.".[339]

كما أورد عبد الله البجلي رواية أخرى تشهد على ورعهم، حيث قال: "لما فارقت الخوارج علياً خرج في طلبهم فانتهينا إلى عسكرهم فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن، وإذا فيهم أصحاب البرانس، أي الذين كانوا معروفين بالزهد والعبادة".[340]

إن الكثير من هذه الشهادات التي تصف صلاحهم وتقواهم موثقة في الأدبيات الإسلامية. ومع ذلك، تبدو الروايات التي تنقلها جهات معينة، والتي قد تتنافى مع روح الشريعة الإسلامية وأهداف القرآن والسنة، وكأنها تسعى للقول بأن التقوى والعبادة لا تشكل حصناً من الوقوع في كبائر المعاصي والموبقات. هذا الطرح يوحي بوهن أسس الدين،

339 كتاب المنتظم في تأريخ الملوك والأمم ـ ابن الجوزي

340 فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني

وبالتالي بفساد العقائد التي يحملها المسلمون. وهنا يبرز تساؤل مهم: إذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكيف والحال مع أهل النهروان الذين أفاضت الروايات في وصف عظيم عبادتهم وعلو اجتهادهم في التقوى والورع..؟ ألم يكن لجهدهم العبادي أثر في ردعهم عما ألصق بهم من عقائد زائفة وكبائر مُختلَقة..؟

ننتقل هنا إلى أبرز العقائد المنحرفة التي اتهموا بها أهل النهروان، ومن أشهرها:

ـ أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

ـ تكفير مرتكبي الكبائر، بل بالغ بعضهم في ذلك حتى كفّروا كل من ارتكب ذنباً، ولو كان صغيراً، معتبرين إياه مشركاً مخلداً في النار.

ـ تبرؤهم من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، واتهامهم بشكل عام لهما ولمن والاهما بالانحراف عن دين الله..[341]

الغريب في الأمر أن العديد من هذه العقائد التي تبدو غريبة قد أُلصقت بهم دون أي إثبات أو تثبت. والأغرب من ذلك كله أنه لم يُعثر على كتاب مصنف أو رواية صحيحة ثابتة صادرة عنهم مباشرة. بل إن جميع ما نُقل عنهم كان مجرد تناقل بين الناس. في هذا الصدد، ذكر ابن تيمية في مجموع رسائله الكبرى حول هذا الموضوع قائلاً: "وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس، ولم نقف لهم على كتاب مصنف، كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والأشعرية وأهل المذاهب الأربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء." أهـ

إن هذا التشدد والغلو الذي نُسب لأهل النهروان يُعيد إلى الأذهان اليوم ما يُلاحظ في العديد من الجماعات المسلحة المتطرفة التي يُزعم أنها صنيعة أطراف نافذة، والتي نشأت في المنطقة ونُسبت زوراً إلى أهل السنة. وقد زوّدت هذه الجماعات بأدبيات تغالي في الأحكام والمعتقدات، بهدف حصر أهل السنة عموماً ضمن دائرة الاتهام بالتطرف. وبالتالي، تصبح هذه الجماعات ركيزة لمشاريع تلك الأطراف. هذا النمط يتشابه بشكل لافت مع ما قامت به بعض التيارات السرية في الكوفة، التي كانت تحمل في جوهرها تلك العقائد المنحرفة، وأرادت أن تُسقطها على أهل النهروان. لذلك، سُخّرت كتاباتهم وإعلامهم لنشر تلك الاتهامات في تلك الفترة، مما مهد الطريق لظهور جماعاتهم على الساحة والتحريض على الاغتيالات والمواجهات، وكل هذه الأفعال نُسبت زُوراً وسُمّيت باسم أهل النهروان.

341 وهنا حتى لو ثبت عدم براءتهم مما ذكرنا نشير إلى أن الشيخ ابن باز يقول: من يخرج على الحاكم ليس خارجيًا، إنما الخارجي من يكفر جماعة المسلمين ويستحل دمائهم.

ما بعد واقعة النهروان

سواء علم علي ﷺ أو لم يعلم، أو شارك أو لم يشارك في واقعة النهروان، فإن السواد الأعظم من جيشه ودولته التي تلاشت بعد هذه الموقعة، قد انفكوا عنه. وفي هذا الصدد، يذكر ابن كثير عن ابن جَرِيرٍ أَنَّ عَلِيًّا: لما نكل أهل العراق عن الذهاب معه إلى الشام خطبهم فوبخهم وأنبهم وتوعدهم وهددهم وتلا عليهم آيات في الجهاد من سور متفرقة، وحث على المسير إلى عدوهم فأبوا من ذلك وخالفوه ولم يوافقوه، واستمروا في بلادهم، وتفرقوا عنه هاهنا وهاهنا. قيل إن ذلك بسبب قتله الخوارج لأنهم كانوا قراباتهم وإخوانهم ويرونهم أفضلهم وخيرهم لعبادتهم وقراءتهم فتثاقلوا عنه وهجروه، فدخل عند ذلك إلى الكوفة في حالة الله بها عليم .[342]

وهذه الصورة تبين لنا أن الناس حينها حملته مسؤولية تلك الواقعة، حتى لو لم يكن له يد فيها، وهي تُعدُّ الخطأ الاستراتيجي الأعظم الذي اقترفه، خصوصًا وأن أغلب ضحايا تلك الواقعة هم "قراء الكوفة". وتروي عدد من المصادر التاريخية أن عليًّا عندما رجع من المعركة جاءته ابنته تهنئه بالنصر الذي حققه، فرأته واجمًا حزينًا، فقال: "ماذا فعلنا؟ قتلنا قراءنا وفقهاءنا..!"

وعن ابن عباس ﷺ قال: حدثني قنبر مولى علي ﷺ قال: "تحولت أنا وعلي إلى النهر بعد القتال، فانكب طويلًا يبكي". فقال لي: "ما يبكيك؟" قال: "ويحك، صرعنا هاهنا خيار هذه الأمة وقراءها." فقلت: "أي والله، فابكِ." وبكى طويلًا.

وذكر الطبري في تاريخه أن عليًّا ﷺ كان يقول بعد مجزرة النهروان: "مالي لا أسمع قراءة القرآن كما كنت أسمعها من قبل؟ لقد نشدتُ دويَّ النحل حين فقدتهم، ويعسوب ذاك النحل منه خبير!"

وهذا يفسر لنا كيف أن مسجد الكوفة قد جاءت روايات عنه أنه "قُرِّعَ المسجد حين أصيب أصحاب النهر" كما يقرع الرأس إذا ذهب الشعر، أي أن أهل النهروان الذين كانوا يملؤون مسجد الكوفة، لما قُتلوا بالنهروان فرغ المسجد.

ثم نجد رب العزة يذكر في سورة التوبة {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[343] أليست هذه الصفات، التي كان يتحلى بها أهل النهروان، تجعلهم

342 البداية والنهاية ـ ابن كثير.

343 سورة التوبة/ الأية 112

في عداد المؤمنين المبشرين؟ أم أن التقوى والنشاط في العبادة يمكن أن يؤديا إلى الفتنة والانحراف وسخط الله؟

ثم إن الله أخبرنا {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}[344] هل هذه العلامات تنطبق على أهل النهروان، الذين وُصِفوا باجتهادهم في العبادة، وخاصة الصلاة، حتى ليُسمع أزيز النحل في بيوتهم من كثرة ذكر الله وتلاوتهم للقرآن؟

وعن طارق بن شهاب أنه قال: كنت عند علي، فسُئل عن أهل النهر: أمشركون هم؟ قال: "من الشرك فروا". قيل: فمنافقون هم؟ قال: "إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً". قيل له: فما هم؟ قال: "قوم بغوا علينا"[345]

وهنا نتساءل: لو افترضنا -من باب الجدل- أن فيهم بعض خصال المنافقين، فهل يستحقون كل هذا القتل والتنكيل بهم؟

إذن، فحملة الكوفة لم تستهدف فقط أشخاص أهل النهروان والعقائد المزيفة التي أُلصقت بهم، بل استهدفت القوانين الربانية والقواعد الإلهية بالطعن، وكأنهم يقولون: إن عبادة الله وطاعته حسب الوصايا الإسلامية لا تغنيك ولا تحصنك. بل إن أئمتهم المفترضين المؤيدين للدين الذي يخدم مصالحهم برواياتهم المكذوبة عليهم هم سفينة النجاة. وهذا من باب طعن في دين الله، ومن باب آخر تعظيم لغير صراطه.

[344] سورة النساء/ الأية 142

345 رواه ابن أبي شيبة ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة عن يحيى بن آدم عن مفضل بن مهلهل عن الشيباني أبي إسحاق عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أنه قال: كنت عند علي فسئل عن أهل النهر أمشركون هم؟. قال: من الشرك فروا. قيل: فمنافقون هم؟. قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل له: فما هم؟. قال: قوم بغوا علينا. وهذه الرواية نفسها نجدها في مصنف ابن أبي شيبة ولكنه يقصد بها أهل الجمل حيث جاء عن يزيد بن هارون عن شريك عن أبي العنبس عن أبي البختري قال: سئل علي عن أهل الجمل قال: قيل: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا، قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا؛ قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

خلاصة مبحث أهل النهروان

ـ تَعَمَّدَ البعضُ شيطنةَ أهلِ النهروان، وأُطلقت عليهم عدة ألقاب منها: "الخوارج" و"السبئية" و"النواصب" و"المكفِّرة"، وغير ذلك.

ـ الأحاديث النبوية التي ربطها البعض بأهل النهروان لا علاقة لها بهم إطلاقًا.

ـ حرقوص بن زهير السعدي وعبد الله بن وهب الراسبي صحابيان جليلان ساهما في فتح العراق وفارس، وقد أُقحما في أحاديث نبوية لا صلة لهما بها.

ـ من الأدلة على عدم صحة الروايات المرتبطة بأهل النهروان وتحريفها، هو تضارب شهادات رواتها حول عددهم، فما إن يبحث المرء عن عددهم وعتادهم الحقيقي حتى يجد تناثرًا وتناقضًا واضحًا في تلك الروايات.

ـ ليس للإباضية أي صلة تاريخية أو حالية بأهل النهروان، سوى ادعائهم التعاطف معهم، وهم أقرب للشيعة منهم إلى السنة، حتى إن البعض عدَّهم إحدى فرق الشيعة.

ـ الذين وضعوا الروايات الملفقة عن سير وأحوال أهل النهروان كانوا يجهلون جغرافية العراق، بل يظهر أنهم لم يكونوا من سكانه.

ـ قُتل العديد من الصحابة الذين كانوا مع أهل النهروان.

ـ عبد الرحمن بن ملجم ليس من "الخوارج"، وهو بريء من أي علاقة بأهل النهروان الذين وُصفوا بـ"الخوارج"، ولا تربطه بهم أي صلة رحم أو ولاء عقائدي، وهو بعيد كل البعد عن تهمة اغتيال علي ﷺ

ـ جاءت بعض الأحاديث تشير إلى أنهم يخرجون في آخر الزمان[346] وهذه الأحاديث تدل على أن أهل النهروان الذين ظهروا قبل حوالي ألف وأربعمائة سنة ليسوا هم الخوارج، فكيف يكونون هم في آخر الزمان وبيننا وبينهم هذه المدة الطويلة، وربما يأتي بعدنا زمن لا يعلمه إلا الله حتى ينتهي الزمان ويكون بآخره..؟

346 ومنها الحديث الذي رواه علي ﷺ وقال فيه: إذا حَدَّثْتُكُمْ عن رَسولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ حَديثًا، فَواللَّه لأَنْ أخِرَّ مِنَ السَّماءِ، أحَبُّ إلَيَّ مِن أنْ أكْذِبَ عليه، وإذا حَدَّثْتُكُمْ فِيما بَيْنِي وبيْنَكُمْ، فإنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ، وإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ يقولُ: سَيَخْرُجُ قَوْمٌ في آخِرِ الزَّمانِ، أحْداثُ الأسْنانِ، سُفَهاءُ الأحْلامِ، يقولونَ مِن خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إيمانُهُمْ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فأيْنَما لَقِيتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ، فإنَّ في قَتْلِهِمْ أجْرًا لِمَن قَتَلَهُمْ يَومَ القِيامَةِ. (متفق عليه)

ـ العقائد المنحرفة والأحكام المشوهة التي اتُّهم بها أهل النهروان ليس لها أصل، وهم لم يقرروها أو ينشروها، فضلًا عن أنهم لم يسطروها.

ـ كان أهل النهروان من "قُرَّاء الكوفة" الذين يمثلون نخبتها من الصحابة، وهم فقهاؤها وحفظة قرآنها ومحدثوها وعبادها.

ـ محاورة ابن عباس رضي الله عنه لهم لا تصح، وقتلهم عبد الله بن خباب رواية مكذوبة، وكثير من الحوادث التي سُرِدت عنهم وعن انحرافهم باطلة.

ـ تعددت الروايات في عدد جيش "حمراء الكوفة" الذي أحاط بأهل النهروان، وتضاربت الأقوال عن عدده، وكل ذلك يثبت أن معظم تلك الروايات موضوعة.

ـ وقعت المجزرة بحق أهل النهروان، وأُبيدوا عن بكرة أبيهم، وفي بعض الروايات لم ينجُ منهم إلا عدد قليل جدًا.

ـ لعبت "حمراء الكوفة" دورًا أساسيًا في التحريض على تلك المجزرة وتنفيذها.

ـ لم تقم قائمة لدولة علي رضي الله عنه بعد مجزرة أهل النهروان، وتفرق الناس عنه.

الإباضية

تُعدّ نشأة الفرق والمذاهب في صدر الإسلام من الظواهر المعقدة التي أسهمت في تشكيل المشهد الإسلامي وتعدد مدارسه. ومن بين هذه الفرق، تبرز الإباضية كإحدى الفرق التي أثارت جدلاً واسعاً حول أصولها وعلاقتها بالحركات السابقة، لاسيما الخوارج. يهدف هذا المبحث إلى استكمال البحث في نشأة الإباضية، وتوضيح السياق التاريخي والفكري الذي أحاط بظهورها،

لقد سعت بعض الجهات في الكوفة ومن تحالف معها إلى تأسيس الإباضية، على غرار بقية الحركات التي ظهرت في ذلك الوقت والتي وصفت بالباطنية والشعوبية، بهدف تفريق وتمزيق الأمة. وبعد عدة تسميات لها، استقرت في أواخر القرن الثالث الهجري على اسم "الإباضية"، نسبةً إلى أحد أبرز مؤسسيها، وهو عبد الله بن إباض التميمي، الذي عاصر زمن معاوية بن أبي سفيان ﵁، وتوفي في زمن عبد الملك بن مروان. هذا التأسيس لم يكن بمعزل عن المناخ السياسي والاجتماعي المضطرب الذي ساد في تلك الفترة، والذي شهد صراعات على السلطة وتحديات للخلافة المركزية، مما هيأ بيئة خصبة لظهور حركات ذات توجهات متباينة.

لقد سادت الصورة النمطية عن الإباضية بأنهم نسخة محدثة وامتدادٌ للخوارج، الذين يُنسب إليهم - ظلمًا وخطأً - أنهم "أهل النهروان". يعود هذا الربط إلى بعض المشتركات الظاهرية في المنهج الأولي، مثل خروج بعضهم على الحكام ورفضهم لبعض صور الظلم. وقد تعزز هذا التصور لدى البعض بسبب ما بدا من تعاطف ظاهر، وربما وهم الامتداد والانتساب، الذي عبرت عنه بعض كتابات وخطب ومحاضرات الإباضيين في الدفاع عن "أهل النهروان".

إلا أن الإباضية، وعلى مر تاريخها، لم يُثبت عنها هذا الانتساب التاريخي أو العقدي لأهل النهروان، بل تَميَّزَت بوضوح في أصولها وفروعها بالانتماء إلى حمراء الكوفة وخوارجها،[347]

وقد واجهت الخلافة الأموية هؤلاء مبكرًا، فاستطاعت القضاء على بعضهم، بينما اتخذ البعض الآخر وضع "استراحة المحارب"، وهرب بعضهم بعيدًا إلى مواطن أعادوا فيها تنظيم أمورهم، لينطلقوا من جديد في تصادمات مع تلك الخلافة وما بعدها [348] والتي

347يقول الملطي (ت377) عنهم: الإباضية أصحاب إباض بن عمرو، خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا الناس وسبوا الذرية وقتلوا الأطفال وكفروا الأمة وأفسدوا في العباد والبلاد .

348 ومنها على سبيل المثال لا الحصر يذكر الطبري وابن الاثير أن إحدى تلك الفرق خرجت سنة 50 هجرية بالبصرة وتصدى لها القائد الهمام زياد بن عبيد. الثقفي، أما البغدادي فيذكر أن خروجهما كان على ابنه القائد الشجاع عبيد الله بن زياد فأرسل لهم جيش بقيادة عباد بن الحصين الحبطي فقضى عليهم، وفي سنة52 للهجرة خرج من تلك الفرق زياد بن خراش العجلي في مكان يسمى "مسكن" من اعمال سواد العراق ومعه ثلاثمائة فأرسل القائد زياد بن عبيد الثقفي فرقة من فرق

لجأت بفلولها المنهزمة إلى البصرة، التي كانت إحدى القواعد الأساسية لدعاة تلك الفرقة. ومنها انطلقوا لينتشروا مرة أخرى حتى وصلوا إلى بعض بلدان المغرب العربي، بالإضافة إلى عمان وخراسان.

ـ الفخ الخفي، واختلافهم عن أهل السنة:

للوهلة الأولى يخيل إليك إنك عندما تكشف بعض الخيوط والملابسات عن أهل النهروان، وما حدث لهم وتتضع حقائق غابت عن جملة المؤرخين وتضاربت بشأنها روايات المعنيين يأخذك اللاشعور بأنك قد سقطت في شراك الإباضية، وأنك أصبحت تدافع عن معتقدهم وترتب التأريخ حسب رؤيتهم، وهذا لعمرك هو الفخ الخفي الذي صاغته أقلام محترفي التزوير ورواد التثوير من المؤسسة الشيعية لتتجنبه عند بحثك، حتى يجعلوك تعتقد وتحذر أن تقع فيه فتترك الأمر برمته، أو توافق ما ذهب إليه الشيعة بشأن "أهل النهروان" لتبقى هذه الجماعة وما حدث لهم شأن لا يمكن الاقتراب منه حتى لاتتهم بما لا يحمد عقباه، وتبقى ما بين مطرقة التصديق بأنهم الخوارج وسندان نفي ذلك عنهم، لتصبح من الإباضية، وهذا الأمر قد انطلى على فحول الباحثين وجهابذة المحققين، فتجنبوا الوقوع في مثل الشراك، واستسلموا بتوجههم للقائل أن "أهل النهروان" هم الخوارج حتى لا يتم اتهامهم أنهم من الإباضية أو المناصرين لهم لذلك نرى البعض يتخبطون بين الحين والحين بين جنبات هذه الحدث وغيره، ليقعوا في النهاية فيما ذكرنا وأشرنا اليه أو يتجنوه البتة،
تشكل الإباضية فرقة لها أصولها وفروعها المستقلة، وتختلف عقائديًا وفقهيًا عن مذهب أهل السنة والجماعة في عدة جوانب جوهرية، مثل موقفهم من بعض الصحابة وقضية الإمامة. لذا، لا تُعد الإباضية جزءًا من أهل السنة والجماعة، بل هي فرقة متميزة بذاتها لها تاريخها وتراثها الخاص. ويؤكد على اختلاف مساراتهم التاريخية الفقهية والعقائدية عن من ذكرنا،.

وهذه بعض التفصيلات التي تختلف فيها الإباضية عن أهل السنة ومنها:
ـ يطلقون على علي رضي الله عنه لقب الإمام، وكرم الله وجهه
ـ يرون أن مروان بن الحكم رضي الله عنه كان مسؤولاً عن مقتل طلحة رضي الله عنه
ـ يتهمون بني أمية بتأليب الفتنة بين أهل النهروان وعلي رضي الله عنه

جيشه الجرار فؤاد فتنتهم. ومنها حروب شبيب مع الحجاج بن يوسف الثقفي الذي هزمه في الكوفة وفر هاربًا شبيب ومن معه إلى الأنبار، ونختم هنا جولاتهم عند طالب الحق الذي استولى على صنعاء ومكث فيها ووافته الفرق المنحرفة والضالة من كل حدب وصوب وأصبح معقلهم فبعث إليه الخليفة مروان بن محمد القائد عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فالتقى هو وطالب الحق فدارت معركة قتل فيها طالب الحق وحمل رأسه إلى مروان بالشام سنة 130 هـ. ويذكر غالب عواجي في كتابه "الخوارج " أنهم خاضوا مع بني أمية حربًا لا هوادة فيها كلفوا أنفسهم خسائر ضخمة وكلفوا الخلافة من الانفس والأموال ما لو انفق في جهاد الكفار لكان مفخرة إسلامية.

ـ يعتقدون عائشة (رضي الله عنها) ومن معها بأنهم خرجوا بغيًا على الإمام الشرعي وهو علي ﷺ

ـ يصفون معاوية ﷺ المتربص القابع بالشام، ويَنسُبون إليه المكر والدهاء، بينما يثنون على علي ﷺ ويصفونه بالورع.

ـ يُقرُّون أن سبب معركة صفين هو رفض معاوية ﷺ الذي يصفونه بالباغي الانصياع للإمام الشرعي علي ﷺ الذي كان محقًا.

ـ بعض طقوسهم تشبه إلى حد بعيد طقوس الشيعة، ابتداءً من صلاتهم وانتهاء باجتماعهم في مجالسهم وندبهم وحركاتهم المتمايلة وأناشيدهم المرسلة.

ـ لم تكن هناك حروب كبرى ومباشرة بين الإباضية والشيعة ككيانين دينيين متنافسين بشكل مستمر عبر التاريخ. الصراعات الأبرز للإباضية كانت ضد الخلافات السنية، أو ضمن صراعات محلية مع قوى أخرى.[349]

ـ يُلاحظ وجود تعاون بين الشيعة والإباضية كان ولا يزال إلى يومنا هذا قائمًا على قدم وساق في جميع المجالات.

بالإضافة إلى النقاط السابقة، توجد أخرى تختلف فيها الإباضية عن أهل السنة والجماعة. ومع أن الإباضية تدعي وجود خلافات عميقة بينهم وبين الشيعة، إلا أن التصورات والمعتقدات المذكورة آنفًا تُشير إلى تقاربهم مع الشيعة أكثر من تقاربهم مع أهل السنة. بل إن التاريخ قد شهد، وعلى فترات متباعدة وصولاً إلى عصرنا الحالي، حالات دعم من قِبل الدول والفرق الإباضية للدول والفرق الشيعية.

[349] باستثناء سقوط الدولة الرستمية في المغرب التي كانت اباضية في تاهرت (المغرب الأوسط) سقطت على يد الفاطميين (دولة شيعية إسماعيلية) عام 909 م (296 هـ). هذه الحادثة تُعتبر صراعًا عسكريًا وسياسيًا بين كيان إباضي وكيان شيعي، حيث كانت الفاطمية تسعى لتوسيع نفوذها في شمال إفريقيا. مما أدى إلى هذا الصدام.

البغاة والطائفة الباغية

أن مفهوم "البغي" هو أحد المفاهيم المحورية في الفقه الإسلامي والتاريخ، والذي تعرض، للأسف الشديد، لتحريفات عميقة أثرت سلباً على فهم الأمة لذاتها ولتاريخها. إن هذا المبحث، بما سنقدمه من تحليل وتدقيق، يهدف إلى إجلاء الحقيقة حول هذا المصطلح وحول طائفته مستندًا إلى الأصول اللغوية والشرعية والتاريخية، فنقول:

البغي في اللغة: الظلم والتعدي، يقال بغى على الناس بغيا، أي: ظلم واعتدى، فهو باغٍ، والجمع: بغاة.
ومن معاني البغي فيما أشرنا "الظلم" كما ورد في قوله تعالى: {خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ}[350]

ويطلق عادة على الظلم جاء في القرآن الكريم {كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي} [351] و{جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ}[352]و{فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ}[353]وتأتي بمعنى بغى الوالي أي ظلم، وكلّ مجاوزة في الحدّ وإفراط على المقدار الذي هو حدّ الشيء فهو بغيٌ.

وفلان يبغي على الناس إذا ظَلمهم وطلب آذاهم، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [354]

بغى الرجل على الرجل: استطال. وبغى فلان: سعى بالفساد والمعاصي.

والبغي من تجاوز الحد "بينهما برزخ لا يبغيان"

ويأتي البغي أيضًا بمعنى التعدي على النفس، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ }لأنكم بكفركم تُعَرِّضون أنفسكم لغضب الله.

خلاصة تعريفات "البغي" الواردة أعلاه تشمل:
- الظلم
- التعدي
- مجاوزة في الحدّ
- إفراط على المقدار

---

[350] الآية 22 /سورة ص.
[351] الآية 24/سورة ص.
[352] الآية 146/سورة الأنعام.
[353] الآية 76/سورة القصص.
[354] الآية 42/سورة الشورى.

ـ طلب الأذى
ـ الاستطالة
ـ السعي بالفساد والمعاصي
ـ التعدي على النفس

ونجد البعض يفسر معنى البغي في الاصطلاح الشرعي بأنه: الطائفة الممتنعة عن الصلح بعد طلبه منها، وذهب ابن الجوزي إلى قول: {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا} أي "طلبت ما ليس لها ولم ترجع إلى الصلح"، ويفسر قوله تعالى {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ} أي: تَرْجِع {إِلى أَمْرِ اللَّهِ} أي: إلى طاعته في الصلح الذي أمر به".

ولم نجد في كل ما ذكرنا من تعاريف وحتى الآية {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[355] أي ذكر للخروج على الإمام. وهنا يطرح التساؤل: من أين جاء هذا المفهوم؟ ومن أول من قال به؟ ولماذا قيل به؟ لقد أُهملت كل هذه التعاريف وتُجاهلت تمامًا، لصالح هدف واحد هو ربط البغي بالخروج على الإمام.
وينتهي تعجبنا عندما نعلم أن أول من قال به وربطه بما ذكرنا هو ابن أبي الحديد[356] الشيعي المعتزلي حيث نص على أنه: «لا ريب أن الباغي على الإمام الحق والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق»[357]

وللأسف، اقتفى أثره في هذا المفهوم بعض اللغويين، وقاموا بتقرير ما ذهب إليه ابن أبي الحديد. ومن هؤلاء ابن منظور[358] الذي قيل فيه أن عنده "تشيع بلا رفض"، وهو صاحب «لسان العرب»، ثم بعد ذلك الفيروزأبادي صاحب «القاموس المحيط» وقد عرَّفا فرقة البغاة بأنها "الخارجة عن طاعة الإمام العادل"،[359]

ثم نصل إلى المتأخرين ومنهم زكريا الأنصاري[360] الذي يؤيد تلك التعاريف ويمشي عليها ويقول في (بَابُ قِتَالِ الْبُغَاةِ) جَمْعُ بَاغٍ سُمُّوا بِذَلِكَ لِمُجَاوَزَتِهِمْ الْحَدَّ، وَقِيلَ لِطَلَبِ

---

355 الآية 9/سورة الحجرات.
356 هو عزّ الدّين أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد المدائنيّ. ولد بالمدائن في العراق ونقل صاحب كتاب «نسمة السّحَر» أنّه كان في بداية أمره شيعيًّا غاليًا، ثمّ مال إلى الاعتزال، وكانت له علاقات وثيقة بوزير المستعصم: ابن العلقميّ، وبالوزير علاء الدين الطبرسي، وتسلم بسببهما عدة مناصب هناك، وقال عنه ابن كثير شيعي غالي، وقال عنه عبد السلام هارون: كان الغالب على أهل المدائن التشيُّع والتطرُّف والمغالاة فسار ابن أبي الحديد في دربهم وتقيَّل مذهبهم،
357 انظر شرح نهج البلاغة ـ توفي في 656 هجرية.
358 ابن منظور (630– 711 هـ) أديبٍ ومؤرِّخ، وعالم عربي في الفقه الإسلامي واللغة العربية من أشهر مؤلفاته معجم "لسان العرب" قال عنه السُّيوطيُّ: (عنده تشيُّعٌ بلا رفض)، وكذا نَقَلَه عنه ابن القاضي المكْناسيُّ.
359 وهذا يذكرنا بمصطلح "النصب" وتعريفه عندً اللغويين وكيف أن أبو علي الفارسي "الشيعي" أخذ منه أبي العلاء صاعد البغدادي الذي نصفه شيعي والآخر سني ليستقر عند ابن سيده السني وهذه الطريقة هي من عجائب المكائد أن يطلق تعريف شيعي ثم يعطيه إلى سني ملوث بالتشيع ثم يعطيها إلى سني فيأخذ من بعده السنة من آخرهم ذلك التعريف.
360 أبو يحيى زكريّا بنُ محمد بنِ أحمدَ بنِ زكريا الأنصاريُّ الخزرجيُّ أصلا، السُّنَيكيُّ مولدًا، القاهريُّ إقامةً، الأزهريُّ علمًا

الِاسْتِعْلَاءِ وَالْأَصْلُ فِيهِ قَوْله تَعَالَى {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}[361]. أهـ

ونجد أن ما أشار إليه الأنصاري ليس فِيهَا ذِكْرُ الْخُرُوجِ عَلَى الْإِمَامِ وهنا وقع في هذا المطب ولكنه أوله إذ قال لَكِنَّهَا تَشْمَلُهُ لِعُمُومِهَا أَوْ تَقْتَضِيهِ؛ لِأَنَّهُ إذَا طَلَبَ الْقِتَالَ لِبَغْيِ طَائِفَةٍ عَلَى طَائِفَةٍ فَلِلْبَغْيِ عَلَى الْإِمَامِ أَوْلَى (وَفِيهِ أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ الْأَوَّلُ فِي صِفَتِهِمْ، وَهُمْ الْخَارِجُونَ عَنْ الطَّاعَةِ) لِإِمَامِ أَهْلِ الْعَدْلِ، وَلَوْ جَائِرًا بِامْتِنَاعِهِمْ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ تَوَجَّهَ عَلَيْهِمْ (بِتَأْوِيلٍ فَاسِدٍ لَا يُقْطَعُ بِفَسَادِهِ) بَلْ يَعْتَقِدُونَ بِهِ جَوَازَ الْخُرُوجِ كَتَأْوِيلِ الْخَارِجِينَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

ثم يضيف في موضع آخر: قَاتَلَ عَلِيٌّ أَهْلَ الْجَمَلِ بِالْبَصْرَةِ مَعَ عَائِشَةَ ثُمَّ قَاتَلَ أَهْلَ الشَّامِ بِصِفِّينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ ثُمَّ قَاتَلَ أَهْلَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ، وقال الشَّافِعِيُّ: أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ السِّيرَةَ فِي قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي قِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ مِنْ الصِّدِّيقِ وَفِي قِتَالِ الْبُغَاةِ[362] مِنْ عَلِيٍّ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُخْطِئِينَ فِي قِتَالِهِ «لِقَوْلِهِ ﷺ لِعَمَّارٍ قَتَلَتْك الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»

وهنا وقع الأنصاري -في استشهاده، وكذلك الشافعي في قوله- في مطبين:

الأول: أن هذه الزيادة لم تكن في البخاري، وقد تم دسها عليه ممن دسها، ويبدو أن الاثنين لم يدركاها.

والثانية: حتى إن هذه الزيادة لم تأتِ بهذا اللفظ الذي ذكره، وإنما جاءت بصيغة «ويح عمار تقتله الفئة الباغية»

وهنا لنا وقفة مع الشافعي قبل أن نسرد بقية ما أورده الأنصاري ألا وهي أن الشافعي هو أول من ألّف في أحكام قتال أهل البغي، حيث وضع كتابًا خاصًا في هذا الموضوع، مصوبًا حروب علي ضد الصحابة الذين أعتبرهم بغاة، وعليه بنى أحكامه في باب البغاة، وهو ما أكده البيهقي في كتابه "مناقب الشافعي."، معتبرًا أن ما صنعه علي في قتالهم هو أحكام يجب اتباعها شرعًا، ولذلك نجد أن يحيى بن معين وأبا عبيد القاسم بن سلام كانا يتهما الشافعي بالتشيع، ومما حكى عن أبي داود السجستاني أن أحمد بن حنبل أُخبِر أن يحيى بن معين ينسب «الشافعي» إلى التشيع، فقال له أحمد: "تقول هذا لإمام من أئمة المسلمين" ..!؟

(926–823)هـ، فقيهٌ وقاضٍ شافعيٌّ، ومقرئٌ ومُحَدّثٌ حافظٌ، ومتكلّمٌ ولغويٌّ ومتصوفٌ، شَغَلَ منصبَ قاضي القضاة وغيرَه في عهد الدولة المملوكية، له مصنّفات عديدة وشهيرة.

361 الحجرات الآية 9

362 والعجيب أن زكريا الأنصاري في كتابه " الغرر البهية في شرح البهجة الوردية" ما نصه: فَلا يَجُوزُ الطَّعْنُ فِي مُعَاوِيَةَ – 0 – فَإِنَّهُ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، وَلا يَجُوزُ لَعْنُ يَزِيدَ، وَلا تَكْفِيرُهُ فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمْرُهُ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى إنْ شَاءَ رَحِمَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ قَالَهُ الْغَزَالِيُّ وَالْمُتَوَلِّي، وَغَيْرُهُمَا قَالَ الْغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُ، وَحَرُمَ عَلَى الْوَاعِظِ، وَغَيْرِهِ رِوَايَةُ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ، وَالْحَسَنِ وَحِكَايَاتُهُ، وَمَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنْ التَّشَاجُرِ، وَالتَّخَاصُمِ فَإِنَّهُ مُهَيِّجٌ عَلَى بُغْضِ الصَّحَابَةِ، وَالطَّعْنِ فِيهِمْ، وَهُمْ أَعْلَامُ الدِّينِ تَلَقَّى الْأَئِمَّةُ الدِّينَ مِنْهُمْ رِوَايَةً، وَنَحْنُ مِنْ الْأَئِمَّةِ دِرَايَةً فَالطَّاعِنُ فِيهِمْ مَطْعُونٌ طَاعِنٌ فِي نَفْسِهِ، وَدِينِهِ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلاحِ فِي كِتَابِ مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ :وَصَاحِبُ الرَّوْضَةِ فِي كِتَابِهِ الْإِرْشَادِ، وَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِائَةُ أَلْفٍ، وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ صَحَابِيٍّ عِنْدَ وَفَاتِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالْقُرْآنُ، وَالْأَخْبَارُ مُصَرِّحٌ بِعَدَالَتِهِمْ، وَجَلَالَتِهِمْ، وَلِمَا جَرَى بَيْنَهُمْ مَحَامِلُ لا يَحْتَمِلُ ذِكْرَهَا الْكِتَابُ. اهـ. وهنا يظهر تساؤل: كيف للأنصاري أن يتهم أجلاء الصحابة بالبغي من جهة، ويدعي من جهة أخرى أنهم عدول ولا يجب الخوض فيما شجر بينهم..؟

فقال يحيى: إني نظرت في «كتابه في قتال أهل البغي» فإذا قد احتج من أوله إلى آخره بعلي بن أبي طالب، فقال أحمد بن حنبل: عجبًا لك! فبمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي، وأول من ابتلي من هذه الأمة بقتال أهل البغي علي بن أبي طالب وهو الذي سنَّ قتالهم وأحكامهم.[363] ليس عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا عن الخلفاء وغيره فيه سنة، فبمن كان يَسْتَنُّ ..!؟.[364]

ثم نعود للأنصاري لنجد أنه يستكمل ما بدأه حيث يذكر: صَرَّحَ الْمُتَوَلِّي وَغَيْرُهُ بِأَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى الْجَائِرِ لَيْسَ بَغْيًا، فَقَدْ صَرَّحَ الْقَفَّالُ بِأَنَّهُ بَغْيٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْعَزِلُ بِالْجَوْرِ وَنَقَلَهُ ابن الْقُشَيْرِيّ عَنْ مُعْظَمِ الْأَصْحَابِ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ إنَّ الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانُوا فَسَقَةً ظَالِمِينَ وَنُوزِعَ فِي دَعْوَى الْإِجْمَاعِ بِخُرُوجِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَان وَمَعَ كُلٍّ مِنْهُمَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ السَّلَفِ وَأُجِيبَ بِأَنَّ مَحَلَّ الْإِجْمَاعِ فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ بِلَا عُذْرٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ وَيُعْتَبَرُ فِي الْبُغَاةِ الْإِسْلَامُ فَالْمُرْتَدُّونَ إذَا نَصَبُوا الْقِتَالَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْبُغَاةِ عَلَى الْأَصَحِّ.[365]

ثم نجده برغم ذلك يقول في كتابه "منهج الطلاب" عن البغاة بأنهم " مخالفو إمام بتأويل باطل ظنا وشوكة لهم ويجب قتالهم"[366] ليرجع بنا إلى تأويله الأول الذي أشرنا اليه، وما ذكرنا هذا الأمر هنا إلا لنبين لكم نموذجًا من متصدري السنة، وكيف أنهم تدريجيًا وافقوا الشيعة في تعريف البغاة بل، وطابقوهم في ذلك وأوَّلوا ولووا أعناق الآيات والأحاديث والروايات والاستدلالات بقصد ما ترسخ في أذهانهم من الإيحاء الشيعي لتلك الفرقة وذلك التعريف، حتى وصلوا بنا إلى أننا أصبحنا نؤمن دون أن نصرح بما ذهب إليه العاملي[367] في "اللمعة الدمشقية" حيث قال: «من خرج على المعصوم من الأئمة فهو باغ واحدًا كان أو أكثر» ومع أننا كسنة لا نؤمن بالعصمة إلا أننا وافقنا هذا القول بفحواه، إذا ما اعتبرنا أن التأويل السائغ والذي يسميه الأنصاري التأويل غير القطع الذي ذهب بالقول عنه أنه (أي فِرْقَةٌ مُخَالِفَةٌ بِتَأْوِيلٍ بَاطِلٍ ظَنًّا كَتَأْوِيلِ الْخَارِجِينَ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه بِأَنَّهُ يَعْرِفُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ رضي الله عنه وَيَقْدِرُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَقْتَصُّ مِنْهُمْ لِمُوَاطَأَتِهِ إيَّاهُمْ) ونحمد الله على أن عدهم من البغاة على هذا القياس كعائشة والزبير وطلحة ومعاوية وعمرو بن العاص ومن معهم ولم يرقيهم إلى الخوارج ..!؟

363 وهنا عظم البلاء عندما تدون هذه الأحكام من قبل أحد أعمدة المذاهب الأربعة ويقره عليها عامود آخر من تلك الأعمدة والنتيجة أن تلوثنا الشيعي جاء من بين أظهرنا، ومن خلال اثنين يمثلان أهم الركائز المذهبية لأهل السنة والجماعة، ولا حول ولا قوة الا بالله.

364 مناقب الشافعي ـ البيهقي

365 انظر كتاب أسنى المطالب في شرح الروض الطالب ـ زكريا الانصاري

366 انظر كتاب منهج الطلاب في فقه الامام الشافعي ـ زكريا الأنصاري

367 هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي (1033 ـ 1104 هـ)، محدث وفقيه شيعي أمامي، صاحب مؤلفات مهمة وأهمّها كتاب وسائل الشيعة، ويعرف المؤلّف بصاحب الوسائل.

أرايتم كيف حوَّر معنى البغي وتم تحريفه من خلال عدة مراحل حتى وصلنا إلى حصره بالعصيان والتمرد على الإمام، مع أننا أوردنا له عدة معانٍ، ليس ذلك حسب وانما نجد ابن قدامة[368] المقدسي الحنبلي يطعن في الصحابة في الوقت الذي يقول فيه (أجمعت الصحابة على قِتالِ البُغاةِ، فإنَّ أبا بكرٍ ﷺ ، قاتَل مانعِي الزَّكاةِ، وعليٌّ قاتلَ أهْل الجَمَلِ وصِفِّينَ وأهلَ النَّهْرَوانِ)[369]، فهذا ابن قدامة المحسوب علينا من أهل السنة والجماعة يقول ما يقول هنا عن أهل الجمل وصفين والنهروان وفيهم من فيهم من الصحابة بل أمهات المؤمنين واعتبرهم بغاة، فما بالك بما تقوله عنهم بقية الفرق المنحرفة المحسوبة على الإسلام وأهله . ؟!

ويوضح ابن تيمية بخصوص هذا التوجه بقوله: (وليس قتال عليّ للمسلمين مثل قتال الصدّيق للمرتدين ولمانعي الزكاة، فإن الصدّيق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله، لا على طاعته، فإن الزكاة فرضٌ عليهم، فقاتلهم على الإقرار بها وعلى أدائها، بـخــلاف من قاتَــلَ لِيُطاعَ هو)[370] "يعني علي".

نعود هنا إلى أن منبع هذا المفهوم عن البغي والصورة النمطية عنه، كان من وضع كتبة الشيعة الذين سعوا إلى ترسيخ مفهوم أن "البغي" يعني حصرًا "الخروج على الإمام العادل"، ونكث بيعته، ومخالفته في أحكامه، وقتاله، ومنع تسليم الحق إليه. حتى جعلوا تعريف "البغي" اللغوي واصطلاحه الشرعي مطابقًا لمرادهم وما سيكررونه. وهذا الأمر نجده ظاهرًا مثلًا في مجمع البحرين للطريحي في مادة (بغى)، إذ يعرف الفئة الباغية بأنها: "الخارجة عن طاعة الإمام المعصوم".أهـ

وهنا قفزنا إلى مرحلة متقدمة من تحديث مصطلح "البغي" حتى تم الالتفاف على المعاني الحقيقية المقصودة له. والذي يمتلك أدنى معرفة بالعربية يستطيع فهم ذلك المصطلح الذي يتمثل في: البغي ومشتقاته وتعاريفه ورواياته. والعجب أن الشيعة حوّروه وغلّفوه حتى أوصلوه لمرادهم، وهو أنه: كل من عارض عليًا أو حزبه وآله فهو باغ. وقد وافقهم في ذلك ليس بعض أهل السنة من عامتهم فحسب، وإنما بعض علمائهم ومحدثيهم الذين روجوا لتلك النظرية الشيعية المقحمة في عقر أدبياتنا السنية. ومنهم: ابن عابدين وهو من الحنفية، يعرف البغاة بأنهم قوم مسلمون خرجوا على إمام العدل، ولم يستبيحوا ما استباحه الخوارج من دماء المسلمين وسبي ذراريهم، والمراد أنهم خرجوا بتأويل، وإلا فهم قُطَّاع طرق. أهـ

368 هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة بن مقدام، العدوي، المقدسي، ثم الدمشقي، الصالحي أحد أئمة وشيوخ المذهب الحنبلي، مؤلف كتاب المُغْنِي، (541 – 620 هـ).
369 المغني ـ ابن قدامة المقدسي
370 منهاج السنة النبوية ــ ابن تيمية

وهنا لابد لنا من وقفة، ألا وهي أن ابن عابدين جاءنا بمعنى جديد للبغي، بالإضافة للمعاني العديدة التي ذكرناها آنفًا، ألا وهو "الخروج على الإمام العادل"! ونرى هنا أن التيه يزداد بمراد البغي، بل وحتى أحكامه كما سيأتينا لاحقًا. ومن حقنا أن نسأل هنا: لو سلمنا بتعريف البغي لابن عابدين بأقل مقاصده، ألا يعتبر الخروج على عثمان ﵁ هو عين البغي من قبل القوم الذين كانوا جلهم في جيش علي ﵁ ؟ فكيف انقلبت الأمور بعد ذلك ليصبح جيش معاوية رضي الله عنه هو الباغي...؟!

ويا ليت المتصدرين من أهل السنة وفقهائهم توقفوا عند حد التعاريف للبغي، بل سردوا أحكامهم في هذا الشأن. ومنها أن الخروج يعتبر بغيًا عند مالك والشافعي وأحمد وأهل الظاهر بشرط استعمال القوة فعلًا، أما قبل استعمالها فلا يعتبر الخروج بغيًا، ولا يعتبرون الخارجين بغاةً، ويعاملون كما يعامل العادلون، ولو تحيّزوا في مكان وتجمّعوا. وأبو حنيفة يشترط العزمَ على القتال، وهو مصرَّح به عند بعض الحنابلة.

ولا نعلم هنا: الخروج ممن..؟ وإلى من..؟! حتى نسقط ذلك البغي على الخارجين ونسلط عليهم أحكامه. وبأي علامات ودلالات نحكم بما أفتوا؟ وأصل الأمر مختلف عليه بين الأمة ومذاهبها السياسية؟!

وذكر البعض بأن أعظم فضيحة في الفقه الإسلامي هي تصانيف بعض الفقهاء المحسوبين على أهل السنة، وتبويب قتال أهل البغي، واعتمادهم على معارك علي مع أم المؤمنين وباقي الصحابة كمصدر للتشريع في هذا الباب ..! وقد سمع بعض أصحابنا أن مراجع الشيعة يسخرون من أهل السنة بسبب هذا الأمر، ويقولون: "كل أحكامهم بخصوص قتال البغاة مأخوذة من قتال علي لعائشة".

ثم نتساءل هنا لعلنا نخرج من هذه المتاهة بسؤال: ما الفرق بين البغاة والخوارج إذا كانت تجتمع فيهم نفس الخصال وتقع عليهم نفس الشروط وتختلط فيهم نفس المفاهيم ..؟ ومن أجل فرز وتمحيص ما ذكرنا، عهدنا إلى تفصيل ذلك بعد هذا الفصل.

وها نحن نرى بأم أعيننا انحراف المعنى للبغي وأحكامه، وارتباطه بالمصطلحات التي انقلبت مفاهيمها مع مرور الأزمنة، لصالح المخططات الشيعية والتضليل الشعوبي مثل "النواصب" و"الخوارج" و"أهل البيت" وغيرها، والتي كان جل انحرافها بسبب تزوير وتحوير مطابخ كسروية الكوفة لها، وإصرارهم على إتمام مشروعهم الانتقامي والرغبة في عودة مجدهم الساساني، فعمدوا إلى وضع اللبنات الخاطئة والتعاريف المحرفة، والأخذ منها بالأوجه والمعاني والأحكام التي يسخرونها لمآربهم وإهمال ما دون ذلك.

ومما يزيد في الأمر حيرة واستهجانًا أن المحسوبين على السنة من الآخذين بزمام العلوم الشرعية من بعدهم، أخذوا ما تم وضعه من قبل الرافضة، وبنوا عليه أحكامًا وتعاريف أدت إلى أن تكون من المسلمات، وتعلو على ما سبقها وما سيأتي منها، وتثبّتت في أدبيات كتب السنة. واحتذوا حذو الشيعة في إهمال الأوجه والمعاني العديدة للبغي، وقيدوها فيما أرادوه من معناها، وما يطلبونه من مبتغاها. ولذلك نرى أنهم حصروا تعريف البغي بأنه يعني:

ـ الخروج على الإمام العادل.
ـ نكث بيعته ومخالفته في أحكامه.
ـ قتاله ومنع تسليم الحق إليه.

مع أننا نعود ونؤكد أن للبغي معاني وأسبابًا وتفرعاتٍ عديدة، يؤدي كل منها في نهاية المطاف إلى المعنى العام للبغي. والبعض أشرنا إليه في بداية مبحثنا.
إذن تم تفصيل هذا المصطلح من قبل كبراء الشيعة حسب مقاساتهم ومقاصدهم، ليضعوه كدعامة تُعتبر من أهم الدعامات التي تشد من مبانيهم التي بنوها في سبيل إتمام مشروعهم وتحقيق هدفهم.
وبذلك تتضح لنا الغاية التي قامت من أجلها حركة تحريف مصطلح "البغي" عن مقصده، أسوة ببقية المصطلحات التي تم تزويرها لصالح ما سنأتي على ذكره في نهاية مبحثنا.

الفرق بين البغاة والخوارج

ونحن نغوص في مصطلح "البغي" وتفرعاته، نجد أننا نسير في مفازة لا تعرف حدودًا، وطريق ينحرف عن جادة الوصول للخروج منها، لنضع يدنا على ما ذهب إليه البعض، واشتهر عن البغاة بأنهم قوم لهم شوكة ومَنَعة يخرجون على الإمام العادل، إما بترك الانقياد له، أو بمنع حق توجَّه عليهم بتأويل سائغ.

وقرروا أن حاصل شروط وصفهم بالبغي وإسباغ نعت "البغاة" عليهم، أن تتوفر فيهم ثلاثة شروط:

الأول: أن يكونوا في منعة، بأن يكون لهم شوكة بقوة وعدد، وبمطاع فيهم.
الثاني: أن يخرجوا عن قبضة الإمام العادل، إما بترك الانقياد له، أو بمنع حق توجه عليهم، سواء كان الحق ماليًا أو غيره كحد وقصاص.
الثالث: أن يكون لهم تأويل سائغ.

وإذا خرجوا بغير تأويل فهم "خوارج"، وقالوا إن الخوارج لا يعاملون معاملة أهل البغي، ثم انعطفوا واختاروا أصحاب الشرط الثالث وأهملوا البقية.

حتى إننا نرى أن ابن تيمية في تفريقه بين البغاة والخوارج ذكر بأن قتال أهل الجمل وصفين عليًا كان بسبب اعتمادهم على تأويل سائغ[371] أما المارقون من الخوارج فقاتلهم علي بسب تأويلهم الفاسد[372] **.. !؟**
ومن المعلوم أن ما سماه ابن تيمية "تأويل سائغ" و"تأويل فاسد" كلاهما ليس لهما معايير محددة ويمكن تفسيرهما بما شئت ولا يوجد بهما ضابط، ويمكن للخوارج أن يدعوا أن تأويلهم سائغ والبغاة يتهمونهم بأن تأويلهم فاسد.

ونجد أن أحكام الخوارج مختلفة فقهيًا عن أحكام البغاة، ثم تفرعت كتب الفقه عن البغاة حسب التصور الذي ذكرناه، وترسخت الصورة النمطية عنه، حتى خرجت فتاوى من كبار الذين تصدروا للفقه من السنة تقول: هل يجوز للإمام الاستعانة على البغاة بأهل الذمة والكفار أو من يختلف معه في حكم قتالهم ..؟ وهنا أفتى الشافعية بقولهم: لا يستعان عليهم بكافر، ولا بمن يرى قتلهم مدبرين.
وقالت الحنابلة: كذلك إلاّ للضرورة.

---

371 يقول سليمان بن محمد اللهيميد في كتابه: والدليل على ذلك هو ما حصل من الخارجين على علي 0 من أهل الجمل وصفين، وذلك بأن قالوا إن عليًا يعرف قتلة عثمان ويقدر عليهم ولا يقتص منهم، لمواطأته إياهم، وهذا تأويل اعتقدوا به على جواز الخروج على الإمام وهو علي بن أبي طالب. ولا بد أن يكون التأويل سائغًا يصلح أن يعتمد عليه.. !؟ أنظر: كتاب شرح منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.
372 كتاب شرح منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين – سليمان بن محمد اللهيميد.

وقال المالكية لا يستعان عليهم بمشرك وكذلك عند الحنفية.

وأما عند الشيعة فقال الشيخ الطوسي: «يجوز للإمام أن يستعين بأهل الذمة على قتالهم»، وقال النجفي "بلا خلاف أجده فيه".

وقدم ابن تيمية فهمًا جديدًا لقضية الخروج على الشرعية أو قضية "البغي" التي هي عند الفقهاء تعني الخروج على الإمام، ويرى ابن تيمية أن هذا الحكم نشأ عن خلطهم بين قتال الخوارج أو الطائفة الممتنعة عن الشرائع، وبين قتال الفتنة بين المسلمين كما حدث بين علي ومعاوية، ومن خلال نقده لهذا الفهم عرض ابن تيمية محورًا جديدًا هو الذي ينبغي أن يكون الفيصل في تعريف البغاة، وهو محور "الخروج على الشريعة"، وعلى هذا فإن الذي يستحق القتال هو الطائفة الممتنعة الخارجة عن شريعة من شرائع الإسلام أو كلها، وبذلك حاول ابن تيمية إعادة تأسيس قضية الشريعة للنظام الإسلامي أو النظام المنتسب للإسلام على أساس أن يكون محور السياسة هو الشريعة، وليس الإمام، عن طريقة مقارنة مفهوم الخروج على الإمام بمفهوم الخروج على الشريعة.[373]

ولكن هذا المصطلح قد اقتُصر معناه «بالرغم من تفرعات معانيه التي ذكرناها سابقًا» ليُحصر فقط بالطائفة الباغية، أو بالأصح "بالفئة الباغية" التي أُلصقت بجيش معاوية رضي الله عنه. وقد استند هذا الإلصاق إلى الزيادة المُقحمة في صحيح البخاري، التي نصت على: "ويح عمار تقتله الفئة الباغية". وقد تم التأكيد والتكرار على هذه الزيادة، مع ربطها بالآية الكريمة: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}[374]

ويُشير اختيار مصطلح "الفئة" في تلك الزيادة المقحمة، بدلًا من "الطائفة"، إلى أن واضعها لم يكن موفقًا في صياغتها، خاصة عند مقارنتها بلفظ "الطائفة" الوارد في الآية القرآنية.

لقد كان الهدف من كل ما ذُكر سابقًا هو الوصول إلى استنتاج أن معاوية رضي الله عنه ومن معه هم الطائفة الباغية التي تنطبق عليها الآية التي ذكرناها، وقد زعموا أن عليًّا رضي الله عنه هو الإمام العادل والخليفة الشرعي، وأن من خالف حكمه وأحكامه فهو الباغي،
وليس هذا فحسب، بل نلاحظ أن هذا الوصف طُبِّق أيضًا على أهل النهروان، وفي بعض الروايات على أهل الجمل. فعند حديث علي رضي الله عنه، كما يزعمون، وصفهم بقوله:

---

373 انظر كتاب نتائج البحوث وخواتيم الكتب ـ مجموعة من المؤلفين. قلت وهنا نلاحظ أن ابن تيمية لم يرد أن يحصر معنى البغي في منازعة الامام والخروج عنه وإنما ذهب إلى "محور الخروج على الشريعة".

374 سورة الحجرات/ الآية 9

"إخواننا بغوا علينا". كما وصف في بعض الروايات أهل النهروان بأنهم: "قوم بغوا علينا".

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نائلة بنت الفرافصة هي أول من أشارت إلى البغاة الحقيقيين عندما كتبت إلى معاوية ﵁ رسالة بعد استشهاد زوجها عثمان ﵁ جاء فيها: "أما بعد :فإني أذكّركم بالله الذى أنعم عليكم، وعلّمكم الإسلام، وهداكم من الضّلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم النعمة، وأنشدكم بالله وأذكّركم حقّه وحقّ خليفته الذى لم تنصروه وبعزمة الله عليكم فإنه قال: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتّى تفئ إلى أمر الله» الحجرات/ 9 وإن أمير المؤمنين بغي عليه، ولو لم يكن له عليكم حقّ إلّا حق الولاية، ثم أتى إليه ما أتى، لحقّ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره لقدمه في الإسلام، وحسن بلائه، وأنه أجاب داعى الله، وصدّق رسوله، والله أعلم به إذ انتخبه فأعطاه شرف الدنيا، وشرف الآخرة، وإني أقصّ عليكم خبره لأني كنت مشاهدة أمره كلّه.[375]

وهنا يثار التساؤل كيف غفل أهل السنة والجماعة أو اقتنع جلهم بأن معاوية ﵁ ومن معه "وحاشاهم" كانوا يمثلون الطائفة الباغية.
ثم إن هذا الاصطلاح الذي يدَّعون أن معناه شرعي، لو طُبِّق على معاوية ﵁ وجيشه عند قتاله لعلي ﵁ وجيشه، فإنه لا يتناسب مع مراحل الآية الكريمة:

- (اقْتَتَلُوا)
- (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)
- (فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا)

فإنه، كما هو مثبت في السير والروايات، أن الاقتتال حدث. أما الصلح - "إن لم نقل الاستسلام" - فلم يحدث في زمن علي ﵁، بل في زمن ابنه الحسن ﵁. وحتى لو سلمنا أن الصلح حدث بالعموم، فهل بغى جيش معاوية ﵁ بعد هذا الصلح حتى نسميه "الطائفة الباغية" حسب ما ورد في هذه الآية؟ أو حسب تفسير الاصطلاح الشرعي لتلك الطائفة، كما أوردنا من تعريف ابن الجوزي؟
نعود هنا إلى الزيادة التي أُقحمت على صحيح البخاري، وهي "عمار تقتله الفئة الباغية"[376] لقد أمكن كشف تزييف هذه الزيادة بجهود بعض الأساتذة الباحثين، منهم

375 كتاب جمهرة رسائل العرب في عصور العربية ـ أحمد زكي صفوت.

376 ونتساءل هنا هل استعمل أحد من الصحابة 4 حديث: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية)، هل استعمله علي بن أبي طالب في محاججة خصومه، هل استعمله عمار بن ياسر قبل مقتله وقال للناس يا جماعة لا تقاتلوني فإن رسول اللّه ﷺ قال "إن من يقتلني باغي"، هل استعمله الحسن بن علي وقت لقاءه بأمير المؤمنين معاوية حين بايعه؟؟ هل قال الحسن لمعاوية: اتق اللّه يا

الدكتور بشار عواد معروف، والشيخ الدكتور طه الدليمي، والباحث وسام العظمة وغيرهم؛ حيث لم تكن هذه الزيادة موجودة في النسخ الأولى من صحيح البخاري قبل الدس والتحريف.

والمراد من كل هذا هو الطعن الخفي أو الجلي في معاوية ﵁ ومن معه وهو أول طريق الانحراف عن جادة الهوية السنية، ومقدمة الابتلاءات بالملوثات الشيعية وقد مر بكم كيف أنهم فسروا مصطلح "البغي" حتى يصلوا إلى مرادهم من هذه الحكاية وتحريف تلك الرواية.

والقصد من كل هذا هو الطعن الخفي أو الجلي في معاوية رضي الله عنه ومن معه، وهو أول طريق الانحراف عن جادة الهوية السنية، ومقدمة لابتلاءات الملوثات الشيعية. وقد رأيتم كيف فسروا مصطلح "البغي" حتى يصلوا إلى مرادهم من هذه الحكاية وتحريف تلك الرواية. حتى إن الإمام ابن دحيم، شيخ الإمام أحمد بن حنبل، ذهب إلى أنه من وصف جيش معاوية بالفئة الباغية فهو "ابن الفاعلة"[377]

وكما هو معلوم، فلو نظرنا إلى تعريف البغاة الذي قرروه، وهو: "هم الذين خرجوا على الإمام العادل"، فهذا الأمر ينطبق كليًّا على الذين خرجوا على عثمان ﵁ وقاموا بذلك الانقلاب العسكري المشؤوم وقتلوه في داره، ثم رجعوا وكانوا في جيش الذين قاتلوا معاوية ﵁ ومن معه. أليس الأجدر بنا أن نحاسب قتلة الخليفة الشرعي وصهر النبي ﷺ، وننعتهم بالبغاة ونقتص منهم، ثم بعد ذلك ننظر إلى أسباب البغي التي أدت لمعركة صفين، والتي كانت أهم أركان ما قامت لأجله هو هذا البغي الذي ذكرناه؟

أرأيتم كيف جرنا الانحراف في التعريف اللغوي والاعوجاج في الاصطلاح الشرعي للبغي، فاستقر في غير موضعه، وفُهِمَ في غير مراده، ووُظِّفَ على ما أراده المتربصون بديننا والمزيفون لتاريخنا، حتى رأينا أحكامًا تصدر فيه، وفتاوى تتهاوى عليه من جنس ما أراده أعداء الأمة، بل وزاد عليه أبناء جلدتنا بقصد أو بغير قصد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

معاوية إن الحق معنا لأن عمار قُتل في صفّنا وأنتم بغاة بنص الحديث النبوي "ويح عمار"، هل احتج به حسين على أمير المؤمنين يزيد وقال له: سلّمني الخلافة يَا يزيد لأن الحق كان مع أبي بنص الحديث النبوي "ويح عمار"، الجواب على تلك الأسئلة جميعها " لا "، هذه أدلة مادية واقعية تُثبت أن المتنازعين أنفسهم على رأسهم علي وحسن وحسين وعمار لم يكونوا يعرفون هذا الحديث أصلا ولم يسمعوا به ولو كانوا يعرفوه لحاججوا به خصومهم،، ولوقفوا أمام جماهير الصحابة ، وقالوا الحديث وأقاموا به الحجة على الجميع، ولكن أيًا من ذلك لم يحصل على الإطلاق فعُلِمَ بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الحديث مضروب في مؤسسة مطابع الكوفة للنشر والتوزيع الروائي الشيعي.

[377] سير اعلام النبلاء ـ الذهبي

القول الفصل في الطائفة الباغية

القول الفصل في تعريف الطائفة الباغية هو أن معاوية ومن معه، فضلًا عن عائشة ومن معها وأهل النهروان ﵃، ليس لهم علاقة بالبغي والطائفة الباغية. وإن وجدت هذه الصفة، فمبتداها من قتلة عثمان ﵁، بشهادة ودلالة نائلة، ومن انضموا بعد ذلك لجيش علي ﵁ وكانوا قادة فيه، بل ووُلِّيَ بعضهم ولاية بعض الأمصار. وقد تم التضليل، كما لاحظنا، من قبل دهاقنة الشيعة وكهنة الشعوبية حول هذا المصطلح في فترات متأخرة. تولى ذلك التضليل ابن أبي الحديد، والعاملي، والطريحي وغيرهم، والْتَبَس على أهل السنة ومتصدريهم هذا الأمر، ومنهم زكريا الأنصاري وابن عابدين، ومن بعدهم، ذهبوا إلى ما ذهب إليه أولئك من المعتقدات الموبوءة والروايات المحرفة والتعاريف المجحفة.

قال ابن تيمية: "واعلم أن طائفة من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، جعلوا قتال الجمل وصفين من قتال البغاة. (وهذا القول خطأ مخالف لقول الأئمة الكبار، وهو خلاف نص مالك وأحمد [378] وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة السلف، ومُخالِفٌ للسنة الثابتة عن النبي ﷺ)[379]، والقتال في الجمل وصفين هو: (قتـال فتنـة)، وليس فيه أمر من الله ورسوله، ولا إجماع من الصحابة، وأهل صفين لم يبدؤوا عليًا بالقتال، وأبو حنيفة وغيره لا يُجَوِّزون قتال البغاة إلا أن يبدؤوا الإمام بالقتال، وكذلك أحمد وأبو حنيفة ومالك".

ثم يُكمل ابن تيمية مقررًا أن أهل الجمل وصفين الذين قاتلوا عليًا ليسوا "بغاة" فقال:
"والقتال يوم الجمل وصفين فيه نزاع، هل هو من باب قتال البغاة المأمور به في القرآن "فقاتلوا التي تبغي.."..؟ أو هو قتال فتنة القاعد فيه خير من القائم..؟
ثم يجيب: أن القاعدين من الصحابة - وهم السواد الأعظم والأكثر- وجمهور أهل الحديث والسنة وأئمة الفقهاء بعدهم يقولون: هو قتال فتنة، ليس هو قتال البغاة المأمور به في القرآن.[380]

لقد انسلخت دلالة "البغي" من معناها عند الكثير ممن ذكرناهم، وممن أشار لهم ابن تيمية ممن لم يُدركوا أثرها، ولم يتتبعوا أصلها، وانحرفوا بها إلى غير مقصدها، وألبسوها على من قاتلوا البغاة، ونفوها عمن كان حقيقة يتصف بها. ثم كانت نتيجة ذلك الأحكام الفقهية المفصلة في الكتب السنية، التي وافقت ورَوَّجت لها الأقلام الكوفية

378 أحمد هنا له رأي مخالف لما ذهب إليه ابن تيمية عنه، فإنه قد أيد تلك الأحكام لصالح ما أقره الشافعي عندما حاجج يحيى بن معين وأوردنا ذلك في كتابنا.

379 وهنا نلاحظ أن ابن تيمية استثنى الشافعي حيث قال كما أشرنا في هذا الكتاب سابقًا عما نقله الأنصاري عنه: أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ السِّيرَةَ فِي قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي قِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ مِنْ الصِّدِّيقِ وَفِي قِتَالِ الْبُغَاةِ 379 مِنْ عَلِيٍّ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُخْطِئِينَ فِي قِتَالِه «لقَوْلِه ﷺ لِعَمَّارٍ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»، وقد فصلنا ذلك.

380 مَنهاج السَنةَ النَبويَةَ

الصفراء، حتى ترسخت في الصورة النمطية لأهل السنة أن البغاة هم الذين حاربوا وتصدوا لعلي ﵁ ، وخاصة معاوية ﵁ ومن معه. وكان ملتجؤهم في ذلك الزيادة المقحمة في البخاري من حديث عمار، وقد بيَّنا بطلانها.

وختاماً لهذا المبحث نقول: أنه كشف عن تضييق وتشويه لمصطلح "البغي" وطائفته لم يكن له أساس قوي في نصوص الشريعة الأصلية، بل تسلل إلى الأدبيات الإسلامية من مصادر غير نقية (شيعية، سبئية، باطنية، حمرائية ..الخ)، سعت إلى توظيف المفهوم لتحقيق أغراض سياسية ودينية. ولقد بيّن هذا العمل كيف أن هذه التعريفات الدخيلة، التي ربطت البغي بالخروج على الإمام، أدت إلى مغالطات تاريخية وفقهية جسيمة.

لقد كان من أبرز نتائج هذا التحريف هو إلصاق صفة "البغي" بشخصيات إسلامية عظيمة، كالصحابة الأجلاء أمثال معاوية بن أبي سفيان، وأم المؤمنين عائشة، وكذلك أهل النهروان ﵃. وقد اعتمد المروّجون لهذا التحريف على روايات مدسوسة، وعلى رأسها الزيادة المقحمة في حديث عمار "تقتله الفئة الباغية"، والتي أثبت البحث عدم صحتها وأصالتها في كتب الحديث المعتبرة. إن هذه الافتراءات لم تكن مجرد أخطاء عابرة، بل كانت جزءاً من مخطط أوسع يهدف إلى تشويه صورة الصحابة الكرام ﵃ ، والنيل من مكانتهم، وضرب الوحدة بين المسلمين.

وقد أكد هذا الفصل بأن البغاة الحقيقيين، في سياق الفتنة الكبرى، لم يكونوا هم من قادهم معاوية أو عائشة ﵃ ، بل كانوا أولئك الذين خرجوا على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁، وتسببوا في استشهاده غدراً. إن هذا التبيان يضع الأمور في نصابها، ويُعيد الاعتبار لمن برّأهم التاريخ النقي والشريعة السمحاء، ويدعو إلى تصحيح الفهم الذي تسلل إلى بعض كتب الفقه نتيجة للتأثر بهذه الروايات المحرفة.

لقد كشف هذا المبحث كيف أن بعض الفقهاء، مع جلالة قدرهم، قد وقعوا في فخ هذه التحريفات، وبنوا أحكاماً فقهية مفصلة على تصور خاطئ لمفهوم البغي، حتى أصبح الأمر كأنه من المسلمات في بعض المذاهب. وهذا ما دعا كبار العلماء المحققين أمثال ابن تيمية، إلى التحذير من هذه الأخطاء، مؤكداً أن ما جرى بين الصحابة من قتال في الجمل وصفين لم يكن قتال بغاة بالمعنى الشرعي، بل كان قتال فتنة، وأن السواد الأعظم من الصحابة وجمهور أهل الحديث والفقهاء يرون ذلك. ويُبرز هذا التأصيل أن الفيصل في تعريف البغي يجب أن يكون "الخروج على الشريعة" نفسها، وليس مجرد الخروج على حاكم ما، ما لم يكن هذا الخروج مصحوباً بظلم وتعدٍ على أحكام الله وحقوق العباد.

إن النتائج التي توصلنا إليها في هذا الموضوع حول مفهوم البغي هي دعوة صريحة للتحرر من قيود المفاهيم المغلوطة، والعودة إلى منابع الشريعة الصافية. إنها تذكير بأن

الأمة بحاجة ماسة إلى مراجعة شاملة ومنصفة لتراثها، وتنقية مفاهيمها من كل ما علق بها من شوائب عبر التاريخ، سواء كانت تلك الشوائب ناتجة عن أهواء سياسية، أو أفكار مذهبية متعصبة، أو روايات مكذوبة.

❄️الخاتمة❄️

إن هذا المصنف، بمجمله، لا يمثل مجرد سرد تاريخي أو بحث لغوي لمصطلحات بعينها، بل هو دعوة عميقة ومخلصة للتأمل في جوهر الحقيقة الإسلامية، وتصحيح المسارات الفكرية التي تعرضت للانحراف على مر العصور. لقد انطلق هذا العمل من إدراك حاسم بأن بعض المفاهيم والمصطلحات، التي تبدو في ظاهرها مجرد تعاريف تاريخية أو عقائدية، قد تحولت في الواقع إلى أدوات هدم وتشويه، استُخدمت لضرب وحدة الأمة، وتشويه صورة أعلامها الأجلاء، بل والنيل من صميم هويتها وعقيدتها.

لقد سعى هذا السِفر، في طياته، إلى الكشف عن طبقات التضليل المتراكمة حول قضايا محورية، مثل دلالات "البغاة"، "الخوارج"، و"النواصب". ولم يكن الهدف الغوص في تفاصيل الخلافات القديمة بقدر ما كان السعي لتفكيك آليات التزييف التي استهدفت الفهم الصحيح لهذه القضايا. لقد بين هذا العمل كيف أن هذه المصطلحات، التي قد تكون بريئة في أصلها اللغوي أو لها سياقات شرعية محددة، قد تم تحريفها وتوظيفها بشكل منهجي من قِبل تيارات وأطراف سعت إلى زرع الفتنة، وتشويه تاريخ الإسلام الناصع، والطعن في ثوابت العقيدة، وعلى رأسها مكانة صحابة رسول الله ﷺ.

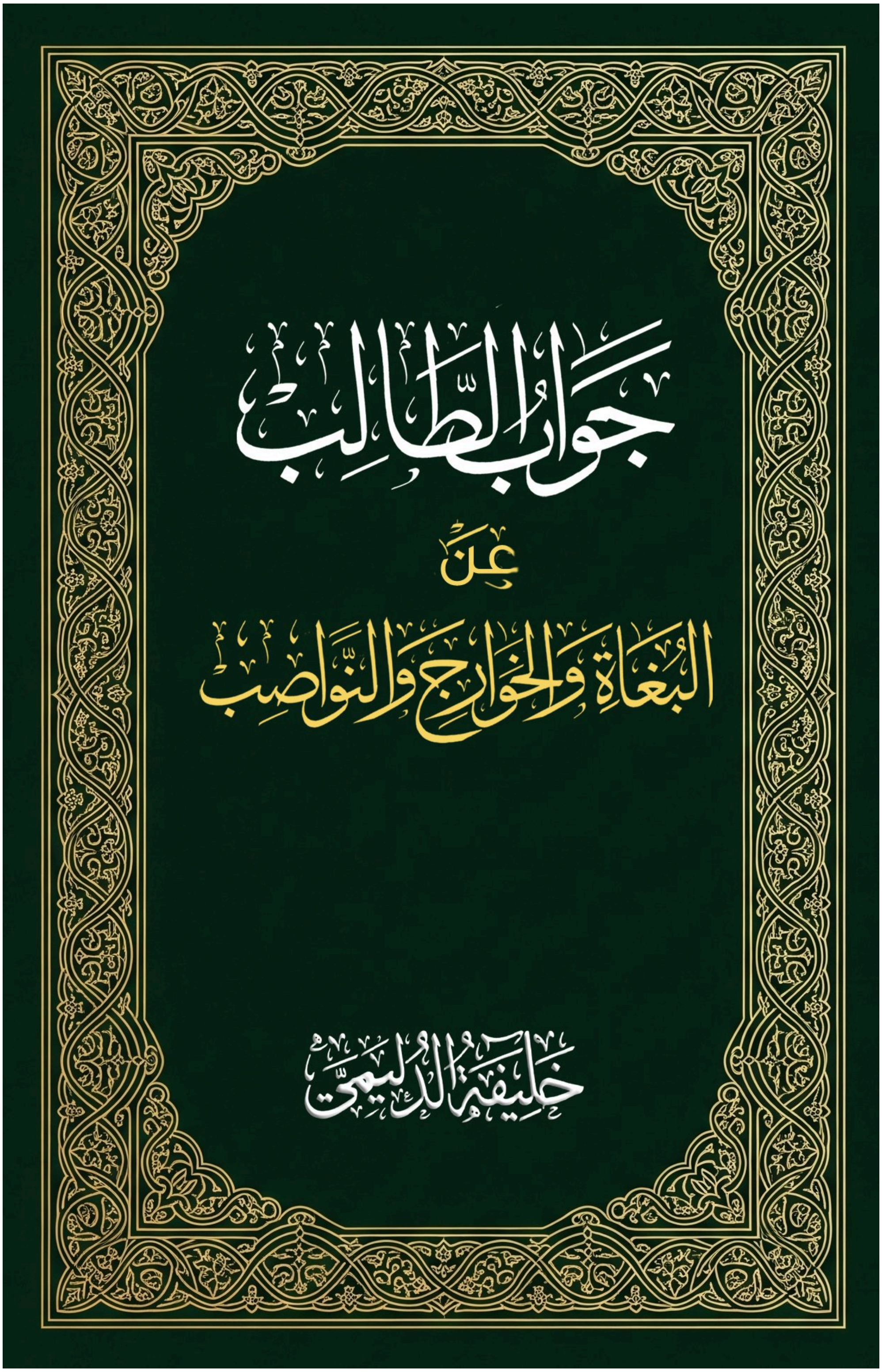
إن ما توصلت إليه هذه الدراسة يتجاوز مجرد تصحيح تعريفات أو إثبات بطلان روايات. إنه يقدم رؤية شاملة للمشكلة الأعمق التي تواجه الأمة، وهي مشكلة التباس المفاهيم، وقبول الروايات المدسوسة، والتأثر بالأجندات الخارجية التي تتخفى وراء ستار المعرفة أو التفسير الديني. لقد أبرز هذا الجهد أن الوقوع في فخ هذه التحريفات ليس مجرد خطأ أكاديمي، بل هو انزلاق خطير نحو تبني تصورات مغلوطة عن الدين والتاريخ، مما يقود إلى الفرقة والتناحر، ويصرف الأمة عن رسالتها الأساسية في نشر الخير والعدل.

إن تحدي الأمة المعاصرة لا يكمن فقط في استيعاب التراث، بل في تمحيصه ونقده بروح علمية أصيلة، والقدرة على التمييز بين الغث والسمين، وبين ما يُثري الفكر الإسلامي وما يهدف إلى تفكيكه من الداخل. إن الثقافة الإسلامية، بتاريخها العريق وثرائها المعرفي، لا يمكن أن تُبنى على أوهام أو تُفسر بمنظور الأغراض الخبيثة. لذا، كان لابد من هذا المسعى لإعادة الاعتبار للمنهجية السليمة في التعاطي مع النصوص التاريخية والعقائدية، وتحصين الجيل الحالي والأجيال القادمة من سموم التضليل التي قد تُقدم إليهم في ثوب المعرفة أو البحث العلمي. إن مسؤولية العلماء وطلاب العلم اليوم جسيمة في حمل أمانة التبيان، والجرأة على مواجهة الروايات المكذوبة والتفسيرات المنحرفة، حتى لا يبقى العقل المسلم رهينًا لأفكار دخيلة تفقده الثقة في تاريخه وعلمائه.

وعلى هذا المنوال، ندعو إلى مراجعة شاملة ومُنصفة لتاريخ الأمة ومفاهيمها، بعيدًا عن التشويهات والتضليلات التي تسللت إليها عبر العصور. إنه تأكيد على أهمية التثبت من الروايات، والرجوع إلى الأصول النقية الخالية من الشوائب، وعدم الانجرار وراء المصطلحات المسمومة التي تستهدف تفكيك وحدة الصف الإسلامي وطمس الهوية السنية. إن الهدف الأساسي الذي يسعى إليه هذا العمل هو إجلاء الصورة الحقيقية لأعلام الإسلام، وعلى رأسهم الصحابة الكرام ﵃ الذين هم نقلة الدين وحملة الرسالة، ووضع الحق في نصابه، وتثبيت الحقيقة التي تعلو ولا يُعلى عليها في وعي الأمة، لنُدرك يقينًا أن كل ما بُني على باطل فهو باطل.

إن هذا الكتاب يختتم بتوجيه بوصلة الوعي الإسلامي نحو الأصالة والنقاء، داعيًا إلى اليقظة الفكرية والتحلي بالمنهج العلمي الرصين في التعامل مع التراث، لئلا تقع الأمة في فخاخ من يريدون لها التيه والضياع. إنه رسالة أمل وتجديد، تؤكد أن الحق أحق أن يُتبع، وأن النور سيبدد الظلمات، وأن الأمة قادرة على استعادة بصيرتها وهيبتها إذا ما اعتصمت بقرآن ربها وسنة نبيها ﷺ، وتبرأت من كل ما يشوه صورتها أو يفرق صفها. وفي الختام، نسأل الله أن يجعل هذا الجهد خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من يقرؤه، وأن يجعله نورًا يضيء دروب الحقيقة في زمن تتلاطم فيه أمواج الشبهات.

ثَبَت الكتـاب


جواب الطالب
عن
البغاة والخوارج والنواصب
خليفة الدليمي